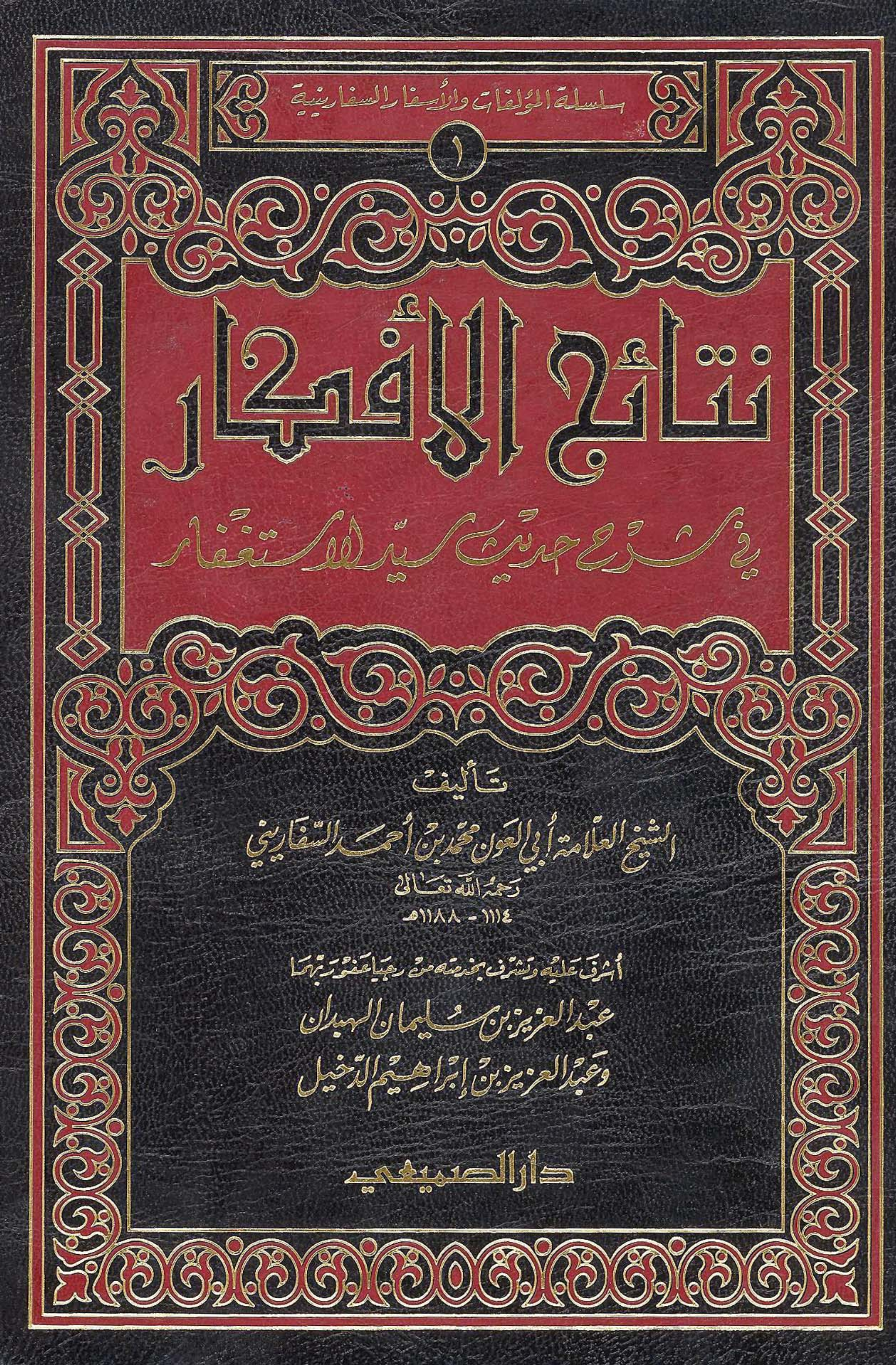

سلسلة المؤلفات والأسفار السفارينية
١
نتائج الأفكار
في شرح حديث سيد الاستغفار
تأليف
الشيخ العلامة أبي العون محمد بن أحمد السفاريني
رحمه الله تعالى
١١١٤ - ١١٨٨هـ
أشرف عليه وتشرف بخدمته من رجيا عفو ربهما
عبد العزيز بن سليمان الهبدان
وعبد العزيز بن إبراهيم الدخيل
دار الصميعي

سلسلة المؤلفات والأسفار السفارينية
(١)

نتائج الأفكار

في شرح حديث سيد الاستغفار

تأليف

الشيخ العلامة أبي العون محمد بن أحمد السفاريني
رحمه الله تعالى
١١١٤ - ١١٨٨هـ

أشرف عليه وتشرف بخدمته من رجيا عفو ربهما
عبد العزيز بن سليمان الهيدان
وعبد العزيز بن إبراهيم الدخيل

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩

الرياض - السويدي - شارع السويدي العام

ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢

المملكة العربية السعودية

نتائج الأفكار

في شرح حديث سيد الاستغفار

بسم الله الرحمن الرحيم

من نفائس يراع السفاريني

«فإذا كان الإنسان قد منحه الله تعالى طَرَفاً صالحاً من العلوم، وانفرد بها عن أبناء زمانه في خلوته؛ لم يستوحش أبداً . . . فمن كان في خلوته بهٰذه المثابة؛ كيف لا تفارقه الوحشة والكآبة، ويصحبه الأنس والسرور والمهابة؛ مع ما يطَّلعُ عليه من معرفة الأحكام الشرعية، والأخبار النبوية، وسِيَر الملوك والدول، وأخبار الأحبار والأُوَل، والشرائع والملل، والمقالات والنِّحل، وأهل التقوى والخشوع والطاعة والخضوع، والظَّلَمة والجبابرة والأكاسرة والقياصرة؟! فكل هٰذا يأنس به في خلوته، ويسكن إليه في وحدته».

«غذاء الألباب» (٢/٤٦١)

●●●●●

إهــــــداء

إلى الجبل الشامخ . . .
العالم الزاهد . . .
الذي بذل نفسه وعمره في التعلم والتعليم والتربية والدعوة . . .
إلى الإمام السلفي الذي لا تزعزعه بنيات* الطريق أو تؤثر فيه فتن الزمان ؛ متمسكاً بالمنهج السلفي ، وطريقه القويم ، حسبه ذُلك ولا يزكى على الله أحد . . .
إلى شيخنا العلامة المحقق ، الشيخ عبد العزيز بن باز ، متع الله به على طاعته .

●●●●●

* البنيات : هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة : وهي الترهات . انظر : «لسان العرب» (١٤ / ٩١) .

تمهيــــد

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلَّا وأنْتُمْ مُسْلِمونَ﴾(١).

﴿يَا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ إنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وقُولوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ

---

(١) آل عمران: ١٣.

(٢) النساء: ١.

أَعْمالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣).

أما بعد:

اعلم أخي ـ وفقنا الله وإياك ـ أن الله عز وجل أرسل رسله إلى عباده لتبليغهم ما أُمِرُوا به من أوامر وما نهوا عنه من نواه، فدلهم على الطريق الذي يعينهم على ذٰلك، وهو خير طريق وخير دليل ـ بعد الله عز وجل ـ لسلوك المنهج القويم والصراط المستقيم، والذي يوصلهم إلى جنات النعيم، وهو العمل الصالح، ومعرفة ما يدلهم عليه ويقوي صلتهم به.

واعلم يا أخي ـ رعاك الله ـ أن هٰذا الطريق وهٰذا المنهج الذي تكاثرت الآيات والأخبار والآثار وتواترت، وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت، على فضيلته والحث عليه، وعلى السعي والوصول إليه والاجتهاد في جمعه: هو الذي أثنى الله عز وجل على أهله وحَمَلَتِهِ ومن ينتسب إليه.

قال تعالى في سورة الزمر: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوي الَّذينَ يَعْلَمُونَ والَّذينَ لا يَعْلَمونَ إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولو الأَلْبابِ﴾**.

فجعل جل وعلا أعظم شيء، بل أعظم ما فضل به ابن آدم على غيره من المخلوقات، هو العلم... العلم الشرعي المقتبس من الكتاب والسنة الصحيحة عنه ﷺ.

---

(٣) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

وقال جل وعلا مخبراً ومعلماً عباده على طريقة الاستفهام: قل هل يستوى العالم وغير العالم؟! ولٰكن لا يعلم ولا يتفكر في هٰذه الفضيلة والميزة إلا أولو الألباب، أولٰئك الذين نور الله عقولهم بالفطرة السليمة.

وذكر عز من قائل في آية أخرى زادت أهل تلك المنزلة شرفاً وعلوّاً، فقال تعالى: ﴿... إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلماءُ﴾[1].

ثم قال في آية أخرى قرن فيها أهل العلم بالملائكة وبه سبحانه وتعالى بشهادة عظيمة، إنما دلت الآية على أنه لا يعلم هٰذه الشهادة حق العلم، ويعمل بمقتضاها حق العمل؛ إلا من شهد عليها، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ والمَلائِكَةُ وأُولو العِلْمِ قائِماً بِالقِسْطِ...﴾[2].

ثم بعد ذٰلك بين سبحانه ما لأهل العلم من مكانة، فقال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذينَ أُوتوا العِلْمَ دَرَجاتٍ﴾[3].

ثم بعد ذٰلك فضل أهل العلم والمعرفة على أهل الإيمان فقط، فقال تعالى: ﴿وما يَعْقِلُها إِلَّا العالِمونَ﴾[4]، وذٰلك عند ذكر آيات العذاب والوعيد.

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) المجادلة: ١١.

(٤) العنكبوت: ٤٣.

ثم ورد وثبت في السنة المطهّرة عن رسول الهدى ﷺ ما يرفع مكانة العلم والعلماء ويشرفهم على غيرهم، ويبين أنهم هم قادة البشرية إلى طريق الجنة بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

فقال ﷺ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً؛ سلك الله به طريقاً من طُرُق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم؛ فمن أخذه؛ أخذ بحظ وافر»[1].

وغيرها من الأحاديث كثير وكثير. . .

فاعلم يا أخي ـ هدانا الله وإياك لطريق الحق ـ أننا لن ننال الشرف والعزة في الدنيا والآخرة؛ إلا بالعلم وبطلب العلم؛ فبالعلم يدل الله عز وجل عبده على غوامض الأمور وسرائر العلوم ودقائقها.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في «صيد الخاطر»: ليس في الوجود شيء أشرف من العلم؛ كيف لا وهو الدليل؟! فإذا عُدِمَ؛ وقع الضلال.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١ و٣٦٤٢)، والترمذي (٢٦٨٤)، وابن ماجه (٢٢٣) في المقدمة، والدارمي (١/٩٨) في المقدمة أيضاً، والبغوي في «شرح السنة» (١/٢٨٦)، والحاكم (١/٨٩)، وقال: صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه. ورواه الإمام أحمد (٥/١٩٦) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وله طرق وشواهد كثيرة يتقوى بها.

وقال النووي في مقدمة «شرحه على صحيح الإمام مسلم»: وإن الاشتغال بالعلم من أفضل القُرَب، وأجَلِّ الطاعات، وأهم أنواع الخير، وآكد العبادات، وأولى ما أُنْفِقَتْ فيه نفائس الأوقات، وشمر في إدراكه والتمكين فيه أصحاب الأنفس الزاكيات، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات، وسابق إلى التحلِّي به مستبقو المكرمات، وقد تظاهر على ما ذكرته جمل من الآيات الكريمات، والأحاديث الصحيحة المشهورات، وأقاويل السلف النيرات، ولا ضرورة إلى ذكرها لكونها من الواضحات الجليات. انتهى.

وقد قيل: العلم دواء القلوب، وشفاء الذنوب، ونعم الحارس والفارس.

وقد ذكر الإمام الرباني، وشيخ الإسلام الثاني، الهُمام، ابن قيم الجوزية، رحمه الله، في كتابه الرائع الفذ العجيب الموسوم بـ «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» فصلاً مطولاً في فضائل العلم، وأنه أشرف من المال بمئة ونيفٍ وأربعين وجهاً تقريباً.

وقد أُثِرَ عن أبي الأسود الدؤلي رحمه الله قوله:

العِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصاحِبِهِ
فاطْلُبْ هُدِيتَ فُنونَ العِلْمِ والأَدَبا
لا خَيْرَ فِيمَنْ لَهُ أَصْلٌ بلا أَدَبٍ
حَتَّى يكونَ على ما زانَهُ حَدَبا

إلى أن قال:

العِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لا نَفادَ لَهُ
نِعْمَ القَرينُ إذا ما صاحِبٌ صَحِبا
قَدْ يَجْمَعُ المَرْءُ مالاً ثُمَّ يُحْرَمُهُ
عَمَّا قَليلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ والحَرَبا
وجامِعُ العِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَداً
ولا يُحاذِرُ مِنْهُ المَوْتَ والسَّلَبا
يا جَامِعَ العِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
لا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرّاً ولا ذَهَبا

واعلم يا أخي ـ هدانا الله وإياك لسلوك طريق العلم ـ أن المقصود بالعلم هو معرفة الله عز وجل، وهي غاية الغايات، ورأس أنواع السعادات، ويعبر عنها بعلم اليقين، وهو الكمال المطلوب من العلم الثابت من الأدلة؛ فإياك أن يكون شغلك من العلم أن تجعله صفة غلبت على قلبك حتى قضيت نحبك بتكراره عند النزع . . . بل ينبغي لك أن تتخذه طريقاً للنجاة . . . ومن أراد أن يُرْغِم عدوه؛ فليؤثر الاقتصاد في جميع الأمور، ويتشبه بالسلف الصالح(١).

وذاك يا أخي قد بانت أسبابه، وبان ظهورها، وزاد خروجها في الأزمان الأخيرة؛ فقد كثرت الفتن والصوارف عن طلب العلم، بل وحتى عن الإخلاص في جمعه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقلَّت

(١) «الحطة في ذكر الصحاح الستة» للشيخ صديق حسن خان رحمه الله (ص ٥٠).

الخيرات، وذهبت بركة الأوقات، وضاقت بذلك الأنفس المؤمنات الزاكيات، فنسأله جلت قدرته أن يرزقنا طريق السلف الصالح رحمهم الله تعالى في عبادتهم وعلمهم وصلاحهم، وأن يمن علينا بالبركة في أوقاتنا . . .

فالذي يُبْصِرُ حال المسلمين اليوم؛ يراهم وقد زهدوا في العلم، واشتغلوا بفتن الدنيا الدنية، والخوض فيما لا يرضي، حتى قلَّ العلماء الربانيون، حملة الإرث المحمدي، أولئك قِلَّة قِلَّة . . . الذين قال فيهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى: بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! فما أحسن أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[1] . . .

إي والله؛ فما أقبح أثر الناس عليهم!!

فيا للمسلمين! استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ومن أسباب ذلك بعد المسلمين أصلاً وفرعاً عن دينهم وكتاب ربهم، ومن ثَمَّ نتج عن ذلك استهانة وإهمال وترك لأوامر الدين، ووقوعهم في سخط رب العالمين، حتى أغواهم الشيطان، فسول لهم

(١) مقدمة «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وأملى لهم، وأبعدهم عن سبيل ربهم علماً وعملاً، وسلط الله عليهم ذلًّا لا يرفعه عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم، فنسأله ـ جلت قدرته ـ أن يمن علينا وعلى المسلمين بالرجوع إلى دينهم، وأن يُقِرَّ عيوننا بنصرهم، وأن يرزقنا وإياهم الرغبة في طلب العلم.

ولقد أنعم الله على هٰذه الأمة بأن بعث فيها العلماء الأفذاذ، الذين نقلوا وحفظوا لها دينها، وانتفع منهم القاصي والداني؛ احتساباً عند الله عز وجل، حيث دونوا العلوم بشتى أنواعها وفنونها، ودرَّسوها ودعوا إليها، فرحمهم الله تعالى، ولا حرمنا وإياهم عظيم الأجر والمثوبة.

فيا أَسَفا عَلى فِراقِ قَوْمٍ　　هُمُ المصابِيحُ والحُصونُ
والمُدْنُ والمُزْنُ والرَّواسي　　والخَيْرُ والدينُ والسُّكونُ
لَمْ تَتَغَيَّرْ لَنا اللَّيالي　　حَتَّى تَوفَّتْهُمُ المَنُونُ
بَعْدَهُمُ العَيْشُ لَيْسَ يَصْفو　　كَيْفَ وَقَدْ جَفَّتِ العُيونُ
فَكُلُّ جَمْرٍ لَنا قُلوبٌ　　وَكُلُّ ماءٍ لنا عُيونُ

ومن اطَّلعَ على سير القوم وحالهم في عبادتهم وزهدهم وبذلهم الغالي والنفيس في سبيل تحصيل العلم وأخذه؛ وجد العجب الذي يكاد ينعدم في الوقت الحاضر؛ إلا من رحم ربك، وقليل ما هم؛ فنسأل الله العفو والمغفرة وحسن الحال؛ حيث بلغوا الغاية في العبادة والعلم، وبذلك دونوا للأمة تفسير الكتاب ونصوص السنة باجتهادات وطرق شتى.

وحيث إن علم الحديث له المكانة العظمى والنصيب الأوفر والمقام الأسنى من هٰذه العلوم، وهو العلم الذي اعترف بشرفه وشرف أهله الأعداء، ولم يكن في الأمم قبلنا، حتى إنك لتعجب يا أخي من تدوين علماء الأمة أسفارهم وكتبهم في هٰذا الفن بطريقة فذة في حفظ السنة وعلومها...

ولقد اهتم علماء السلف رحمهم الله بعلم الحديث جل الاهتمام، واعتنوا به وبنقله وبالتصنيف فيه؛ كيف لا وهو منبع القول المحمدي، والوحي الإلٰهي، من سلك طريقة أهله؛ أجاد وغالباً ما أصاب، ومن تركها أخطأ وجانب الصواب... فهو العلم المنصوص، والبناء المرصوص؟!

وأَهْـلُ الحَـدِيثِ هُمْ أَهْـلُ النَّبِيِّ وإنْ
لَمْ يَصْحَبُـوا نَفْسَـهُ أَنْفَاسَـهُ صَحِبُوا

وقد أُثر عن سفيان الثوري رحمه الله؛ أنه قال: لا أعلم علماً أفضل من علم الحديث لمن أراد به وجه الله تعالى، إن الناس يحتاجون إليه حتى في طعامهم وشرابهم؛ فهو أفضل من التطوع بالصلاة والصيام؛ لأنه فرض كفاية.

وقال الحاكم أبو عبد الله صاحب «المستدرك»: لولا طائفة المحدثين على حفظ الأسانيد؛ لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والمبتدعة من وضع الأحاديث وقلب الأسانيد.

ومن هٰؤلاء العلماء من دوَّن متون الأحاديث، وذٰلك إما على طريقة أبواب الفقه: العبادات، المعاملات، والبيوع... وغيرها، وإما

على المسانيد أو المعاجم أو الأجزاء الصغيرة.

ومنهم من دون في الناسخ والمنسوخ، وهو عمدة الفن.

ومنهم من دون في علم الجرح والتعديل وأجاد.

ومنهم من ألف في غريب الحديث.

ومنهم من دوَّن في الترغيب والترهيب.

ومنهم من اعتنى بشروح تلك الأحاديث وتوضيحها وأقوال العلماء فيها، سواء بشرح كتابٍ أُمٍّ من أمهات الفن؛ كالحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه على البخاري...

إلى غير ذٰلك مما يطول المقام بذكره من اختلاف المقاصد والدواعي.

ومن هٰؤلاء العلماء: العلاَّمة الفذ، شيخ زمانه، البحر، الحبر، الشيخ محمد بن أحمد السفَّاريني، رحمه الله تعالى وغفر له وعفا عنه، المتوفى سنة ثمان وثمانين بعد المئة والألف للهجرة؛ فقد سار على هٰذه السيرة، وسلك تلك الطريقة، وألف كتاباً نفيساً، ذكر فيه أن من أسباب تأليفه للكتاب عدم وجود نظير له؛ فقام هو بالمقصود، واستعان بالرب المعبود، شرح فيه حديثاً عظيماً عن رسولنا ﷺ، وهو المسمى «سيد الاستغفار»، ولقد أجاد رحمه الله في شرحه لهٰذا الحديث، وأودعه الغرائب والعجائب؛ كما ذكر بعض من تكلم عنه(1).

---

(1) وقد سلك رحمه الله في شرحه طريقة الشرح الممزوج، وهي مزج الشرح بالمتن.

الكلام على الاستغفار

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه على البخاري الموسوم بـ «فتح الباري» عن ابن أبي حمزة: إنه ﷺ جمع في هٰذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار؛ ففيه الإقرار لله وحده بالإلٰهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذٰلك إلا هو، وفي كل ذٰلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة؛ فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذٰلك عون من الله تعالى، وهٰذا القدْر الذي يكنَّى عنه بالحقيقة؛ فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدِّر عليه، وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة؛ لم يبقى إلا أحد أمرين: إما العفو بمقتضى العدل، أو العفو بمقتضى الفضل(٢).

وقال شيخ الإسلام الثاني، والعالم الهُمام، ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين»: وأما الاستغفار؛ فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة:

فالمفرد كقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿**اسْتَغْفِروا ربَّكُمْ إنَّهُ كانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً**﴾؛ فالاستغفار المفرد كالتوبة،

---

(٢) «فتح الباري» (١١/ ١٠٣).

بل هو التوبة بعينها، مع تَضَمُّنه طلب المغفرة من الله تعالى، وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس؛ أنها الستر؛ فإن الله ليستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولٰكن الستر لازم مسماها أو جزؤه؛ فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم. . . وهٰذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾؛ فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق[1]. انتهى.

وبالاستغفار تُكشف الكروب، وتُمحى الذنوب، وتُستر العيوب، وتُنظف القلوب.

وبه تتنزل البركات من السماء، وتحصل الأموال والبنين، وأعظم من هٰذا كله: جنات النعيم.

والاستغفار عبادة لله جل وعلا؛ قال تعالى: ﴿وقالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ﴾.

ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وقالَ رَبُّكُمُ. . .﴾ الآية[2]؛ فدل على أن الدعاء عبادة، وكذا قال أكثر

---

(١) «المدارج» (١/ ٣٠٧).

(٢) غافر: ٦٠.

والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧١)، والترمذي =

المفسرين والشُّرَّاح، وهٰذا بالمعنى العام.

والدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة:

فدعاء المسألة هو المَعْني عند الإطلاق، والمقصود به طلب مسألة من الله عز وجل.

ودعاء العبادة هو كل عبادة يؤديها العبد تعتبر من دعاء العبادة؛ فهو يرجو بها ثواب الله، ويخشى عقابه.

فكلٌّ محتاج إلى الاستغفار، حتى الأنبياء والرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

ولقد كان نبينا وحبيبنا وشفيعنا وقدوتنا محمد ﷺ خير مثل في ذٰلك وخير قدوة، ولقد كان يكثر من الاستغفار والعبادة الشيء الذي نحن أكثر حاجة إليه؛ لدنو حالنا، ولضعف إيماننا:

فمن ذٰلك أنه عليه الصلاة والسلام لما رؤي يكثر من قيام الليل حتى تفطرت قدماه، ويكثر من العبادة والابتهال؛ قيل له: يا رسول الله! أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»[1]. وهٰذا مع عصمته ﷺ

= (٥/ ٢١١)، والنسائي في «الكبرى» برقم (١١٤٦٤)، وأبو داود (٢/ ٧٦)، وابن ماجه برقم (٣٨٢٨)، وقال الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح، كلهم بطرق عن النعمان رضي الله عنه.

(١) الحديث رواه البخاري في «صحيحه» في (كتاب التهجد، باب قيام النبي عليه الصلاة والسلام، ٣/ ١٨ و١٩ ـ فتح)، وكذٰلك (٨/ ٤٤٠ في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿**ليغفر الله لك...**﴾) وغيره.

من الذنوب التي يفعلها الناس اليوم، وما ينطق أحد بكلمة الاستغفار مرة واحدة!! والله المستعان.

ولقد قال ﷺ: «استغفروا ربكم؛ فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرة»[٢].

وغير ذٰلك من الأدلة التي ساقها المؤلف رحمه الله في هٰذا الكتاب.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقد ذكر عن آدم أبي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه، فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه، وعن إبليس أبي الجن لعنه الله أنه أصر متعلقاً بالقدر، فلعنه وأقصاه؛ فمن أذنب وتاب وندم؛ فقد أشبه أباه، ومن أشبه أباه؛ فما ظلم...

ولهٰذا قرن الله جل وعلا بين التوحيد والاستغفار في غير آية؛ كما قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤمِنِينَ والمُؤمِنَاتِ**﴾...

وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إلٰه إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذٰلك؛ بثثت فيهم الأهواء؛ فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»[٣].

---

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٠٢، في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه)، رواه بأكثر من طريق عن ابن عمر رضي الله عنهما وغيره.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩)، وأبو يعلى في «مسنده» =

وجماع ذٰلك؛ أنه لا بد له في الأمر من أصلين. . . فعليه بالاجتهاد في الامتثال علماً وعملاً، فلا تزال تجهد في العلم بما أمر الله به والعمل بذٰلك، ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور وتعدِّيه الحدود، ولهٰذا كان من المشروع أن يختم جميع الأعمال بالاستغفار[1]. انتهى، ثم سرد آيات الاستغفار.

فصل

في الجمع بين كونه عليه الصلاة والسلام أكثر الخلق استغفاراً وكونه مغفوراً له

وهنا مسألة نذكرها لأهميتها وفائدتها، وهي أنه ﷺ أكثر أمته استغفاراً وإنابة، مع أنه عليه الصلاة والسلام قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر من ذنوبه؛ فما سبب ذٰلك والدافع إليه؟

= (١/ ١٢٣) من طريق مُحرِّر بن عون؛ قال: حدثنا عثمان بن مطر الشيباني؛ قال: حدثنا عبدالغفور، عن أبي نصيرة، عن أبي رجاء، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال (فذكره).

وعن ابن أبي عاصم: «. . . أنهم يحسبون أنهم محسنون؛ فلا يستغفرون»، وفيه عثمان بن مطر وقد ضعفوه، وعبدالغفور هو ابن عبدالعزيز، قال فيه البخاري: تركوه، وقال ابن عدي: ضعيف منكر الحديث.

وقد ضعف هٰذا الحديث جمع من الفطاحلة؛ فمنهم الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٠٧)، وقال: ضعيف، فيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف. وكذٰلك الشيخ الألباني رعاه الله في تخريجه على «السنة» (١/ ٩)، ولعل أبا العباس رحمه الله قد توصل إلى ثبوته بما لم نعلم، والله أعلم.

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٢٠ و١٢١ و١٢٢ و١٢٣، ص ١٠٣).

فممن ذكر ذٰلك العلامة محمد بن طولون المتوفى سنة (٩٥٣هـ) في كتابه «مرشد المحتار إلى خصائص المختار»[٢]؛ فقال: . . . أُجيبَ على ذٰلك بعدة أجوبة:

الأول: ما قدمنا من تفسير الغين، وهو مأخوذ من التغطية، وهو كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية؛ فإنها وإن كانت مهمة؛ فهي في مقابلة الأمور الأخروية كاللهو عند المراقبة[٣].

---

(٢) فراجعه فيه بتوسع إن شئت.

(٣) روى الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٦٦٢٤) أثراً رجاله ثقات عن بُندار بن الحسين؛ قال: استحسنت لأبي بكر بن طاهر قوله في الغَيْن: إن الله أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته من بعده من الخلاف وما يصيبهم فيه، فكان إذا ذكر ذٰلك وجد غيناً في قلبه؛ فاستغفر لأمته.

قال الإمام أحمد رحمه الله: زعم بعض أهل العلم أن الغَيْن شيء يغشى القلب، فيغطيه بعض التغطية، ولا يحجبه عما يشاهده، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء؛ فلا يكاد يحجبُ عن الشمس ولا يمنع ضوءها، والنبي ﷺ ذكر أنه يغشى قلبه ما هٰذه صفته.

وأورد إسناداً آخر جيِّد كما قال الشيخ مختار الندوي عن محمد بن سليمان الحنفي؛ قال: له تأويلان: أحدهما مختص به أهل الإشارة، وهو حملهم إياه على غشية السكرة التي هي الصحو في الحقيقة، ومعنى الاستغفار عُقيبها على التخسير للكشف عنها، وأهل الظاهر يحملونها على الخطرات العارضة للقلب، الطلبات الواردة عليه، الشاغلة له بهٰذه الغشية الملابسة، ثم يستدركها عليه السلام بالاستغفار والإنابة والرجوع منها إلى ربه عاتباً على قلبه، فإذا كان عليه السلام هٰذا وصفه؛ فما ظنك بالخليقة المنهمكة في الهلكة، وبالله العياذ، وبه الاعتصام، وعليه التوكل. =

الثـاني: ما قالـه العلامة ابن الجوزي رحمه الله: إن هفوات الطباع البشري لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإن عُصِمُوا من الكبائر؛ فلم يُعْصَمُوا من الصغائر(٤).

الثالث: ما قاله ابن بطال: إن الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة؛ لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره، معترفون له بالتقصير، ومحصل هٰذا أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الـذي يجب لله تعـالى من الاشتغـال بالأمور المباحة كالقوت وغيرها، وذٰلك مما يحجبه عن ذكر الله تعالى والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته؛ فيرى ذٰلك ذنباً بالنسبة إلى المقام الإلٰهي.

الـرابع: أن استغفاره تشريع لأمته كي يقتدوا به ويحذوا حذوه على هٰذا الطريق. انتهى بتصرف يسير.

= وذكر ـ أي البيهقي ـ مقولة للإمام أحمد توافق ما قاله بكر بن طاهر آنفاً. انظر: «الشُّعب» (١٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧).

(٤) ذكـر القـاضي عياض رحمـه الله في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» مسألة عصمة الأنبياء من الصغائر، وتكلم كلاماً مفصَّلاً يطول المقام بذكـره، خلاصـة كلامـه أنهم معصـومون حتى من الصغائر، ورد على حجج المخـالفين في ذٰلـك، وممن تكلم على هٰذه المسـألة وأجاد أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣١٩)، وكذٰلك في «منهاج السنة» (٣/ ٣٧١)، وكذٰلك تكلم الشيخ محمد السفاريني رحمه الله في شرح منظومته في العقيدة المسماة «لوامع الأنوار» (٢/ ٣٠٣).

وانظر للآمدي في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ١٦٠).

فالحاصل أنه عليه الصلاة والسلام ما بلغ هٰذه المنزلة والمرتبة العالية من العبودية؛ إلا لمعرفته بأهوال القيامة وشدائدها وعلمه بها.

ونحن قبل ذٰلك كله محتاجون إلى الاستغفار، بل إلى معرفة معاني الاستغفار؛ أسراره، والمحافظة عليه، والإكثار منه... ففيه من الذل والانكسار وتجلِّي العبودية والخضوع له سبحانه ما جعل علماء طب القلوب، وفي مقدمتهم العالم الرباني الهمام، وشيخ الإسلام الثاني، العلامة ابن القيم، رحمه الله تعالى، يتكلمون بالكلام العجيب، الذي يوضح مقام تلك المنزلة توضيحاً جليّاً، حري بنا أخي ـ وفقنا الله وإياك ـ الرجوع إليه والاطلاع عليه.

وبالجملة؛ فقد تكلم السفَّاريني رحمه الله على هٰذا الحديث العظيم بما لم يسبق إليه؛ حيث ذكر ابن حميد صاحب «السحب الوابلة في تراجم الحنابلة» أنه أودع فيه الغرائب؛ فقد استعان بعد الله عز وجل بالنقولات عن العلماء الربانيين في كلامهم على هٰذه المنازل، وأبدع رحمه الله في ذكر أسرار ومرامي هٰذا الوحي المحمدي الموسوم بـ «جوامع الكلم»، وقد استعنّا بالله ربنا جل وعلا في إخراج هٰذا الكتاب العظيم إلى النور، بثوبه الجديد إلى القراء الكرام وطلبة العلم، عسى الله عز وجل أن يرزقنا وإياهم القبول في الدنيا والآخرة؛ إنه سميع مجيب.

واعلم يا أخي ـ بارك الله فيك ـ أن المؤلف رحمه الله عندما أطال في علم ألفاظ هٰذا الحديث؛ فإنه رحمه الله رجا أن يعم نفعه الجميع، فقام باختصار واستخراج ثماره في مختصر لطيف ما زال في

الظلام، ولم يرَ النور بعد، نسأل الله أن ييسِّر إخراجه.

وسيتلوه بإذن الله تعالى بقية مؤلفات هٰذا العالم الجليل، الذي ما زالت كنوزه في مخازن المخطوطات النفيسات، وذٰلك مشاركة مِنَّا في إخراج هٰذا الميراث المحمدي العظيم.

فنسأل الله جلت قدرته أن يبارك لنا، ويعيننا ويحيطنا بحفظه وتوفيقه، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولإخواننا ولجميع المسلمين، وأن يرزقنا وإياك القبول في الدنيا والآخرة، وأن يجعل من قرأه أو كتب فيه حرفاً أو نظر فيه؛ أن يجعله في ميزان حسنات الجميع؛ إنه رؤوف رحيم غفور ودود، وأن يقر عيوننا بنصرهم ورجوعهم لدينهم؛ إنه ولي ذٰلك والقادر عليه.

أخي طالب العلم! ستجد قصوراً في التعليق والتخريج، ولٰكن هٰذا جهد المُقِل، ما أصبنا فيه؛ فمن الله سبحانه، وما أخطأناه؛ فمن أنفسنا والشيطان؛ فهو لك بِغُنْمه، وعلينا بِغُرْمِه، وأمامك عَمَل حديث عهدٍ بهٰذا المضمار؛ فما وجدتَ فيه من صواب؛ فهو بتوفيق الله، وما هو غير ذٰلك؛ فلسنا إلا بشر يخطئون.

فَبِـالـلـهِ إِنْ نَظَرَتْ عَيْنـاكَ ما كَتَبَتْ
يَدُ الـفَـقـيرِ إِلـى غُفْـرَانِ مَوْلاَهُ
فَارْفَـعْ يَداكَ إِلَـى الـرَّحْمٰنِ وَقُـلْ لَهُ
الـلهُ يَجْـعَـلُ دَارَ الـخُـلْدِ مَثْـواهُ

ولا ننسى أن نسدي بجزيل الشكر والدعاء بعد شكر الله عز وجل

لكـل من شيخنـا وعلامتنا فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين رعاه الله بطاعته، وشيخنا المفضال الشيخ سعد بن عبدالله الحميد جزاه الله خيراً، اللذان أعـطيانـا من وقتيهمـا ونصحهما في عرض أحرف هٰذا السِّفـر، وكذٰلك شيخنا الشيخ عبدالرحمٰن الفريوائي؛ لإبدائه نصحه وملحوظاته القيمة؛ فجزى الله الجميع خير الجزاء، عنا وعن المسلمين جميعاً.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قاله وكتبه

من افتقرا إلى عفو ربهما ورحمته

عبدالعزيز بن سليمان الهبدان

وعبدالعزيز بن إبراهيم الدخيّل

●●●●●

ترجمة المؤلف[1]

● مولده ونشأته:

هو الإمام، البحر، الحبر، الأوحد، البارع، الزاهد، العلامة، العالم، المتفوِّق، صاحب التآليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة، الشيخ أبو العون، وقيل: أبو سليمان، وقيل: أبو عبدالله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان، السفاريني مولداً، النابلسي والحنبلي مذهباً.

كان مولده بقرية سفَّارين من قرى نابلس سنة (١١١٤هـ) أربع عشرة ومئةٍ وألفٍ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام،

---

(١) «سلك الدُّرَر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي، و«عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجَبَرتي، «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي، «السحب الوابلة» لابن حميد، «النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل» لمحمد الغزي، «إيضاح المكنون» لإسماعيل البغدادي، «معجم المؤلفين» لكحَّالة، «الأعلام» للزِرِكلي، «هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي، «فهرس الفهارس» لعبدالحي الكتاني، «تاج العروس» لمحمد مرتضى الزَبيدي، «الرسالة المستطرفة».

وكذا وُجِدَ بخطه . . .

ثم بدأ وقرأ القرآن الكريم في سنة (١١٣١هـ)، وعمره آنذاك ستة عشر عاماً، وذٰلك في نابلس، فلما أتقنه وحفظه عن ظهر قلب؛ تلقَّى بعض العلوم فيها، ثم انتقل إلى الجامع الأموي في دمشق قاصداً العلم والعلماء سنة (١١٣٣هـ)، فشمَّر على ساق الجد والاجتهاد، وأكب على الطلب والتحصيل، وجلس فيها ما يقارب خمس سنوات، وقرأ على مشايخ كُثُر، وحَصَّل وجمع، وبرع في الفقه وأصوله والحديث، والنحو والفرائض، والتفسير وسائر الفنون، وطالع شروحها، وحفظ متونها حتى برع فيها، وأجاد وأفاد، وأخذ الإجازات من مشايخه، وحج عام (١١٤٨هـ)، فسمع وطلب العلم على علماء مكة وطَيْبة، وأخذ من إجازاتهم، وقرأ عليهم وعلى غيرهم في البلاد الأخرى كثيراً من «المسلسلات بالأولية»، ثم رجع إلى قريته سفَّارين لنشر العلم وتعليمه.

● مكانته العلمية:

بالجملة؛ فقد كان رحمه الله كما وصفه من ذكره: غُرَّة عصره، وشامَة مِصْرِه، كان غالباً ذا رأي صائب وفهم ثاقب، كانت مجالسه لا تخلو من فائدة ولا تعرو عن عائدة، وكان مُشْغِلاً لجميع أوقاته بالإفادة والاستفادة، يطرح المسائل على الطلاب والأقران، ويدور بينه وبينهم المحاورة في التحرير والإتقان؛ فهو العالم الفذ.

وصَفُوه بـ : الحافظ، المسند، العلاَّمة، خاتمة حنابلة نابلس، حجة المناظرين، محرِّر المذهب، منقح الفروع، سيد التحقيق، وسند التدقيق. تلك والله صفات عالم متمكن بحر لا ساحل له.

وقد عرف بين الأقران والمشايخ بالفضل والذكاء، وقد سخر نفسه لخدمة العلم وأهله؛ فما زال يُملي ويفيد من سنة ثمان وأربعين إلى أن لقيت روحُه خالقَها جل وعلا.

وقد حصل له رحمه الله ملاحظة ربانية، حتى حصَّل في الزمن اليسير ما لم يحصِّله غيره في الزمن الكثير، وانتفع ونفع، وساد وبرع، حتى امتلأت صَدَفَتُهُ بجواهر العلوم، وطفح حوضه بماء التحقيق والفهوم.

وقد ألف التآليف العديدة المفيدة في شتى الفنون والعلوم، وله الباع الطويل في علم التاريخ، وحفظ وقائع الملوك والأمراء والعلماء والأدباء، وما وقع في الأزمان السالفة.

وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولَّدين شيئاً كثيراً، وله شعر طيب لطيف، عن قدر في الفضائل منيف؛ فمنها قوله:

الصَّبْرُ عِيلَ مِنَ القِلا   والنَّفْسُ أَمْسَتْ في بِلا
والجَفْنُ جَفَّ مِنَ البُكا   والقَلْبُ في الشَّجْوِ غَلا
وَشَكا اللِّسانُ فَقالَ في   شَكْواهُ لا حَوْلَ ولا

وله أيضاً:

يا مَنْ إِلَيْهِ تَضَرُّعي وتَوَسُّلي
ولَدَيْهِ طالَ تَقَشُّفي وَتَذَلُّلي
إِنِّي قَرَعْتُ البابَ أَرْجُو تَوْبَةً
وَمَحَبَّةً يا ذا العَطاءِ المَنْهَلِ

فَاغْـفِــرْ ذُنــوبـي يا رَحيمُ وَكُنْ إذا
أمْـسَـيْتُ فَرْداً مُؤنِـسي في مَنْــزِلي
ما لي إلَــيْكَ وسـيْلَةٌ إلَّا الــرَّجـا
وجَـمـيلُ عَفْــوِكَ ثُمَّ إنِّـي حَنْبَـلي

ومن اطلع على مؤلفاته ـ يسر الله إخراجها ـ ورسائله ونقولاته؛ عرف أنه يقرأ لفحل من فحول العلم، فرحمه الله وأجزل مثوبته.

● **أخلاقه وديانته:**

كان رحمه الله خيِّراً جواداً، لا يقتني شيئاً من الأمتعة والأسباب الدنيوية سوى كتب العلم؛ فإنه كان حريصاً على جمعها، ويقول دائماً: أنا فقير من الكتب العلمية، وكان كل ما يدخل إلى يده ينفقه.

وعاش مدة عمره في بلده عزيزاً موقَّراً محتشماً، وكان صادعاً بالحق، لا يماري فيه ولا يهاب، والجميع من أعيان بلده وأمرائها يهابونه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان رحمه الله ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة، قوَّالاً بالحق، مقبلاً على شأنه، مداوماً على قيام الليل في المسجد ويحث عليه، وكان رحمه الله كثير العبادة والأوراد، جسوراً على ردع الظالمين وزجر المفترين، إذا رأى منكراً؛ أخذته رعدة وعلا صوته من شدة الحدة، وإذا سكن غيظه وبرد قيظه؛ يقطر رقَّة ولطافة وحلاوة وظرافة.

وكان رحمه الله ذا شَيْبةٍ مُنوِرَة، مهيباً، جميل الشكل، صاحب سمت ووقار، واعتبار، محمود السيرة، نافذ الكلمة، رفيع المنزلة عند

العام والخاص؛ فرحم الله شيخنا ومؤلفنا رحمة واسعة.

● مشايخه:

قرأ العلم على مشايخ فضلاء وأئمة نبلاء، ما بين مكيين ومدنيين، وشاميين ومصريين، ذكرهم في إجازته للشيخ محمد مرتضى، وهم:

١ ــ الشيخ عبدالقادر بن عمر التغلبي، قرأ عليه «دليل الطالب لنيل المطالب» في الفقه الحنبلي قراءة تحقيق.

٢ ــ الشيخ موسى الحجاوي الحنبلي، قرأ عليه «الإقناع»، وذاكره في عدة مباحث من «شرحه على الدليل»، وحضر عنده في «الجامع الصغير» للسيوطي بين العشائين وغيره، وأجازه مما في ثَبَتِهِ.

٣ ــ والشيخ محمد بن عبدالرحمٰن الغزي الشافعي العامري، قرأ عليه بعضاً من «ألفية العراقي» في المصطلح، وأول «سنن أبي داود».

٤ ــ والشيخ أحمد الغزي، قرأ عليه غالب «الصحيح» بالجامع الأموي، وذٰلك بحضرة جملة من كبار شيوخ المذاهب الأربعة.

٥ ــ والشيخ العلامة إسماعيل بن محمد العجلوني، قرأ عليه «الصحيح» مع مراجعة شروحه الموجودة في شهر رجب وشعبان ورمضان من كل سنة مدة إقامته بدمشق، و«ثلاثيات البخاري»، وبعض «ثلاثيات الإمام أحمد» رحمه الله، وشيئاً من «الجامع» للسيوطي، ومراجعة شرحه للمُناوي والعَلْقَمي، وبعضاً من «الإحياء»

للغزالي و «تخريجه» للعراقي ، وبعضاً من شرح «شذور الذهب» وغيرها من كتب أهل العلم .

٦ ـــ والشيخ أحمد بن علي المُنِيني الطرابلسي ، قرأ عليه «جمع الجوامع» للمحلِّي ، و «شرح قطر الندى» للفاكهي ، وحضر دروسه في «الصحيح» .

٧ ـــ والشيخ مصطفى سوار، درس عليه أول «صحيح مسلم» ، ولم يكمله .

٨ ـــ والشيخ العلامة محمد حياة السندي ، سمع منه في المدينة أوائل الكتب الستة وغيرها .

٩ ـــ والشيخ علي بن حامد أفندي ، مفتي الشام ، قرأ عليه «ثلاثيات» البخاري والإمام أحمد .

١٠ ـــ والشيخ عبدالسلام بن محمد الكاملي ، درس عليه بعض كتب الحديث، وشيئاً من «رسائل أخوان الصفا»[١] .

---

(١) «إخوان الصفا وخلان الوفا» ، هٰذه الجماعة ظهرت في منتصف القرن الرابع الهجري بالضبط بين سنتي (٣٣٤ - ٣٧٣هـ) تقريباً، ومما ساعد على ظهورهم سوء أحوال المسلمين في تلك الأزمان؛ حيث ضعفت الخلافة العباسية ضعفاً شديداً ، ـ والله المستعان ـ ، وبدأت تظهر فيها الدويلات والجماعات ، كل يدعو لنفسه ولحزبه ، وذٰلك للبعد عن الإسلام ، وما هانوا على الله إلا لأنهم ضيعوا أمره ، حيث أدى ذٰلك إلى دخول آل بويه الروافض لعنهم الله إلى بغداد والاستيلاء على الخلافة العباسية . . . وإذا تقلد الروافض زمام أمر للمسلمين؛ فكبر عليهم أربعاً . . . حيث ساعد ظهور «إخوان الصفا» تسلط الروافض ، وتجرأ =

. . . .

= كل ناعق ومضِلٍّ على الحركة والدعوة لمذهبه، وأظهروا خباياهم ورسائلهم الآنفة الذكر.

وإخوان الصفا وخلان الوفا هم جماعة كما أسلفنا ظهروا في منتصف القرن الرابع الهجري، واجتمعوا على الطهارة والنصيحة، ويا سبحان الله! ما ترك مكلف كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام سلف الأمة الصالحين رضي الله عنهم؛ إلا أضله شيطانه وأرداه، حيث بدؤوا يعتقدون فساد الشريعة الإسلامية، وأنها في زعمهم قد دنست بالجهالات وبالأقوال المغررة؛ فقالوا: إن الحل لهٰذه المشكلة في زعمهم هو دمج الشريعة بالفلسفة اليونانية لاحتواء هٰذه الفلسفة على الحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية، وبدمجهما يحصل الكمال المطلوب؟!

فألفوا رسائل أخوان الصفا، وهي تتكون من اثنتين وخمسين رسالة:

١ ــ الرسائل الرياضية التعليمية (أربع عشرة رسالة).

٢ ــ والرسائل الجسمانية الطبيعية (سبع عشرة رسالة).

٣ ــ والرسائل النفسانية والعقلية (عشر رسائل).

٤ ــ والرسائل الناموسية الإلٰهية والشرعية الدينية (إحدى عشرة رسالة).

وقالوا في فهرست رسائلهم هٰذه: إن الرسالة الجامعة ستأتي بعد هٰذه الرسائل، وإنها ستكون جامعة لخلاصة ما في هٰذه الرسائل كلها، وقد ظهرت هٰذه الرسالة الجامعة بتحقيق جميل صليبا، وحققها أيضاً مصطفى غالب الإسماعيلي، وحققها أيضاً من يدعى عارق تامر الإسماعيلي!

ومن شخصيات هٰؤلاء (الإخوان) المشهورين من يدعى الحامدي، المتوفى سنة (٥٥٧هـ)، ومن الذين ألفوا تلك الرسائل إمامهم المستور المدعى أحمد بن عبدالله بن محمد حيث أخفى اسمه لأسباب سياسية، ومنهم أيضاً من يدعى أبا الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبا سليمان محمد بن معشر =

. . . .

= البستـي، ويعرف بالمقدسي، وغيرهم كثير.

وقد ذكروا أن إمامهم أحمد هٰذا قد ألفها عندما خشي أن يزيغ المسلمون عن شريعتهم إلى الفلسفة، وعلى كل حال مما لا جدال فيـه أن من طالع عنهم عرف أن هٰذه الرسائل ألفها أناس كثر.

فهٰذه الرسائل تمثل ـ كما ذكر من تكلم عنها ببسط ـ منهجاً باطنيّاً ضالاًّ من حيث المضمـون والشكـل؛ لأن عدم تصـريح واضعي الـرسائل بأهدافهم الحقيقية ينسجم بشكـل أكيد مع أسلوب الـدعوة الإسماعيلية في كيفية عرض عقائدها على الجمهور الواسع غير الملتزم بهٰذه العقائد وغير المنخرط في صفوف الدعوة، وهٰذه الرسائل تحكي لنا عبر مؤلفيها وتنقل أفكار ومعتقدات الإسماعيلية وفلسفتها حتى ولو عزاها الإسماعيلية إلى علمائهم، فعادتهم عزو ما رأوه علماً وفائدة لمذهبهم عزوه للأئمة عندهم.

ويعتبر الإسماعيليون هٰذه الرسائل في القرون الأخيرة أنها رسائل مقدسة تصـل في مرتبتهـا إلى القـرآن الكريم، ويقول أحد دعاتهم المدعو د. حسين الهمداني: إن القرآن الكريم كتاب عامة، ورسائل إخوان الصفا كتاب أئمة؟!

ويقول داعيتهم إبراهيم السيفي الإسماعيلي المتوفى سنة (١٢٣٦هـ) في كتابه «تحفة رسائل الإخوان»: وسمعت بعض العلماء يقولون: إن رسائل إخوان الصفا هي القرآن بعد القرآن، وهي قرآن العلم، كما أن القرآن قرآن الوحي، وهي قرآن الإمامة وذٰلك قرآن النبوة.

أعاذنا الله إياك أخي من هٰذا الضلال البعيد.

من تأمل هٰذه الأفكار والمعتقدات؛ وجدها خليطاً من المعتقدات الفاسدة الإسمـاعيلية، وعلى كل حال؛ فهٰذه الرسائل تعتبر من أهم ما يحتمل الأفكار الباطنية الإسماعيلية، والفلسفة التي يقصدونها هي التشبه بالإلٰه بحسب الطاقة، =

. . . .

= نعوذ بالله من الزيغ والضلال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١١/٥٨١): وهٰذه الرسائل صنفت عند ظهور مذهب الإسماعيلية العبيديين الذين بنوا القاهرة، وصنفت على مذهبهم الذي ركبوه من قول الفلاسفة اليونان ومجوس الفرس والشيعة من أهل القبلة، ولهٰذا قال العلماء: إن ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض.

ولا نريد الإسهاب رحمنا الله وإياك، ولكن إذا أردت التوسع في هٰذا الموضوع؛ فقد تكلم بعض المؤلفين عنه، وبينوا عقائدهم في بعض مسائل الاعتقاد الخطيرة؛ فارجع إليها لترى الكفر البواح والضلال المستباح.

فمن هٰذه المؤلفات:

ـ «إخوان الصفا» للدكتور جبور عبدالنور.

ـ و «إخوان الصفا» لعبدالكريم الخليفة.

ـ و «إخوان الصفا» لمصطفى بن غالب.

ـ و «تراث الإنسانية» للأستاذ سعيد زايد.

ـ و «تاريخ الفلسفة الإسلامية» د. ماجد فخري.

ـ و «إخوان الصفا» لعمر الدسوقي.

وممن تكلم عليهم وعلى رسائلهم بإجمال الدكتور محمد بن أحمد الخطيب في كتابه القيم «الحركات الباطنية في العالم الإسلامي؛ عقائدهم وحكم الإسلام فيها»؛ فجزاه الله خيراً.

١١ ــ ومن شيوخه من سلك مسلك الصوفية عبدالغني النابلسي الحنفي، قرأ عليه «الأربعين النووية»، و«ثلاثيات» البخاري والإمام أحمد، وحضر دروسه في «تفسير القاضي»، و«تفسيره» الذي ألفه في علم التصوف.

١٢ ــ وشيخ المـذهب الحنبلي الشيخ مصطفى بن عبدالحق اللبدي، وتفقه عليه.

١٣ ــ والشيخ طه بن أحمد اللَّبدي.

١٤ ــ والشيخ مصطفى بن يوسف الكرمي.

١٥ ــ والشيخ عبدالرحيم الكرمي.

١٦ ــ والشيخ المُعَمَّر هاشم الحنبلي.

١٧ ــ والشيخ محمد السلقيني.

١٨ ــ والشيخ محمد الخليلي، سمع عليه بعض كتب أهل العلم.

١٩ ــ والشيخ عبدالله البصروي، سمع عليه «ثلاثيات الإمام أحمد» مع المقابلة بالأصل المصحح.

٢٠ ــ والشيخ محمد الدقاق، أدركه بطيبة، وقرأ عليه بعض كتب أهل العلم.

٢١ ـ والشيخ مصطفى البكري، اجتمع به وقرأ عليه مصنفاته، وأجازه بما لَهُ.

٢٢ ـ والعلامة الشيخ أبي الفرج عبدالرحمٰن بن محيي الدين السليمي، الشهير بـ (المَجْلَد)، قرأ عليه «ثلاثيات البخاري»، وحضر دروسه العامة، وأخذ عنه التفسير والحديث، وأجازه.

٢٣ ـ والشيخ إلياس بن إبراهيم بن داود الكردي.

٢٤ ـ والشيخ حامدي بن علي بن إبراهيم العمادي.

٢٥ ـ والشيخ سليمان بن أحمد بن سليمان المحاسني.

٢٦ ـ والشيخ هاشم الحنبلي.

٢٧ ـ والشيخ محمد الإسكندري.

٢٨ ـ والشيخ محمد أبو طاهر المدني.

رحمهم الله، وغفر لنا ولهم.

● **تلاميذه:**

قال ابن حميد في «السُّحُب الوابلة»: وأخذ عن هٰذا الإمام بعد أن ذاع صيته بين الناس وظهر فضله للطلاب جماعة من أهل العلم،

قال الشيخ ابن سلوم: وتخــرَّج به وانتفــع خَلْق كثير من النجـديين والشاميين وغيرهم. اهـ.

وقد جمعناهم من بعض ممن ترجم للشيخ رحمه الله، وهم:

١ ــ العلامة محمد بن مرتضى الزَّبيدي، اللغوي المعروف، صاحب «تاج العروس في شرح القاموس»، قال في كتابه المذكور في مادة (سَفَرَ): وسفَّـارين كجبـارين، من أعمـال نابلس، منها شيخنا العـلامـة محمد بن أحمد السفَّاريني... كتب إليَّ مروياته وأجازني بها. اهـ.

٢ ــ الشيخ عبـدالله بن شحــادة السفَّــاريني، الشهير بابن الخطاب، قرأ على المؤلف رحمه الله مدةً وافرةً ولازمة، وانقطع في خدمته.

٣ ــ والشيخ مصطفى بن سعـد الرحيباني، السيوطي، مفتي الحنابلة في دمشق، وهو من أكبر تلاميذ السفاريني رحمهما الله.

٤ ــ والشيخ محمـد بن شاكر بن علي العقاد، الشهير بمقدم سعـد، شيخ علماء الحنفية بدمشق، حصل الشيخ العقاد من مؤلفنا على إجــازة مطولــة جامعـة شافية، مشتملة على الأسـانيد العـالية والمرويات الغالية.

٥ ــ والشيخ كمال الدين، محمد الغزي العامري، له الكتاب المشهـور القيِّم «النعت الأكمل في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل»، وقد ترجم في كتابه هٰذا للشيخ السفاريني رحمهما الله، وصدر

ترجمته بـ «شيخنا الشيخ الإمام».

٦ ــ والمحدِّث الشيخ عبدالقادر بن خليل بن عبدالله الرومي الأصل، المدني الدار.

٧ ــ والشيخ محمد بن أحمد بن صفي الدين، أبو الفضل، الحسيني، محدِّث، فقيه، أجازه مؤلفنا بعدة إجازات.

٨ ــ الشيخ عيسى القدومي، وهو رحمه الله ممن أكب على الشيخ مستفيداً ومتتلمذاً.

٩ ــ والشيخ محمد ابن السيد هاشم الجعفري النابلسي، ممن تفقَّه على الشيخ وأخذ عنه جملة.

١٠ ــ وذكروا خطيب المسجد النبوي رحمهم الله جميعاً.

وقد استجازه بعض طلبته، فأجازهم بالفوائد الغالية النفيسة.

● **مؤلفاته:**

لم يقتصر رحمه الله على التأليف في فن واحد، بل تعداه إلى جميع الفنون تقريباً، وهاك من التحقيق والتدقيق وذكر أسرار المسائل وغوامضها؛ فالله أكبر وهو المستعان:

١ ــ «كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام» (مخطوط).

٢ ــ شرح على «دليل الطالب لنيل المطالب» انتهى فيه إلى كتاب الحدود (مخطوط).

٣ ــ «اللُّمعة في فضائل الجمعة» (مخطوط).

٤ ـ «تفاضل الأعمال بشرح حديث فضائل الأعمال» (مخطوط).

٥ ـ «تعزية اللبيب بأحب حبيب» (مخطوط).

٦ ـ «الدرُّ المنظَّم في فضل شهر الله المحرم» (مخطوط).

٧ ـ «بحر الوفا في سيرة النبي المصطفى» (مخطوط)، وهو اختصار لكتاب ابن الجوزي «الوفا في أحوال المصطفى».

٨ ـ «تحفة النُسَّاك في فضل السواك» (مخطوط).

٩ ـ «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (مخطوط) حقق أوله د. محمد السمهري في رسالة دكتوراه، ويكمل تحقيقه الشيخ محمد المديميغ والشيخ علي جابر في أطروحات.

١٠ ـ «القول العلي في شرح أثر أمير المؤمنين علي رضي الله عليه» (مخطوط).

١١ ـ «الجواب المحرَّر في كشف حال الخَضِر والإسكندر» (مخطوط).

١٢ ـ «رسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عليها» (مخطوط).

١٣ ـ «الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات» (مخطوط).

١٤ ـ «التحقيق في بطلان التلفيق»؛ في العبادة (مخطوط).

١٥ ــ «شرح نونية الصرصري الحنبلي المسماة معارج الأنوار في سيرة النبي المختار» (المخطوط).

١٦ ــ «لواقح الأنوار السَّنية في شرح منظومة أبي بكر بن أبي داود الحائية» (مطبوع)، وقد نوقش أطروحة لنيل درجة الدكتوراه للشيخ عبدالله البصيري في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية.

١٧ ــ «المُلَح الغرامية في شرح منظومة ابن فرج اللامية» (مخطوط).

١٨ ــ «عُرْف الزرنب في شأن السيدة زينب» (مخطوط).

١٩ ــ «شرح منظومة الكبائر» (مخطوط).

٢٠ ــ «شرح ثلاثيات الإمام أحمد رحمه الله» (مطبوع في مجلدين كبيرين ضخمين).

٢١ ــ «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (مطبوع في مجلدين).

٢٢ ــ «لوامع الأنوار البهية في شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»، وهو شرح لمنظومته في العقيدة المسماة بـ (السفَّارينية) مطبوع في مجلد ضخم.

٢٣ ــ «قَرْعُ السياط في قمع أهل اللواط»، طُبِع بتحقيق الأخ راشد الغُفَيلي.

٢٤ ــ «شرح فضائل الأعمال للضياء المقدسي» (مخطوط).

٢٥ ــ «شرح نونية ابن القيم» (مخطوط).

٢٦ ــ «رسالة في أحكام الصلاة على الميت» (مخطوط).

٢٧ ــ «رسالة في فضل الفقير الصابر» (مخطوط).

٢٨ ــ ثَبْتٌ ألَّفه رحمه الله لما استجازه في دمشق العلامة شاكر العقاد، فأجازه، وأرسل إليه كراسةً جعلها كالثبت له، ذكر فيها بعض مشايخه وأسانيده ومروياته، وبعض المسلسلات، وسنده في الصحيحين والمسانيد وغير ذٰلك (مخطوط).

٢٩ ــ «رسالة في حكم تارك الصلاة» (مخطوط).

٣٠ ــ «رسالة في شرح حديث: الإيمان بضع وسبعون شعبة» (مخطوط).

٣١ ــ «الدر المنثور في فضل يوم عاشور» (مخطوط).

٣٢ ــ «تراجم لبعض مشايخ المذهب» (مخطوط).

٣٣ ــ «منتخب الزهد للإمام أحمد» حذف منه المكرر والأسانيد (مخطوط).

٣٤ ــ «نظم الخصائص الواقعة في الإقناع» (مخطوط).

٣٥ ــ «الأجوبة النُّجْدية عن الأسئلة النجدية» (مخطوط).

٣٦ ــ «الأجوبة الوهبية عن الأسئلة الزعبية» (مخطوط).

٣٧ ــ «الدرر المكنية في شرح المنظومة الحسابية» (مخطوط).

٣٨ ـ «رسالة في ذم الوسواس» (مخطوط).

هٰذه مؤلفاته التي ذكر بعضاً منها رحمه الله في بعض مؤلفاته، وبعضها الآخر ذكره مترجموه وذاكروه.

● **عقيدته:**

إن المتتبع لمؤلفات السفَّاريني رحمه الله يجد فيها ما أودعه من فوائد غزيرةٍ، وعوائد عجيبةٍ، ونقولات فريدة.

ومن أعظم مؤلفاته وثرواته السِّفر العظيم «لوامع الأنوار البهية شرح الدُّرة المضية في عَقْد الفرقة المرضية»، وهو شرح لمنظومته رحمه الله في العقيدة، المعروفة بـ «السفَّارينية»، وقد شرحها رحمه الله شرحاً مطولاً مفيداً للغاية لمن وفقه الله، حيث سارت به الركبان، ودرّسه العلماء وطلبة العلم، وحفظوا متنه، وعمت فائدته، وقد استعرض في كتابه هٰذا منهج أهل السنة والجماعة في أنواع التوحيد الثلاثة، حيث أبدع وأفاد وأجاد رحمه الله في ذٰلك، وزوَّد المكتبة الإسلامية بسفرٍ عظيم في المعتقد السليم، وحجة على أهل الزيغ والضلال من المبتدعة عن بكرة أبيهم.

ثم إنه شرع في الأسماء والصفات شارحاً ومبيِّناً لمعانيهما.

ثم وقع فيما يقع فيه البشر من زلات وهفوات؛ فقد انحرف بعض الانحراف وزلَّ بعض الزلل في بعض كلامه في بعض الصفات.

وقد أحببنا ذكر بعض الأمثلة على ذٰلك، حتى يكون كلاماً مدعَّماً

بالحجة والمحجَّة، ونذكر أيضاً من تعقبها من الأئمة فحول العلم ـ رحم الله الجميع ـ، وهما الشيخ العلاَّمة مفتي الديار النجدية في عصره الشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن أبا بطين تغمده الله بواسع رحمته، والمتوفى سنة (١٢١٢هـ)، والشيخ سليمان بن سحمان، ١٢٨٢هـ
المتوفى سنة (١٣٤٩هـ)، غفر الله للجميع، وحيث ذكرنا كلامهما؛ فهو في حاشيتهما على كتاب مؤلفنا «لوامع الأنوار»، أو من بعض مؤلفاتهما الأخرى؛ فنقول بسم الله مبتدئين:

الموضع الأول: قوله رحمه الله:

الحَمْدُ للهِ القَديمِ الباقي

ثم قال في شرح هٰذا البيت: القديم: نعت لله، وهو اسم من أسمائه.

قال الشيخ عبدالله أبا بطين رحمه الله: قوله: إن القديم اسم من أسمائه تعالى؛ فيه نظر من وجهين:

الأول: خلو كتاب الله وكلام المصطفى ﷺ من ذٰلك، ثم كلام سلف الأمة رحمهم الله تعالى، والأول والآخر يغنيان عن هٰذه التسمية.

الوجه الثاني: أن أسماءه جل وعلا بالغة في الحسن منتهاه؛ فهي مشتملة على معاني الكمال لا على النقص؛ فصفة القديم ليست صفة كمال، وهي صفة اعتبار لا أولية، والله أعلم. اهـ ملخصاً.

قال شيخنا العلامة الشيخ عبدالله بن جبرين ـ رعاه الله بحفظه ـ كلاماً أجمل فيه المطلب حول هٰذه المسألة؛ حيث قال: لم يرد في

أسماء الله القديم، وإنما ورد لفظ الأول.

الموضع الثاني: قوله:

الــحَــمْــدُ للهِ الــقَــديمِ الـبــاقـي

قال في (١/ ٣٩): الباقي مشتق من البقاء، وهو امتناع لحوق العدم، والبقاء صفة واجبة له تعالى كما وجب له القدم.

قال الشيخ عبدالله رحمه الله: ليس في كلام المؤلف ما يدل صراحة على أن الباقي من أسماء الله تعالى الحسنى، ولم أجد حتى ساعتي هٰذه ما يدل على أنه من أسماء الله، وإن كان في القرآن قد أضيف البقاء إليه في قوله: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**...﴾، ولٰكن التعبير عن الصفة بالفعل لا يعني أن يشتق له اسم منها، ولذٰلك لم يشتق له اسم من نحو قوله: ﴿**اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾، ﴿**وَيَمْكُرُ اللهُ**﴾، ﴿**وأَكِيدُ كَيْداً**﴾، ﴿**والسَّماءَ بَنَيْناها**﴾، ﴿**والأَرْضَ فَرَشْناها**﴾، وأمثال ذٰلك... إلخ. انتهى كلامه رحمه الله.

الموضع الثالث: قال رحمه الله (١/ ٧٣): الفائدة الرابعة: أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي.

فيا لله العجب! كيف يكون من أهل السنة والجماعة من لا يثبت علو الرب جل وعلا فوق سماواته واستواءه على عرشه، ويقول: إن حروف القرآن مخلوقة، وإن الله لا يتكلم بحرف ولا صوت، ولا يثبت

رؤية المؤمنين لربهم في الجنة؟!

يقول الشيخ أبا بطين رحمه الله معلقاً على ذٰلك: تقسيم أهل السنة إلى ثلاث فرق فيه نظر؛ فالحق الذي لا ريب فيه أن أهل السنة والجماعة فرقة واحدة، وهي الفرقة الناجية، التي بينها ﷺ حين سُئِلَ عنها بقوله: «هي الجماعة»، وفي رواية: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، أو: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي»، وبهٰذا عرف أنهم هم المجتمعون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ولا يكونون سوى فرقة واحدة، والمؤلف نفسه يرحمه الله لما ذكر في المقدمة هٰذا الحديث قال في النظم:

وَلَيْسَ هٰذا النَّصُّ جَزْماً يُعْتَبَرْ
فِي فِرْقَةٍ إلَّا على أَهْلِ الأثَرْ

يعني بذٰلك الأثرية، وبهٰذا عرف أن أهل السنة والجماعة هم فرقة واحدة؛ الأثرية، والله أعلم. انتهى.

الموضع الرابع: قوله رحمه الله:

فكُلُّ ما جَاءَ مِنَ الآياتِ
أَوْ صَحَّ في الأخبارِ عَنْ ثِقاتِ
مِنَ الأحاديثِ تُمِرُّهُ كَما
قَدْ جاءَ فاسْمَعْ مِنْ نِظامي واعْلَما

علَّق الشيخ أبا بطين على ذٰلك قائلاً: هٰذا لفظ مجمل يحتاج إلى تفصيل وبيان: إن أريد بذٰلك الاقتصار على نصوص الأدلة من غير

بحث في معانيها ومراميها ومجرد اللفظ فقط؛ فهٰذا مراد فاسد، ليس من مذهب السلف في شيء. وإن أريد البحث عن مراد السلف فيه، وإثبات معناها كما جاءت مفسرة عن سلف الأمة من غير كيف؛ فهٰذا مراد صحيح، وقد جاء معنى هٰذه العبارة عن السلف.

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أمروها كما جاءت»: يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه؛ فإنها جاءت بلا كيف، ألفاظ دالة على معاني؛ فلو كانت دلالتها منفية؛ لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة... وحينئذٍ لا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال: بلا كيف؛ لما ليس بثابت، لغو من القول. انتهى كلام ابن تيمية.

الموضع الخامس: قوله رحمه الله:

بِأَنَّهُ واحِدٌ لا نَظِيرُ
لَهُ ولا شِبْهٌ ولا وَزِيرُ

قال (١ / ١١٥): بأنه سبحانه وتعالى واحد لا يتجزأ ولا ينقسم فرد صمد!

قال العلامة ابن سحمان رحمه الله في «تنبيه ذوي الألباب السليمة» (ص ٢٨) ما نصه:

اعلم أن قول القائل: ويجزم بأنه سبحانه وتعالى واحد لا يتجزأ ولا ينقسم: قول مبتَدَع مخترع، لم يقله أحد من السلف رضوان الله

عليهم، وليس مذكوراً في عقائد أهل السنة والجماعة، بل هو من جنس ما يذكره أهل البدع من قولهم: ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم وليس له أعراض ولا أغراض ولا أبعاض... إلى غير ذٰلك مما خالفوا به سلف الأمة وأئمتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه المسمى بـ «العقل والنقل» الذي قال ابن القيم رحمه الله تعالى فيه:

وَاذْكُرْ كِتَابَ العَقْلِ والنَّقْلِ الَّذي
ما في الوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثانِ

قال بعد كلام له: وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث معان، وهو: واحد في ذاته لا قسيم له ولا جزء له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له. وهٰذا المعنى الذي تتناوله هٰذه العبارة فيما ما جاء به الدليل وما خالفه...

إلى أن قال رحمه الله: والمقصود أن قول أهل البدع في الواحد: إنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ: قول مبتدع مخترع، لم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هو من كلام من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة من المتكلمين وغيرهم. انتهى كلامه رحمه الله.

الموضع السادس: قوله:

كَلامُهُ سُبْحانَهُ قَدِيمُ
أَعْيا الوَرى بِالنَّصِّ يا عَلِيمُ

قال العلامة ابن سحمان رحمه الله في «تنبيه ذوي الألباب

السليمـة»: فقوله: «كلامه سبحانه قديم»: هو من جنس ما قبله من الألفـاظ المبتـدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها، والذي عليه أهل السنة والجماعة المخالفون لأهل البدع: أن كلام الله سبحـانـه وتعالى حادث الآحاد قديم، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته إذا شاء، لا يمتنـــع عليه شيء أراده، وأن الله تعـالى متصف بالأفعـال الاختيارية القائمة به؛ فهو سبحانه قد تكلم في الأزل بما شاء، ويتكلم فيما لم يزل بقدرته ومشيئته بما أراد، وهو الفعال لما يريد. . . وأهل البـدع يسمـون هٰذه الأفعـال الاختيارية القـائمـة به سبحـانـه حلول الحوادث، والله لا يكون محلًّا للحوادث، ويريدون بهٰذا أن لا يتكلم بقـدرتـه ومشيئتـه، ولا ينـزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة، ولا يجيء، ولا يغضب بعد أن كان راضياً، ولا يرضى بعد أن كان غضباناً، ولا يقوم به فعل البتة. . . إلخ.

الموضع السابع: قوله:

وَلَـيْسَ رَبُّـنَـا بِجَـوْهَـرٍ ولا
عَرْضٍ ولا جِسْـمٍ تعـالـى ذُو العُـلا

قال العلامة ابن سحمان في «تنبيه ذوي الألباب السليمة» (ص ٧) ما نصه: اعلم وفقني الله وإياك للعلم النافع والعمل الصالح أن لفظ الجـوهـر والعـرض والجسم ألفاظ مبتدعة مخترعة، لم يرد بنفيها ولا إثباتها كتاب ولا سنة ولا قول صاحب ولا أحد من أئمة التابعين ولا من بعدهم من الأئمة المهتدين الذين يعتد بقولهم في هٰذا الباب.

فإذا تحققت ذٰلك؛ فهٰذه الألفاظ ـ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها ـ

لا تطلق، حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنىً صحيحاً؛ قبل، لٰكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة؛ إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد؛ مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذٰلك.

فإذا تبين هٰذا؛ فالواجب على من منحه الله العلم والمعرفة أن ينظر في هٰذا الباب (أعني: باب الصفات)؛ فما أثبته الله ورسوله؛ أثبته، وما نفاه الله ورسوله؛ نفاه.

والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي؛ فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني.

وأما كون شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه وتلميذه ابن القيم مالا إلى أنه لا وجود للجوهر الفرد؛ فحق، ولٰكن المقصود بذٰلك الرد على من أثبت الجوهر الفرد، وأنه لا حقيقة لوجوده، ولا يلزم من ذٰلك إذا رده ونفاه أنه يرى أن إطلاق هٰذه الألفاظ على الله نفياً وإثباتاً جائز؛ فقد ذكر رحمه الله في بعض أجوبته ما نصه: فإن ذكر لفظ الجسم في أسماء الله تعالى وصفاته بدعة، لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، ولم يقل أحد منهم: إن الله تعالى جسم، ولا: إن الله تعالى ليس بجسم، ولا: إن الله تعالى جوهر، ولا: إن الله تعالى ليس بجوهر. انتهى.

وكما صرحا بذٰلك فيما ذكرناه عنهما في بعض مواضع أخر؛ خلافاً لما ذكره الناظم وأقره الشارح. انتهى كلامه رفع الله درجاته في

عليين، ثم ذكر كلام السلف رحمهم الله عن هٰذه الألفاظ بتوسع إلى غير ذٰلك.

الموضع الثامن: قوله:

سُبْحَانَهُ قَدِ اسْتَوى كَما وَرَدْ
مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ قَدْ تَعَالى أَنْ يُحَدّ

فقال (١/٢٠١) وما بعدها: وفيه الرد على من زعم أن يلزم من كونه مستوياً على عرشه أن يحد، تعالى الله عن ذٰلك؛ إذ المحدود محدث، والمحدث مفتقر للخالق، والخالق سبحانه ﴿**هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

قال العلامة ابن سحمان رحمه الله في «التنبيه» (ص ٤٠) وما بعدها:

فأقول: اعلم وفقك الله أن هٰذا الكلام الذي أورده الشارح في هٰذا المقام من الألفاظ المجملة الموهمة المطلقة المحتملة لمعنيين: حق، وباطل؛ فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها:

كما قال ابن القيم رحمه الله على هٰذه الألفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها: ويقولون: نحن ننزه الله تعالى عن الأعراض والأغراض والأبعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث، فيسمع الغر المخدوع هٰذه الألفاظ، فيتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق من العيوب والنقائص...

وقال أبو العباس قدس الله روحه: وكذلك إذا قالوا: إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات؛ أوهموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات، وهذا المعنى صحيح، ومقصودهم أنه ليس مبايناً للخلق ولا منفصلاً عنه، وأنه ليس فوق السماوات ولا على العرش إله، وأن محمداً لم يعرج به إليه ولم ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء ولا يتقرب إليه بشيء، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ولا غيره. . . ونحو ذلك من معاني الجهمية. انتهى.

فإذا تبين لك هذا؛ فاعلم أن قول الشارح على هذه اللفظة المحتملة الموهمة المطلقة؛ حيث قال: «تعالى الله أن يحد! وفيه الرد على من زعم أنه يلزم من كونه مستوياً على عرشه أن يحد، تعالى الله عن ذلك. . .»: هو من كلام أهل البدع من الجهمية وغيرهم ممن نحا نحوهم من المتكلمين. . .

ثم ساق كلاماً طويلاً بنقولات في ذلك وبراهين وكلاماً عظيماً لأئمة السلف.

الموضع التاسع: قوله (١/ ٣٢٠):

وجـازَ لِلْمَـوْلـى يُعَـذِّبُ الـوَرَى
مِنْ غَيْرِ ذَنْـبٍ لا ولا جُرْمٍ جَرَى

علق العلامة أبا بطين رحمه الله على ذلك قائلاً: لو ترك ذلك؛ لكان أولى؛ لأن ذلك مخالف لما عليه محققو أهل السنة، ولما دلت عليه ظواهر الكتاب والسنة، وموافق لما عليه الأشعرية؛ من أن الله

يعذب المطيع ويثيب العاصي، وأن ذٰلك بالنسبة إليه سبحانه سواء. . .

ثم ذكر كلاماً ونقولات طويلة حول ذٰلك.

وقال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١ / ٢٤٤): هذا غلط من صاحب العقيدة السفارينية. . .

إلى غير ذٰلك من المواضع غير الكثيرة.

الموضع العاشر:

قال رحمه الله ورفع درجته عندما شرع في مقدمة كتابه الفذ الذي بين أيدينا، وهو «نتائج الأفكار»، وذكر النبي ﷺ، فوصفه بأنه: «نور الأنوار وسر الأسرار»:

وهٰذا ـ سلمنا الله وإياك ـ نوع من أنواع الخوض في ألفاظ الصوفية المذمومة، ونوع من أنواع الغلو.

ولقد كان ﷺ يخاف على أمته من هٰذا الغلو، ويحذرهم من أسبابه؛ فقد روى النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٤٩)، والإمام أحمد (٣/ ٢٤٩)؛ بسند جيد؛ كما حكاه غير واحد من العلماء، عن أنس رضي الله عنه؛ أن أناساً قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا! وسيدنا وابن سيدنا! فقال: «يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل».

وهٰؤلاء القوم الذين تأثر بهم السفَّاريني رحمه الله قوم بالغوا في مدحه ﷺ، وفي وصفه بما لا يستحقه إلا الله تعالى من العلم والملك

والتصـرف، حتى صرفـوا له حق الله عز وجـل من الـدعـاء والـرجاء والتفويض للأمور والاعتماد عليه، وقد ظهر من ذٰلك الشيء الكثير، نسأل الله العافية والسلامة.

الموضع الحادي عشر:

وكذٰلك في نفس هٰذا الكتاب، عندما ترجم رحمه الله لراوي الحديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وذكر وفاته؛ قال: «وما زال قبره يزار ويتبرك به»!! ولم يذكر ـ غفر الله له ـ تعقيباً أو استدراكاً على ذٰلك.

وهل التبرك بالقبور إلا شر بدعة دعت إلى الشرك بالله؟! وهل من بدعة أعظم منها؟! نسأل الله العافية والسلامة.

واعلم أخي ـ وفقنا الله وإياك ـ أن عقيدة أهل السنة والجماعة الخـالصة هي التي لم يشبها أي شبهةٍ أو انحراف أو زيغ، سواءٌ في الألفـاظ أو في المعتقـدات، وهٰـذا معلوم من منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، ومن تتبع واستقرأ مؤلفاتهم وكتاباتهم في العقيدة والتـوحيد بشتى أنواعه من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى عصرنا الحاضر؛ وجد العجب العجاب الذي يطيل الإنسان فيه التأمل لصفاء العقـائـد وخلوهـا من أدنى شائبةٍ أو حرف، ثم بعد القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية ظهرت البدع وظهرت الشركيات والأحزاب والفرق والملل ومصائب شتى، وانتشرت انتشاراً مفزعاً، نسأل الله عز وجل أن يردنا إليه ردّاً جميلاً.

ثم اعلم يا أخي ـ وفقنا الله وإياك ـ أن العلامة السفَّاريني رحمه

الله ما وقع فيما وقع فيه؛ إلا بتأثره ببعض مشايخه الذين درس وتتلمذ عليهم؛ حيث وجد منهم من سلك سبل الصوفية أو الأشعرية أو النقشبندية . . . وقلّ من علماء تلك المنطقة وغيرها في ذلك الوقت من نجا، والله المستعان.

وأخيراً . . .

وخلاصة القول: يتبين لنا من كلام الإمام السفَّاريني رحمه الله أن عقيدته سلفية؛ إلا أنه يؤخذ عليه بعض الأمور التي بينّاها آنفاً بالنقولات عن علماء العقيدة وفطاحلة العلم، وأمثالها لا يزيد من إجمال مُخِلٍّ أو ألفاظ أشعرية أو صوفية تدل على رضاه بذلك المسلك، وكما أسلفنا؛ فقد يظهر للمتتبع لسيرته بالتفصيل أن ذلك ليس إلا بسبب التأثر بالمشايخ والمخالطين؛ حتى إنك ترى أنه قد قرأ ودرس على بعض مشايخه بعض الكتب والرسائل غير السلفية؛ كـ «رسائل إخوان الصفا» (انظر التعليق عليها عند ذكر مشايخه الذين درسها عليهم)، وبذلك قال جل علماؤنا الأفاضل حفظهم الله ومنهم الشيخ العلامة ابن عثيمين ـ رعاه الله ـ وشيخنا العلامة الفاضل الشيخ عبدالله بن جبرين، حفظه الله على طاعته، عندما قرأه ونظر فيه(١).

نسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ولمؤلفنا، وأن يجزيه عن الإسلام خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

---

(١) للفائدة: قدِّمت رسالة لنيل درجة العالمية، في جامعة الإمام محمد ابن مسعود الإسلامية بالرياض بكلية أصول الدين، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بعنوان «منهج السفاريني في أصول الدين» للطالب رجاء الجويسر.

● وفاته :

توفي رحمه الله ورفع درجته في علّيين يوم الاثنين، الثامن من شهـر شوال، سنة ثمانٍ وثمانين بعد المئة والألف للهجرة النبوية في نابلس، وجُهِّز وصُلِّي عليه بالجامع الكبير، ودُفِن رحمه الله بالمقبرة الزاركنيَّة، وكثر الأسف عليه؛ فرحمه الله، وغفر لنا وله، وجزاه الله عنا وعن الأمة الإسلامية خير الجزاء؛ بما خلفه من مؤلفاتٍ كثيرة ومفيدة، ويسيرة عَطِرَةٍ، وبنفس زكية، إنـه أرحم الـراحمين، سميع مجيب قريب، وجمعنا وإياه في عليين.

آمين . . . آمين . . . آمين . . .

وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

● ● ● ● ●

التعريف بالكتاب والعمل فيه

● اسم الكتاب ونسبته للمؤلف:

اسمه: «نتائج الأفكار في شرح حديث سيِّد الاستغفار»، وكذا جاء في مقدمة المخطوطتين.

وكل من ترجم للمؤلف رحمه الله وذكر مؤلفاته ذكر هٰذا المؤلَّف في ضمنها وبدون استثناء.

وأيضاً؛ فإن المتتبِّع والمُطَّلع على مؤلفات السفَّاريني رحمه الله يجد تشابهاً واضحاً جدّاً في الأسلوب، والاستدلال، والاستشهاد، وربط الموضوعات، وتقرير المسائل؛ فمثلاً: انظر ترجمته للإمام أحمد رحمه الله في كتابه الفذ «غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب» (١/٩٨)، وانظرها في مقدمة هٰذا الكتاب الذي أمام ناظريك وبين يديك؛ تجد تشابهاً كبيراً بين ربط الجمل وتتابعها، وإلا؛ فالكلمات موجودة فيها بنصها، وهٰذا السبب الأخير من أقوى الأسباب تقريباً لنسبة الكتاب للمؤلف، وقد نقول: حتى وإن لم يُكتب عليه اسمه يُعرف بهٰذا السبب، ولعل المؤلف قد ذكر هٰذا الكتاب «النتائج» في

كتبه غير المطبوعة؛ إذ لم نجد ذكره إياه في كتبه المطبوعة والمتداولة، وهٰذا كثير.

● الأصول المعتمد عليها:

اعتمدنا في عملنا هٰذا ـ نسأل الله أن يبارك فيه ـ على أصلين خطيين:

ـ وجدنا صورة أحدهما في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وخطها جيِّد مقروء، مع كثرة الأخطاء فيها والسقط، وحجمها من الحجم المتوسط، وقد كتبت قبل وفاة المؤلف رحمه الله بإحدى وعشرين سنة تقريباً؛ أي سنة (١١٦٦هـ)، ورمزنا لها بحرف (ز).

ـ والأخرى يوجد لها صورة في مكتبة الحرم المكي الشريف، حصلنا عليها بواسطة فضيلة الشيخ محمد السبيل جزاه الله خيراً، وخطها جيد ومقروء، وقليلة الأخطاء والسقط، ولذٰلك؛ فقد جعلناها الأصل المعتمد عليه، مع أنها كتبت في نفس السنة التي توفي فيها المؤلف رحمه الله وغفر له، ورمزنا لها بحرف (ك).

● عملنا في الكتاب:

١ ـ المقابلة بين النسختين، وإثبات الأصح، وإن اتفقنا على خطأ أثبتناه من مقتضى السياق، أو من النص المنقول منه ـ إن وُجِدْ ـ.

٢ ـ عزو الآيات القرآنية.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية وبعض الآثار، مع عدم الإطالة،

وإذا كان الحديث في «الصحيحين» أو أحدهما؛ فإننا نكتفي بعزوه؛ إلا إذا اقتضت المصلحة تفصيلاً.

٤ ــ نترجم للأعلام الذين ذكرهم المؤلف ـ رحمه الله ـ إلا من اشتهر من بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

٥ ــ التعليق على بعض المسائل بقدر المستطاع المفيد.

٦ ــ إذا نقل المؤلف من بعض الكتب بنصها؛ فإننا نبين النقل من الأصل المنقول منه.

٧ ــ شرحنا الألفاظ الغريبة من معاجم اللغة ومجاميعها.

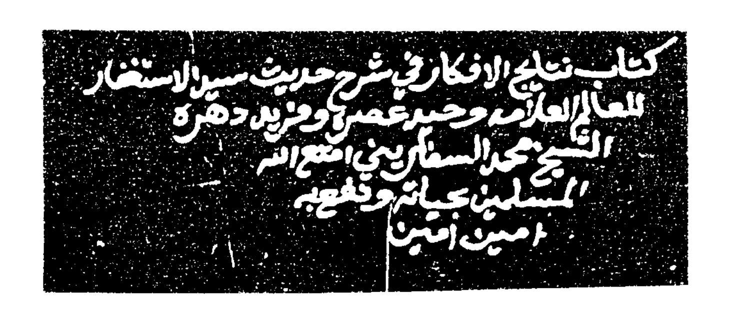
٨ ــ عزونا للأبيات الشعرية الواردة بقدر المستطاع.

٩ ــ عرفنا بالفرق والطواف الواردة في الكتاب.

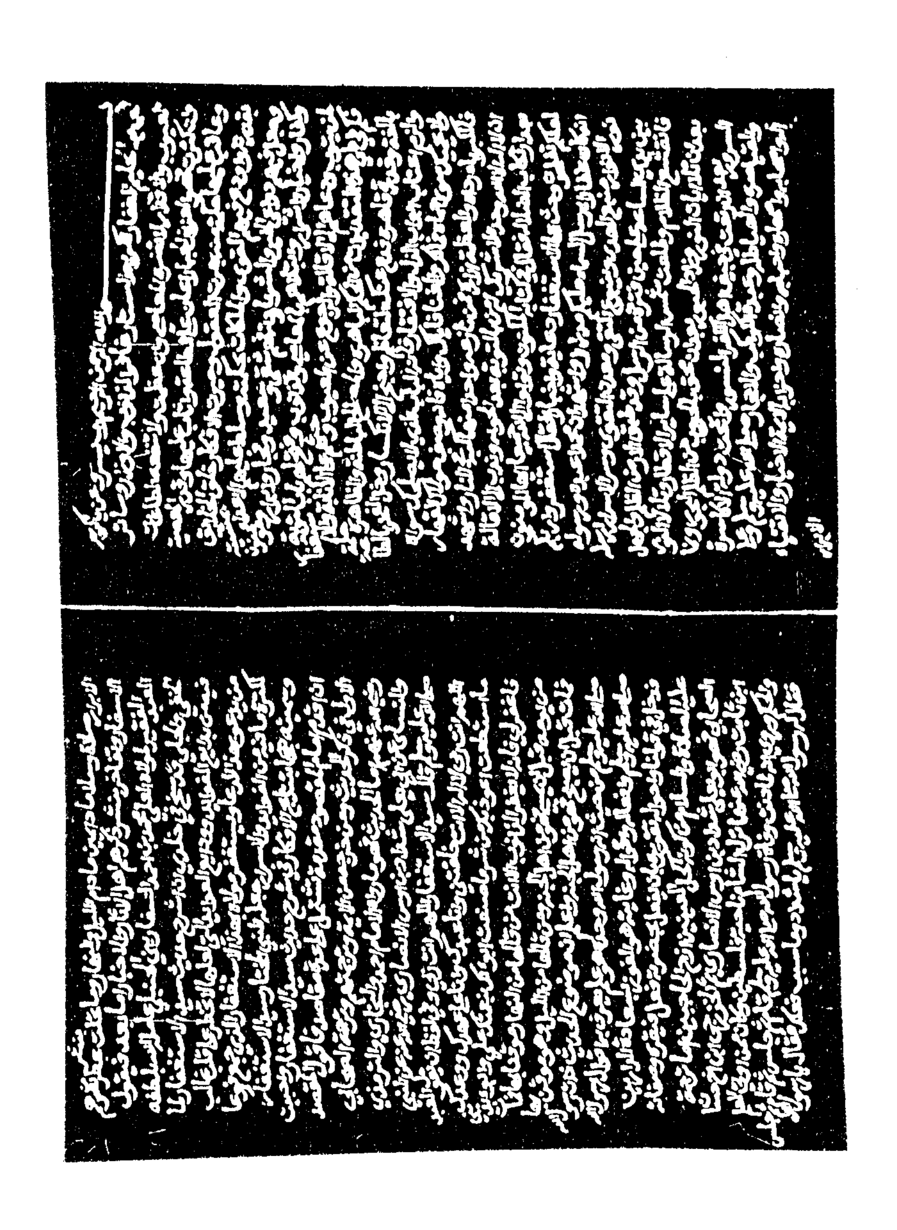
١٠ ــ عرَّفنا بالأماكن والبلدان.

وقد قمنا ـ بفضل الله تعالى ـ بعمل فهرس تفصيلي للكتاب تجده في آخره محبة للفائدة وتسهيلاً للوصول للمبتغى، نسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسنات العامل عليه، إنه جواد كريم.

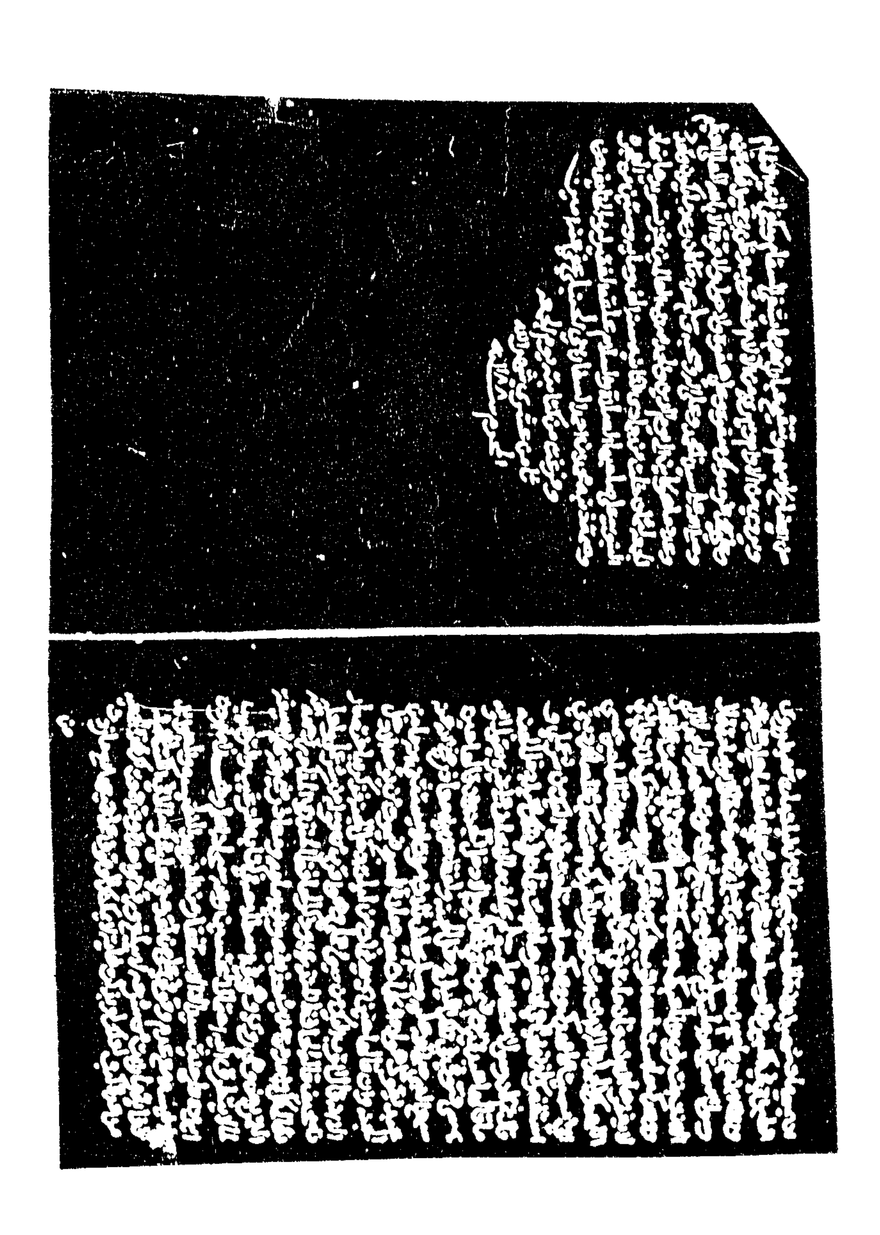
●●●●●


كتاب نتايج الافكار في شرح حديث سيد الاستغفار
للعالم العلامة وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد السفاريني امتع الله
المسلمين بحياته ونفع به
امين امين

صورة غلاف النسخة المكية



الورقة الأولى من النسخة المكية



الورقة الأخيرة من النسخة المكية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الحليم الغفار الكريم الستار غافر الذنب والأوزار وساتر العيوب
والأقذار الذي لا تضره المعاصي وإن عظمت ولا تنفعه الطاعات وإن كثرت
فهو الغني الجبار الذي أمر بالطاعة وأثاب عليها وقدر المعصية وعاقب
عليها لحكمة منه بهرت العقول وحيرت الأفكار خلق الخلائق بقدرته وأوقع
فيهم القضاء والآفات بحكمته وسلط عليهم الأعداء بمشيئته وجعل فيهم
دواعي الخير والشر بإرادته فمنهم شقي وسعيد وفجار وأبرار ومؤمنون وكفار
وأخيار وأشرار وابتلاهم بالمعاصي والذنوب وفتح لهم باب التوبة لمن يتوب
ودعاهم إلى الإقلاع والرجوع عن الذنوب وحثهم على الإنابة والاستغفار
فكم يخفى على هذه التقديرات من الحكم الباهرة والحكم والمصالح الباطنة والظاهرة
حكمة بالغة وقدرة قاهرة فرب عبد يتعاظم ويلجئه إلى الانكسار ويخذل الفخر
بالطاعة ولزم الأعتاب بأبواب الذل والافتقار فإنه الباب الذي لا يدخله
سالك ولا يحملك سوى مولاك والمتذلل ببابه فإنه وجد مولاه
الغفار فأكبر الذنوب والمعظمة إذا تاب التائب منها طهره وأبعده في النار
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من بالتوبة بعد الحوبة وتكرم
إلا أنه تاب على من عصاه بعد الضلالة فقال في كتابه المكنون وتوبوا إلى الله
جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وحث على الاستغفار عبيده وأحبابه
فقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله الذي أرسله منبع الهدى وينبوع التقى ومعدن الذكر
وسيد الأنبياء المرسل بين يدي الساعة على حين فترة من الرسل وقد امتلأت
الأرض من الظلم والجهل فانقشعت به الظلم وطلعت شمس الرسالة على أهل الأقطار

الورقة الأولى من نسخة المكتبة المركزية

على عهدك ووعدك ما استطعت اتوب اليك من شر عملي واستغفرك لذنوبي
التي لا يغفرها الا انت فان مات في ذلك اليوم دخل الجنة وان قال حين
يمسي اللهم انت ربي لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك امنت بك مخلصا لك
ديني اني اصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت اتوب اليك من شر عملي
واستغفرك لذنوبي التي لا يغفرها الا انت فان مات في تلك الليلة دخل الجنة
قال ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلف ما لا يحلف على غيره يقول
والله ما قالها عبد في يوم فيموت في ذلك اليوم الا دخل الجنة وان قالها
حين يمسي فمات في تلك الليلة دخل الجنة [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم يحلف [illegible] لا يستثني انها من عبد
يقولها [illegible] صلاة الصبح فيموت من يومه الا دخل الجنة وان
قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة فذكره اختصارا الا انه قال اتوب
اليك من سيئ عملي وهو اقرب من قوله من شر عملي ولعله تصحيف قاله الحافظ
المنذري وذكر الحافظ المنذري المذكور رحمه الله تعالى كل واحد من حديث
حذيفة وابي امامة ومعاذ رضي الله عنهم بصيغة التمريض وهي [illegible]
في اصطلاحه في كتابه الترغيب والترهيب لما لا يتطرق اليه احتمال التحسين
والله سبحانه اعلم وهذا ما اردت ايراده على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الورقة الأخيرة من الشرح من نسخة المكتبة المركزية

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما كان وعدد ما يكون
وعدد ما هو كائن إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين تم تسويدها نهار
الجمعة لثمان خلت من جمادى الثانية سنة ألف ومائة وستين من الهجرة
النبوية على صاحبها الصلاة والسلام على يد الفقير لربه الخائف وصمة
ذنبه محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي عفي عنه آمين ونفعنا الله بها وبه
تمت بحمد الله تعالى

الورقة الأخيرة من نسخة المكتبة المركزية

نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله الحليم الغفار، الكريم الستَّار، غافر الذنوب والأوزار، وساتر العيوب والأقذار، لا تضرُّه المعاصي وإن عظُمت، ولا تنفعه الطاعات وإن كثُرت[1]؛ فهو العزيز الجبار، أعان على الطاعة وأثاب عليها، وقدَّر المعصية وعاقب المقدمة

(١) هٰذا مصداقه حديث أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه القدسي الطويل: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي...» إلى أن قال سبحانه: «يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم؛ ما زاد ذٰلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم؛ ما نقص ذٰلك من ملكي شيئاً...».

(وهٰذا من الأحاديث القدسية التي تقوم بإظهار قدرة الله وعظمته، وسعة ملكه، وعزته وجبروته، وغالبها تأتي في أسلوب جميل، يجذب القلوب، ويرقق الطبائع، وقلما نجد فيها وعيداً أو ترهيباً من نوع ما نجده في القرآن الكريم، أو =

عليهـا[٢]؛ حِكْمـةً منه بَهَرَت العقول وحَيَّرت الأفكار، خَلَقَ الخلائق

= الأحاديث النبوية. . .)[١].

والحديث رواه الإمام مسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة، في باب تحـريم الـظلم، ١٦/١٣٣ - ١٣٤ - نووي)، والإمـام أحمـد في «المسنـد» (٦/١٦٠)، كلاهما من طريق: عبدالصمد بن عبدالوارث، قال: حدثنا قتادة، عن أبي قِلابة، عن أبي أسماء، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه به.

ورواه الترمذي في «سننه» (كتاب صفة القيامة، باب رقم ٤٨، وحديث ٢٤٩٥، ٤/٦٥٦) من طريق: هنَّاد، حدثنا أبو الأحوص، عن ليث، عن شَهْر ابن حوشب، عن عبدالرحمٰن بن غُنْمٍ، عن أبي ذر رضي الله عنه، بنحوه.

ورواه ابن ماجـه في «السنن» في (كتاب الزُّهد، باب ذكر التوبة، برقم ٤٢٥٧) من طريق: عبـدالله بن سعيد، ثنـا عبدة بن سليمان، عن موسى بن المسيب الثقفي، عن شهر بن حوشب به.

(٢) قوله: «قدَّر المعصية وعاقب عليها: قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح قول الإمام الطحاوي رحمه الله: «ولا يكون إلا ما يريد»: بعد أن تكلم ورد على القدرية والمعتزلة وبعض الطوائف التي ضلت في هٰذا الباب؛ قال رحمه الله:

وتحقيق هٰذا ممـا يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى: هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟ فهو سبحانه أَمَرَ الخلق على أَلْسُنِ رسله عليهم السلام بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، ولٰكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد سبحانه أن يخلق ذٰلـك الفعـل ويجعله فاعلاً له، ومنهم من لم يُرد أن يخلق فعلَه؛ فجهة خلقه =

---

(١) ما بين المعكوفتين من مقدمة «إنعام الباري في شرح حديث أبي ذر الغفاري» للدكتور عبدالعلي حامد، والكتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية غفر الله له.

. . . .

= سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات غير جهة أمره للعبد على وجه البيان، لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة، وهو سبحانه إذ أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان؛ كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم، بل قد كان في خلقِه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدةٍ من حيث هو فعل له، فإنه يخلُق ما يخلُق لِحِكْمَةٍ، ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحةً للمأمور إذا فعله أن يكونَ مصلحة للآمر إذا فعله هو أو جعل المأمور فاعلاً له. . .

ثم أبدع رحمه الله في حل نزاع هذه المسألة، إلى أن قال: وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره تعجز عن معرفته عقولُ البشر. والقَدَرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة مثَّلوا الله فيها بخلقه، ولم يثبتوا حكمةً تعود إليه. انتهى.

وقد تكلم شيخ الإسلام، البحر، الحبر، العلامة، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ورضي عنه عن هذا بما يشفي الغليل والعليل، في كتاب (القدر) من «مجموع الفتاوى»، وفي ضمن كلامه هناك كلاماً مفيداً أحببنا إيراده بنصه للفائدة.

قال رحمه الله: إن الله لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، بل قال لِما نهى عنه: **﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾** . . . والله خالق كل شيء، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون في الوجود إلا ما شاء، وقد ذكر الله في موضعٍ أنه يريدها، وفي موضع أنه لا يريدها، والمراد بالأول أنه شاءها خَلْقاً، وبالثاني أنه لا يحبها ولا يرضاها أمراً. . . إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى (٨/ ١٥٩).

وممن تكلم في ذلك أيضاً وأبدع: شيخ الإسلام الثاني، والعالم الرباني، الإمام، العالم، ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه الفذ العظيم، الذي =

بقدرته، وأَوْدَع فيهم القُوى والمَلَكات بِحكمته، وسلَّط عليهم الأعداء بمشيئته[٣]، وجعل فيهم دواعي الخير والشر بإرادته، فيهم شقيٌّ وسعيد، وفُجَّار وأبرار، ومؤمنون وكُفَّار، وأخيار وأشرار، وابتلاهم بالمعاصي والذُّنوب، وفتح عليهم التوبة لمن يتوب، ودعاهم إلى الإقالة[٤] والرُّجوع عن العيوب، وحثَّهم على الإنابة والاستغفار[٥].

= سماه «شِفَاءُ العَليل في مسائل القضاء والقَدَر والحكمة والتعليل»؛ فرحمه الله تعالى وغفر لنا وله؛ فقد نصر مذهب أهل السنة في هٰذه المسألة، ورد كيد المبتدعة المضللة.

وقد تكلم على هٰذه المسألة أيضاً في غير موضع من كتبه: كـ «مدارج السالكين» (١/٤٣٨)، وكذا في جَعْلِهِ لها فصلاً خاصّاً في نونيته المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

(٣) كما قيل:

إنِّي بُليتُ بأربع ما سُلِّطوا ... إلا لأجل شقاوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

(٤) أقال الله فلاناً؛ أي: صَفَحَ عنه، و(الصَّفْح): هو العفو والتجاوز. «لسان العرب» (مادة: قيل).

(٥) وذٰلك في عدة آيات من الذكر الحكيم وعدة أحاديث من جوامع كَلِمِهِ ﷺ.

قال شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى في «مجموع الفتاوى»: ... ويحتاج المسلم في ذٰلك إلى أن يخاف الله ـ أي: حين تزكيته لنفسه وتوبته ـ، وينهى النفس عن الهوى، ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليها، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها؛ كان نهيه عبادة لله، وعملاً صالحاً، وثبت عنه أنه قال: =

فكم في طيِّ هٰذه التقـديرات من الحِكَم البـاهِرَة، والمصالح الباطنة والظاهرة، حِكمَةٌ بالغةٌ، وقدرة ظاهرة.

فَدَعْ عنك التَّعاظُم، واجْنَح إلى الانكسار، وخلِّ الفخر بالطَّاعة، والزم أعتاب أبواب الذُّل والافتقار؛ فإنه الباب الذي لا يُصْلِحُك سواه، ولا يحميك سوى حماه؛ فما لك والغنى[٦]؟! فإيَّاك وإياه؛ فإنه وصفُ مولاك القهَّـار؛ «فـالكبـرياءُ رداؤه، والعظمةُ إزَارهُ، فمن نازعه واحداً منهما؛ كَبَّه في النار»[٧].

= «المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله»؛ فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها. . . فإذا كان تائباً، فإن كان ناقصاً فوقعت السيئات من صاحبه؛ كان ماحياً لها بعد الوقوع؛ فهو كالترياق الذي يدفع أثر السم، ويرفعه بعد حصوله، وكالغذاء من الطعام والشراب. انتهى كلامه رحمه الله (١٠/٦٣٦) من «مجموع الفتاوى».

(٦) أي: لا تستغنِ بنفسك، والزم باب الفقر إليه.

قال الإمام، العالم، شيخ الإسلام الثاني في «طريق الهجرتين» (ص ٦٤) ما نصه: . . . واعلم أن الغنى على الحقيقة لا يكون إلا بالله، الغني بذاته عن كل ما سواه، وكـل ما سواه فمـوسوم بسمة الفقر، كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع. انتهى.

ثم عقد رحمه الله فصولاً متتابعة في ذكر حقيقة الغنى وأجاد ـ رفع الله منزلته ـ.

(٧) هٰذا اقتباس من المؤلف رحمه الله لحديث: «العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عذبته».

الحـديث رواه مسلم في «صحيحـه» (كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر، ١٨/١٧٣ ـ نووي)، وكذا البخاري في «الأدب المفـرد» برقم (٥٥٢، في =

. . . .

= باب الكبر)، رواه من طريق: أبي إسحاق السبيعي، عن أبي مسلم الأغر؛ أنه حدثه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ قالا: قال رسول الله ﷺ (فذكره).

ورواه أبو داود في «السنن» برقم (٤٠٩٠، في كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر)، وابن ماجه برقم (٤١٧٤، في كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع) بنحوه، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٣٢٨، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها)، وفيه زيادة: «. . . ومن اقترب إليَّ شبراً؛ اقتربت منه ذراعاً. . . » الحديث، وكذا رواه أيضاً برقم (٥٦٧١، في كتاب الحظر والإباحة، باب التواضع والكبر والعجب)، كلهم من طرق عن عطاء بن السائب، عن سلمان الأغر ـ أبي مسلم ـ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه أيضاً الإمام أحمد (٢/٤١٤) من طريق: عفان، عن حماد بن سلمة، عن سهيل، عن عطاء بن السائب به.

وكذلك رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٦١) من طريق: حماد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ فذكره بلفظ: «الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته». وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، إنما أخرجه مسلم من طريق الأغر عن أبي هريرة بغير هذا اللفظ. ووافقه الذهبي.

ورواه الإمام أحمد (٢/٢٤٨) من طريق: سفيان، عن عطاء بن السائب، عن الأغر، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

وعندما حدَّث به سفيان رحمه الله أولَّ مرَّة؛ قال: قال رسول الله ﷺ. ثم قال: فساقه بسنده. وسماع سفيان ـ وهو ابن عيينة كما هو معلوم ـ من عطاء قبل اختلاط عطاء.

ولكن روى الإمام أحمد أيضاً له متابعاً (٢/٣٧٦) من طريق عبدالرزاق؛ =

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، منَّ بالتوبة بعد الحَوْبَة[8]، وندب إلى الإقالة بعد ارتكاب الضَّلالة؛ فقال في كتابه المكنون: ﴿**وتُوبوا إلى اللهِ جَميعاً أيُّها المُؤمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[9]، وحثَّ على الاستغفار دعاية[10] وإخباراً؛ فقال: ﴿**اسْتَغْفِروا رَبَّكُمْ إنَّهُ كانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً**﴾[11].

وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه، نور الأنوار، منبع الهدى،

= قال: أنبأنا سفيان ـ هو الثوري ـ، عن عطاء بن السائب، عن الأغر به، وسماع سفيان الثوري من عطاء قبل الاختلاط.

والحديث أيضاً رواه عبدالرزاق في «المصنف» كما سبق برقم (**١٩٥٤٧**) من طريقه عن معمر، عن قتادة؛ أن النبي ﷺ قال: «الكبرياء رداء الله، فمن نازع الله رداءه قصمه».

وهٰذه الطريق مُرْسلةٌ، من قِبَل قتادة وهو ابن دعامة السدوسي، وهو مدلِّس أيضاً.

ومن نافلة القول أذكر كلمات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نافعة، يقول في رسالته «العبودية» (ص ١١١): فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، ولهٰذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار. انتهى كلامه قدس الله روحه.

(٨) (الحوبة): الإثم أو المآثم، وهي بفتح الحاء وضمها. «اللسان» (مادة: حوب).

(٩) النور: ٣١.

(١٠) (دعاية): مصدر دعا، وهو الحث على قصد الشيء. «اللسان».

(١١) نوح: ١٠.

وينبوع التُّقى، ومعدن التَّقوى، وسِرُّ الأسرار(١٢).

---

(١٢) قوله: «نور الأنوار، وسر الأسرار»، هٰذه الألفاظ من الغلو والإطراء في حق النبي ﷺ التي وقع فيها المؤلف رحمه الله وغفر لنا وله؛ فلا يجوز أن يقال: إنه سر الإسرار. . . ونور الأنوار ونحوها من الكلمات التي فيها تَعَدٍّ للحدِّ الذي عليه النبي ﷺ ورفْعِهِ عليه الصلاة والسلام عن مكانته ومقامه؛ وكما قال ﷺ فيما رواه البخاري في «صحيحه» وغيره: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبدالله ورسوله».

قال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله في «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» (ص ٢٧٢) في شرحه لهٰذا الحديث: أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي، كما غلت النصارى في عيسى فادَّعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبدالله؛ فصفوني بذٰلك كما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله. اهـ.

وهٰذه الكلمات إنما يطلقها الصوفية على من عظموه وغلوا فيه، وإنما حادوا بذٰلك عن الكتاب والسنة؛ فضلُّوا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما ذاك إلا فتحُ باب واسع لما هو أدهى وأمر، وإنما أطلقوا ذٰلك على من بلغ الذروة عندهم بزعمهم.

وأورد الشيخ العالم إحسان ظهير، المتوفى سنة (١٤٠٧هـ) رحمه الله في كتابه الفذ «دراسات في التصوف» نقلاً عن كتاب «إيقاظ الهمم» لابن عجيبة! أنه قال: إن القلوب إذا صفت من الأكدار والأغيار، وملئت بالأنوار والأسرار لا يتجلَّى فيها إلا الحق! نسأل الله السلامة والعافية عقلاً وديناً.

تنبيه: قوله «نور الأنوار» ورد في كتاب الله عدة مواضع تصف النبي ﷺ بالنور؛ كقوله في سورة المائدة آية (١٥): **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾**، قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله عند هٰذه الآية (٦/ ١٦١): قد =

أرسله بين يدي السَّاعة على حين فتْرةٍ من الرُّسل[١٣]، وقد طبَّق الأرض الظُّلم والجهل؛ فانقشع الظلام، وطلعت شمس الرِّسالة على سائر الأقطار، وتلألأ النور بعد أن تلا آيات النور، وزاد الحُبُور[١٤] بعد أن محق بالحروب من الظُّلْم البُحُور، ونَما السُّرور بعد أن رَتَعت في

= جاءكم يا أهل التوراة والإنجيل من الله نور، يعني بالنور: محمداً ﷺ الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك؛ فهو نور لمن استنار به، يبين الحق... إلخ ما قال رحمه الله.

وكذا قال الإمام أبو محمد الحسين البغوي رحمه الله في (٣/٣٣) «معالم التنزيل»، وحكاه أيضاً أبو عبدالله القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» في (٣/٢١١٥).

(١٣) قال تعالى: ﴿**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير...**﴾ الآية [المائدة: ١٩].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره لهٰذه الآية: «أي: انقطاع ما بين النبيين، وهٰذا عن جماعة من أهل العلم، حكاه الرُّماني، وقال: والأصل فيه انقطاع العمل عما كان عليه من الجد فيه. انتهى.

وأورد رحمه الله عن ابن سعد في «الطبقات» أنه كان بين ميلاد عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ خمس مئة سنة وتسع وستون سنة، بُعث في أولها ثلاثة أنبياء، وهو قوله تعالى: ﴿**إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث**﴾. انتهى. «الجامع لأحكام القرآن» (٣/٢١١٨).

(١٤) (الحُبُور): جمع حَبْرَة، وهو بمعنى السرور والنعمة وسعة العيش. «اللسان» (مادة: حَبَرَ).

جِيَف أهل الكفر النُّسور، وانْمحت دولة الأكاسِرة[١٥]، والقَيَاصِرةِ[١٦]، والهَياطِلةِ[١٧]، وعَبَدةِ الكواكب والأحجار[١٨].

صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آلـه وصحبـه وأصْهـارِه[١٩] وأحبَابه وأنْصارهِ وأحْزابه الأئمة الأخيار والأتقياء الأبرار، صلاةً وسلاماً دائمين ما دامَ اللَّيل والنَّهار، وما تحلَّت بِنَشْر عِطرهم الأسفار[٢٠]، وتفاخر بِنَشْرِ ذكرهم أهل الآثار والأخبار.

أما بعد:

سبب تأليف الكتاب

فيقول العبد الفقير لمولاه العليّ، محمد بن أحمد السَّفَّاريني الحنبلي، عامَلَهُ الله بلُطْفِهِ الخَفي والجَلِي:

---

(١٥) (الأكاسرة): جمع كِسْرَى، وهو اسم لكل من صار ملكاً على بلاد فارس.

(١٦) و(القياصرة): جمع قيصر، وهو اسم لكل من صار ملكاً على بلاد الروم.

(١٧) (الهياطلة): جيل من الناس من الهند والترك، كانت لهم شوكة، وكانت لهم بلاد. «لسان العرب» (مادة: هَطَلَ)، «القاموس المحيط» (ص ١٣٨٤).

(١٨) عَبَدَةُ الكواكب والأحجار: من الأمم السابقة كسبأ وغيرهم.

(١٩) أصهاره: يطلق على القرابة، وحرمة الختونة، وزوج بنت الرجل، وزوج أخته.

(٢٠) (الأسفـار): جمـع سِفْـر، وهـو الكتـاب الكبير، ذو مادة علمية ضخمة. «القاموس المحيط».

قد سنح[21] في خَلَدي[22] أن أشرح حديث سيِّد الاستغفار؛ لِما فيه من بدائع الفوائد وودائع العوائد[23]، التي لعلَّها لا تَخْطُر على قلب غالبِ من يدعو بهٰذا الدعاء، ويستغفر مولاه بهٰذا الاستغفار، الذي جمع فروعاً لكثرة ما فيه من الفوائد والأسرار، جعله النَّبيُّ المُخْتار سيِّد الاستغفار.

وسَمَّيْتُه بـ «نتائج الأفكار في شرح حديث سيِّد الاستغفار».

وأَحببتُ أن أُقَدِّم أَمام المقصود مقدَّمةً تشتمل على عدة مقاصد؛ فأقول:

المقصد الأول: في ذكر الحديث ومن أخرجه من الأئمة[24] وترجمتهم وترجمة الصحابي رضي الله عنه.

مطلب
ذكر الحديث ومن رواه

أما الحديث؛ فهو ما رواه الإمام أحمد والبخاري والترمذي والنسائي عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ تخريج الحديث بإيجاز

---

(٢١) (سَنَحَ)؛ أي: عرض لي شيء. «لسان العرب».

(٢٢) (الخَلَدْ): البال والنَّفْس. «لسان العرب».

(٢٣) (العوائد): جمع عائدة، وهي المنفعة. «القاموس المحيط» (ص ٣٨٦).

(٢٤) سيأتي تخريج الحديث كاملاً مستوفىً بإذن الله تعالى في آخر الكتاب حيث ذكر المؤلف رحمه الله طرقه بشيء من التوسع؛ فأكملناه هناك إيثاراً لعدم التكرار.

قال: «سيد الاستغفار: اللهم! أنت ربي (وفي لفظ: أن يقول العبد: اللهم! أنت ربي)، لا إلـه إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهـدك ووعـدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالهـا من النهار موقناً بها فمات من قبل أن يمسي؛ فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقناً بها فمات قبل أن يصبح؛ فهو من أهل الجنة»(١).

مطلب

في ذكر تراجم رواة الحديث وراويه الصحابي

موضوع علم الحديث وحده وغايته

واعلم أن موضوع الحديث: ذات رسول الله ﷺ؛ من حيث إنه رسول الله(٢).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري» في كلامه على هٰذا الحـديث (١١/١٠٣): أي: مخلصـاً من قلبـه مصدقاً بثوابها، قال الـداودي: يحتمل أن يكون هٰذا من قوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، ومثل قول النبي ﷺ في الوضوء وغيره. . . ويحتمل أن يكون ذٰلك ناسخاً، وأن يكون هٰذا فيمن قالها ومات قبل أن يفعل ما يغفر له به ذنوبه، أو يكون ما فعله من الوضوء وغيره لم ينتقل منه بوجه ما، والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، كذا حكاه ابن التين عنه، وبعضه يحتاج إلى تأمُّل. انتهى.

(٢) قال السيوطي في مقدمة «التدريب»: ولم يزل شيخنا العلامة محيي الـدين الكافيجي يتعجب من قوله ـ أي: قول الكرماني ـ: علم الحديث ذات الرسول ﷺ، ويقول: هٰذا موضوع الطب لا موضوع الحديث. (١/٢٢).

وقد ردَّ المباركفوري قول الكافيجي في مقدمة «تحفة الأحوذي» (١/٤)، =

وحَدُّه[٣]: هو عِلْم يُعْرَفُ به أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله.

وغايته: هو الفوز بسعادة الدارين[٤].

فدخل في قولنا: «وأحواله»: تقريره بأن يُفْعَلَ بِحَضْرَتِهِ فِعل فَيُقِرُّه[٥]، وصفاته عليه الصلاة والسلام؛ من كونه أكحل العينين أزج الحاجبين[٦].

= فقال: قلنا: لم يقل الكرماني إن موضوع علم الحديث ذات رسول الله ﷺ من حيث الصحة والمرض (أي: موضوع الطب)، بل قال: موضوع علم الحديث ذات رسول الله ﷺ من حيث إنه رسول الله ﷺ... إلى أن قال: والعجب من السيوطي أيضاً أنه نقل كلام شيخه الكافيجي هٰذا وسكت... انتهى إيراده.

(٣) الحدُّ في كل فنٍّ هو التعريف، وفي (ز): وهو علم يعرف به...

(٤) لأن من تعلم الحديث وعمل به؛ نال غايته وسعادته في الآخرة.

(٥) كإقراره ﷺ أكل الضب مع عدم أكله له، وكذا سكوته ﷺ فيمن زاد على ألفاظ التلبية في الحج كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه الطويل، وهو عند البخاري في «الصحيح» وغيره من أصحاب الحديث، وفي (ز): فعل قوله!

(٦) أزج الحاجبين: قال في «اللسان»: (الزَّجَج): رِقَّةُ مَحَطِّ الحاجبين ودقتهما وطولهما وسُبُوغِهما واستقواسهما، وفي وصف النبي ﷺ: أزج الحواجب. انتهى من «اللسان» (مادة: زَجَجَ)، وكذا قال غيره من أصحاب كتب الغريب.

فنقول: أما كونه ﷺ «أكحل العينين»؛ فقد روى جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: كان في ساقي رسول الله ﷺ حُمُوشَة، وكان لا يضحك إلا تبسماً، وكنتُ إذا نظرتُ إليه؛ قلتُ: أكحل العينين وليس بأكحل... هٰذا الحديث رواه الترمذي في «سننه» برقم (٣٦٤٥، في كتاب المناقب، باب في صفة النبي =

. . . .

= ﷺ)، ورواه أيضاً في «الشمائل» برقم (٢٢٦)، وكذا رواه البغوي في «شرح السنة» برقم (٣٦٤٢، في باب صفة خَلْقه ﷺ)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/٢١٢ - ٢٤٧ - ٢٤٨)، وكذا رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/٩٧ - ١٠٥)، وأبو يعلى أيضاً في «مسنده» برقم (٧٤٥٨)، وكذا رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (١١٨٥٥)، كلهم من طريق: عَبَّاد بن العوام، عن حجاج بن أرطأة، عن سِماك بن حَرْب، عن جابر بن سمُرة رضي الله عنه به.

ورواه أبو يعلى برقم (٧٤٥٥) من طريق: عبدالرحمٰن بن صالح الأزدي؛ قال: حدثنا عبدالرحيم - هو ابن سليمان الكناني -؛ قال: حدثنا حجاج بن أرطأة به.

وهٰذان الإسنادان فيهما الحجاج بن أرطأة، وقد تكلموا فيه.

قال فيه النسائي: ليس بالقوي. وقال ابن عدي في «الكامل»: إنما عاب الناس عليه تدليسه عن الزهري وغيره، وربما أخطأ في بعض الروايات ولا يتعمد الكذب، وهو ممن يكتب حديثه. وقد قال الحافظ رحمه الله في «التقريب» جمعاً بين الأقوال فيه: صدوق كثير الخطأ والتدليس، وبهٰذا تكون حاله مقبولة مع المتابِع حيث إن أبو حاتم رحمه الله قال في «الجرح والتعديل»: إذا قال - أي الحجاج - حدثنا؛ فهو صالح وليس بالقوي، وهو هنا قد عنعن.

وللحديث شاهد من كونه ﷺ «أكحل العينين»؛ فقد روى البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٧٤ و٢٧٥) له شاهداً من طريق: أبي الحسن بن بشران؛ قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار؛ قال: حدثنا أحمد بن منصور؛ قال: حدثنا عبدالرزاق؛ قال: أخبرنا مَعْمَر، عن الزهري؛ قال: سُئِلَ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن صفة النبي ﷺ؟ فقال: كان أحسن الناس صفة وأجملها، كان ربعة إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين، أَسِيل الجبين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب . . . الحديث. =

. . . .

= و (أهدب)؛ أي: طويل شعر الأجفان؛ كما في «النهاية»، وكذلك (أسيل الجبين)؛ أي: استوى وصار أملساً.

والحديث رواه أيضاً عبدالرزاق في «المصنف» ـ كما هو ظاهر ـ برقم (٢٠٤٩٠، في باب صفة النبي ﷺ) به، وكما هو ظاهر؛ ففيه انقطاع بين الزهري وأبي هريرة رضي الله عنه.

ثم وجدت الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» أورده موصولاً في (٦/٢١)؛ فقال: وقد رواه محمد بن يحيى من وجه آخر متصل؛ فقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ـ يعني: الزُّبيدي ـ؛ قال: حدثني عمرو بن الحارث، عن عبدالله بن سالم، عن الزَّبيدي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه به. ورجاله ثقات، ومحمد بن يحيى رواه في «الزهريات»، وهي مفقودة غير موجودة.

وله شاهد ثالث رواه الإمام أحمد رحمه الله في «المسند» (١/٣٦١ ـ ٣٦٢)، وكذا ابن سعد في «الطبقات» (١/٤١٧) من طريق محمد بن جعفر ـ هو الهذلي المعروف بغندر ـ، ثنا عوف بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم في زمن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وكان يزيد يكتب المصاحف؛ قال: فقلت لابن عباس: إني رأيت رسول الله ﷺ في النوم. قال ابن عباس: فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في النوم؛ فقد رآني»؛ فهل تستطيع أن تنعت ـ أي: تصف ـ لنا هذا الرجل الذي رأيت؟ قال: قلت: نعم، رأيت رجلاً بين الرجلين جسمه ولحمه، أسمر إلى البياض، حسن المضحك، أكحل العينين، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه، حتى كادت تملأ نحره. قال عوف: لا أدري ما كان مع هذا من النعت. قال: فقال ابن عباس: لو رأيتَه في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا. =

أمـا ترجمـة الصحـابي؛ فهـو: أبـو يعلى، شداد بن أوس الأنصاري، ثم الخزرجي، ابن أخي حسان بن ثابت[٧]؛ رضي الله عنهما.

نزل الشام ناحية فلسطين، وكان ممن أوتي العلم والحِكْمة[٨]، وَرُوِيَ أنـه لمـا دنت وفـاة رسول الله ﷺ؛ قام ثم جلس، ثم قام ثم جلس، فقال له رسول الله ﷺ: «يا شداد! وما سبب فعلك؟». فقال:

= قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٧٥): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

قلت: يزيد الفارسي؛ قال فيه أبو حاتم: لا بأس به. وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول من الرابعة. وباقي الرجال كما ذكر ثقات.

أما كونه ﷺ «أزجّ الحاجبين»؛ فما وجدت حديثاً ثابتاً في ذلك، ولعل المؤلف رحمه الله أثبتها، لما ورد عند الحاكم في «المستدرك» من حديث أم معبد الطويل المعروف، واستشهد له أيضاً بحديث هند بن أبي هالة، وكلا الحديثين رواهما البيهقي في «دلائل النبوة» وغيره، وكلاهما ضعيفين لا نريد تكرار ذكر عللهما؛ فلتنظر في مواضعها في كتب السنة والسِّيَر.

(٧) حسان بن ثابت رضي الله عنه هو ابن المنذر الأنصاري الخزرجي النجَّاري، سيد شعراء المؤمنين، وشاعر الرسول ﷺ، قال ابن سعد: عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام، روى البخاري ومسلم عن ابن المسيب؛ قال: كان حسان في حلقةٍ فيهم أبو هريرة؛ فقال: أنشدك الله يا أبا هريرة، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني أيدك الله بروح القدس»؟ فقال: اللهم نعم. توفي رضي الله عنه سنة أربع وخمسين للهجرة. «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥١٢).

(٨) في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٦٤): قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن شداد بن أوس أوتي علماً وحلماً.

يا رسول الله! ضاقت بي الأرض. فقال: «ألا إن الشام سيفتح، وبيت المقدس سيفتح، إن شاء الله تعالى، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة بها إن شاء الله»[٩]؛ فكان كما أخبر ﷺ.

وكان ذا عبادة واجتهاد.

توفي سنة ثمان وخمسين من الهجرة، وله خمس وسبعون سنة،

---

(٩) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٧١٦٢)، ومن طريقه الضياء المقدسي في «فضائل بيت المقدس» برقم (٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/٨)، وأبو بكر الواسطي في «فضائل بيت المقدس» برقم (٧٩)، ومن طريقه رواه الضياء في «المختارة» برقم (٣٩)، وابن عساكر أيضاً (٣٠٢/٨)، كلاهما من طريقين عن محمد بن عبدالرحمٰن بن شداد، عن أبيه، عن جده شداد ابن أوس رضي الله تعالى عنه به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤١٤/٩): رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم، استفدنا بعض هٰذا التخريج المفيد من فضيلة الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي حفظه الله ورعاه.

ثم قال معلقاً على كلام الهيثمي: قلت ـ أي: الشيخ علي ـ: وهم معروفون، ولٰكن بالضعف؛ فقد ترجم ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣١٥/٧) لمحمد بن عبدالرحمٰن هٰذا، وقال: هو وأبوه لا يعرفان، وحديثه عنهما منكر. انتهى.

وقد سألت العلامة فضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله عن هٰذا الحديث؛ فقال لي: إنه ضعيف.

قلت: وظواهر الضعف بادية عليه لعدم وروده في جميع الروايات التي حكت قصة وفاته ﷺ، كما ذكر ذٰلك بعض أئمة هٰذا الشأن المعاصرين، والحمد لله رب العالمين.

وقيل: مات سنة إحدى وأربعين[10]، وقبره ظاهر ببيت المقدس بباب الرحمة تحت سور المسجد الأقصى، يزار ويتبرك به[11]، والله أعلم.

---

(١٠) قال الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» - المختصر - (١٠/ ٢٨٠) والحافظ الذهبي رحمه الله في «السير» (٢/ ٤٦٦): واتفقوا على موته كما قلنا في سنة ثمان وخمسين، إلا ما يُروى عن بعض أهل بيته أنه في سنة أربع وستين.

(١١) لا يجوز التبرك بقبور الصالحين، ولم تأت الشريعة الغراء إلا بإنكاره؛ لما فيه من صرف شيء من العبادة لغير الله، ولما فيه من ذريعة للشرك الأكبر المخلّد صاحبه في النار - أعاذنا الله منها -، وقد ألف علماء الإسلام فيه ما يكفي ويغني، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في عدة مؤلفات له، وكذا علماء الدعوة السلفية، تلامذة الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وقبلهم وبعدهم كثير.

ونحن هنا سنورد بعضاً من كلام أحدهم، وهو العالم الفاضل الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى، حيث قال في كتابه الفذ النافع المفيد «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» تحت (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) (ص ٣١٠) قال ما نصه: «.. فتبين أن مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم كما أن سبب الشرك بالنجوم هو الغلو فيها، واعتقاد النحوس فيها والسعود ونحو ذٰلك، وهٰذا هو الغالب على الفلاسفة ونحوهم كما أن ذاك هو الغالب على عباد القبور ونحوهم، وهو أصل عبادة الأصنام؛ فإنهم عظموا الأموات تعظيماً مبتدعاً؛ فصوَّروا صورهم، وتبركوا بها؛ فآل الأمر إلى أن عبدت الصور، ومَنْ صَوَّرَتْهُ، وهٰذا أول شرك حدث في الأرض، وهو الذي أوحاه الشيطان إلى عبَّاد القبور في هٰذه الأزمان؛ فإنه ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عليها من محبة =

. . . .

= الصالحين وتعظيمهم، وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد، فاعتادوها لذلك، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى الدعاء به والإقسام على الله به. . . فإذا تقرر ذلك عندهم؛ نقلهم منه إلى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثناً يعكف عليه، وتعلّق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم، ويقبّل ويحج عليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم؛ نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيداً ومنسكاً، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا مما قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسولَه ﷺ من تجريد التوحيد لله، وألّا يعبد إلا الله. . .

ثم قال رحمه الله: وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطّغام ـ أي: أوغاد الناس ـ وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين؛ حتى عادَوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفَّروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك ﴿**وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون**﴾. انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وإنما أتينا به للفائدة.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام كثير وطويل حول هذا الموضوع وبيان عظيم خطره على العقيدة، وأن التبرك أصل الوقوع في الشرك وعبادة غير الله ـ نعوذ بالله من ذلك ـ؛ لأنها عبادة بُنيت على غير أساس من الكتاب والسنة، وكذا: فإن الشرك قد فشى وكثر في هذه الأزمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا من أسبابه ووسائله التي قد فشت وكثرت خاصة في هذه الأزمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم اعلم أن هذه من الألفاظ الشركية غير المقبولة التي تأثر بها المؤلف رحمه الله تعالى بأهل زمانه.

ولا نقول إلا كما قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، المتوفى سنة =

فصل

توجمة الإمام أحمد

وأما ترجمة الإمام أحمد؛ فهو أحمد بن محمد بن حنبل، وقد اشتُهِرَ بنسبته إلى جَدِّه أبي أبيه حنبل بن هِلاَلِ بن أسد الشيباني؛ لأنه من بني شيبان ـ بفتح الشين المعجمة ـ ابن ذُهَل ـ بضم الذال المعجمة ـ بن ثعلبة؛ كما نسبه ولده عبدالله، واعتمده الخطيب[1] وغيره..

= (١٢٢٥هـ)، رحمه الله تعالى، في «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين»؛ حيث قال ما نصه:

واعلم رحمك الله أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدمُ صدق وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد يكون منه الهفوة والزلَّة، وهو فيها معذور؛ فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن يُغمط مكانه وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين. انتهى.

وأحببنا ذكر خطر التبرك غير المشروع هنا مع أن المؤلّف رحمه الله قد ساقه أو أتى به على طريقة مَنْ سبقه مِنَ السلف السابقين بذكر هٰذه اللَّفظة، وعدم التنبيه عليها، مع عدم إقرارهم إياها؛ لأن هٰذه الألفاظ مما لا ينبغي إمرارها من غير تنبيه، وكذٰلك سبق أنْ قد علِمنا أن المؤلف رحمه الله قد تأثر ببعض مشايخه وأهل العلم في عصره ممن أخذهم هٰذا التيار، عافانا الله وإياك.

(١) في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٣) وقال: ... وإنما كان ـ أي: الإمام أحمد ـ من بني شيبان بن ذُهَل بن ثعلبة، وذُهَل بن ثعلبة هٰذا هو عم ذُهَل بن شيبان، حدثني من أثق به من العلماء بالنسب.

والخطيب هو البغدادي المعروف، ولد سنة (٣٦٢هـ) وتوفي سنة (٤٦٣هـ)، واسمه: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد، وكنيته أبو بكر.

وغلَّط الخطيبُ عباساً الدوريَّ[٢] وأبا بكر بن أبي داود[٣] في قولهم[٤]: إنه من ذُهَل بن شيبان بن ثعلبة؛ قال: وذُهَل بن ثعلبة هو عم ذهل بن شيبان.

المروزي، ثم البغدادي؛ لأنه قُدِمَ به من مرو[٥] إلى بغداد وهو حمل، فولد بها في ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة، ونشأ بها، وسمع من شيوخها، ثم دخل البصرة، والكوفة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة، وغيرها.

---

(٢) هو عباس بن محمد بن حاتم بن واقد الدُّوري البغدادي، ثقة، حافظ، ناقد، أحد المصنِّفين، ولد سنة (١٨٥هـ) سمع من أبي داود الطيالسي وغيره، ولازم يحيى بن معين، حدَّث عنه أصحاب السنن الأربعة، توفي رحمه الله سنة (٢٧١هـ).

(٣) هو عبدالله بن سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني، ولد سنة (٢٣٠هـ)، صاحب التصانيف، العلامة، الحافظ، شيخ بغداد، وهو ابن صاحب السنن المعروف بأبي داود، كان من بحور العلم والحديث، صنَّف «السنن»، و«المصاحف»، و«شريعة القاري»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«عقيدته» المعروفة المنظومة، وقد شرحها المؤلف رحمه الله في كتاب له سماه «لواقح الأفكار السنية في شرح منظومة أبي بكر بن أبي داود الحائية»، وقد طبعت بتحقيق الشيخ عبدالله البصيري، ممثلة في أطروحة لنيل الدرجة العالية، وله أشياء أخرى، توفي رحمه الله تعالى سنة (٣١٦هـ).

(٤) وذلك نقلاً عن الخطيب في «تاريخه» في الموضع السابق.

(٥) مرو: بلد بفارس، يقال له: أم خراسان، افتتحه حاتم بن النعمان الباهلي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (٣١هـ).

من سمع منهم

وسمع من:

إسماعيل بن عُلَيَّة(٦).

وهشيم بن بشير(٧).

ويحيى بن سعيد القطان(٨).

وسفيان بن عيينة(٩).

---

(٦) هو الإمام، العلامة، الحافظ، الثبت، أبو إسحاق، إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم، المشهور بابن عُلَيَّة، وهي ـ أي: عُلَيَّة ـ أُمُّه، ولد سنة (١١٠هـ)، كان إماماً، مفتياً، فقيهاً، من أئمة الحديث، ممن روى عنه يحيى بن معين والإمام أحمد، توفي سنة (١٩٣هـ).

(٧) هو هُشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السُّلمي، أبو معاوية، ابن أبي حازمٍ الواسطي، ولد سنة (١٠٤هـ)، ثقة، ثبت، كثير التدليس والإرسال الخفي، سكن بغداد ونشر بها العلم، وصنَّف التصانيف، أثنى عليه العلماء بالحفظ، توفي سنة (١٨٣هـ).

(٨) هو يحيى بن سعيد بن فَرُّوخ القطان، أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة (١٢٠هـ)، ثقة، حافظ، إمام، قدوة، ساد الأقران وبرع في العلم، تكلم في العلل والرجال وله كتاب في ذٰلك، وتخرج به الحفاظ، توفي رحمه الله سنة (١٩٨هـ).

(٩) العلاّمة، الحافظ، شيخ الإسلام، سفيان بن عيينة بن أبي عمران بن ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، قال ابن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير منه. وقال الإمام أحمد: ما رأيت أعلم بالسنن منه. وكان رحمه الله ربَّما دلَّس، ولٰكن عن ثقة، قال الحافظ العلاَّمة محمد بن حبان البُستي رحمه الله في مقدمة «صحيحه» (١/ ١٦١ ـ معه الإحسان) عند كلامه على تدليس الثقات وعدم قبوله =

وعبد الرزاق الصنعاني[١٠].

وغيرهم.

وروى عنه:

ابناه صالح[١١] وعبدالله[١٢].

وابن عمه حنبل بن إسحاق[١٣].

= عند الإبهام؛ قال: «... اللهم إلا أن يكون المدلِّس يُعْلَمُ أنه ما دلَّس قط إلا عن ثقة، فإذا كان كذلك؛ قُبلت روايته وإن لم يُبَيِّن السماع، وهذا ليس في الدنيا إلا سفيان بن عيينة وحده. اهـ. توفي رحمه الله سنة ثمان وتسعين ومئة للهجرة.

(١٠) عبدالرزاق بن همَّام بن نافع الحافظ الكبير، أبو بكر الصنعاني، صاحب التصانيف، وثَّقه غير واحد، وحديثه مخرَّجٌ في الصحاح، ونقموا عليه التَّشيع، وما كان يغلو فيه، بل كان يحبُّ علياً رضي الله عنه، ويُبغض من قاتله، وكان من أوعية العلم، له مصنف مشهور ذو مكانة حديثية عظمى، توفي رحمه الله سنة عشر بعد المئتين للهجرة.

(١١) صالح بن أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد، الإمام، المحدِّث، الحافظ، الفقيه، القاضي، أبو الفضل الشيباني، سمع أباه الإمامَ وتفقَّه عليه، وهو أكبر إخوته، توفي رحمه الله سنة ست وستين ومئتين للهجرة.

(١٢) عبدالله بن أحمد بن حنبل، الإمام، الحافظ، الناقد، محدِّث بغداد، أبو عبدالرحمن، روى عن أبيه شيئاً كثيراً، من جملته «المسند» كله و«الزهد»، وحدث عنه النسائي والبغوي وغيرهما، توفي سنة تسعين ومئتين للهجرة.

(١٣) الحافظ، الثقة، أبو علي الشيباني، حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، صنَّف تاريخاً حسناً، وكذا له في =

والبخاري.

ومسلم[١٤].

وأبو داود السجستاني[١٥].

وخلق لا يُحْصَون.

ولم يرو عنه البخاريُّ في «صحيحه» إلا حديثاً واحداً[١٦].

= الفتن، وكتاب «محنة الإمام أحمد بن حنبل»، لم تذكر له سنة ولادة، وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وسبعين ومئتين للهجرة.

(١٤) الإمام، الحجَّة، أبو الحسين القشيري، مسلم بن الحجاج، صاحب التصانيف وصاحب كتاب «الجامع الصحيح»، مما قيل فيه: إن إسحاق ابن الكوسج قال له: لن نُعدَم الخير ما أبقاك الله للمسلمين، ولد سنة أربع ومئتين للهجرة، وتوفي رحمه الله وغفر لنا وله سنة إحدى وستين ومئتين للهجرة.

(١٥) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، الإمام، الثَّبْت، سيد الحفاظ، صاحب «السنن»، قال بعض الأئمة: كان أبو داود يُشْبه أحمد بن حنبل في هديه، ودَلِّه، وسمته. وقال أبو عبدالله الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، ولد في السنة الثانية بعد المئتين للهجرة، وتوفي رحمه الله سنة خمس وسبعين ومئتين للهجرة.

(١٦) وهٰذا الحديث رواه البخاري رحمه الله في «صحيحه» في (كتاب النكاح)، قال البخاري: باب ما يحل من النساء وما يَحْرُم: وقال لنا أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان ـ هو الثوري ـ، حدثني حَبيب ـ هو ابن أبي ثابت ـ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «حَرُمَ من النسب سبع، ومن الصِّهر سبع...» الحديث.

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في ضمن تعليقه على هٰذا الحديث: =

وقال الحازمي(١٧):

إن البخاري روى عن أحمد بن الحسن الترمذي(١٨) عن الإمام

= هٰذا فيما أخذه المصنِّف عن الإمام أحمد في المذاكرة أو الإجازة، والذي ظهر لي بالاستقراء أنه إنما اسْتَعْمَلَ هٰذه الصيغة في الموقوفات، وربما استعملها فيما فيه قصور ما عن شرطه، والذي هنا من الشق الأول وليس للمصنِّف في هٰذا الكتاب رواية عن أحمد إلا في هٰذا الموضع، وأخرج عنه في آخر «المغازي» حديثاً بواسطة، وكأنه لم يكثر عنه لأنه في رحلته القديمة لقي كثيراً من مشايخ أحمد فاستغنى بهم، وفي رحلته الأخيرة كان أحمد قد قطع التحديث، فكان لا يحدِّث إلا نادراً، فمِنْ ثَمَّ أَكْثَرَ البخاريُّ عن علي بن المديني دون أحمد. انتهى.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله في كتابه الفذ «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» في ترجمة الإمام أحمد رحمه الله (١/ ٢٩٩): أن البخاري روى هٰذا الحديث الوحيد للإمام أحمد عنده في آخر الصدقات، ولعله سبق قلمٍ أو وهم، حيث يستبعد وجوده ولو برواية أخرى لـ «الصحيح»، والله أعلم.

(١٧) هو الإمام، الحافظ، الحجَّة، الناقد، النسَّابة، البارع، زين الدين، أبو بكر، محمد بن موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان الحازمي، جمع وصنَّف، وبرع في الحديث، قال ابن النجَّار: كان الحازمي من الأئمة الحفاظ العالِمين بفقهِ الحديث ومعانيه ورجاله، ألَّف كتاب «الناسخ والمنسوخ»، و«عجالة المبتدىء في النَّسَب»، و«المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان» وغيرها، ولد سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة للهجرة، وتوفي رحمه الله سنة أربعٍ وثمانين وخمس مئة للهجرة.

(١٨) هو أحمد بن الحسن بن جُنَيدب، الإمام، الحافظ، المجوِّد، الفقيه، أبو الحسن الترمذي، تفَقَّه بأحمد بن حنبل، وكان بصيراً بالعلل والرجال، حدَّث عنه البخاري وأبو عيسى الترمذي وغيرهما، ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله =

أحمد حديثاً آخر[١٩].

وفضائل الإمام أحمد مشهورة، ومناقبه مأثورة، قد أُفردت بالتصنيف، واحتُفِل بها في التأليف: فصنف الحافظ البيهقي[٢٠] كتاباً

= في «السِّير» أنه لم يُظفر له بتاريخ وفاة، وذكر في «تذكرة الحفاظ» (٢/٥٣٦) أنه توفي سنة بضع وأربعين ومئتين للهجرة، وكذا لم تجد له سنة ولادة.

(١٩) وذلك في (كتاب المغازي)، قال البخاري رحمه الله (باب كم غزا النبيُّ ﷺ برقم ٤٤٧٣): حدثني أحمد بن الحسن، حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، حدثنا معتمر بن سليمان، عن كهمس، عن ابن بريدة، عن أبيه؛ قال: غزا مع رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة.

والواسطة كما ذكر الحافظ في «الفتح»، وكما هو ظاهر أيضاً هو أحمد بن الحسن الترمذي. «الفتح» (٧/٧٦٠)، وذكر العيني في «عمدة القاري»؛ أن البخاري استشهَدَ به أيضاً في (كتاب اللباس، باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر، ١٠/٣٤١ ـ فتح)؛ قال أبو عبدالله ـ أي: البخاري ـ: وزادني أحمد...

ثم قال الحافظ: قوله: «وزادني أحمد»: هذه الزيادة موصولة، وأحمد المذكور جزم المزي في «الأطراف» أنه أحمد بن حنبل، لكن لم أرَ هذا الحديث في «مسند أحمد» من هذا الوجه أصلاً. انتهى.

(٢٠) الإمام، الحافظ، العلّامة، شيخ خراسان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، صاحب التصانيف، ذكر من ترجم ـ ومنهم الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ـ؛ أنه لم يكن عنده «سنن النسائي» ولا «جامع الترمذي»، ولا «سنن ابن ماجه»، بل كان عنده الحاكم فأكثر عنه، وبورك له في علمه لحُسْنِ قصْدِهِ وقوة فَهمه وحفظه، له «الأسماء والصفات»، و«السنن الكبير» و«السنن الصغير»، و«مناقب الإمام أحمد»، وغيرها، نشأ في بيهق، ورحل إلى مدينة السلام «بغداد»، وكذا رحل إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطُلب إلى نيسابور، فلم =

في مناقبه حافلاً، وكذا الحافظ أبو إسماعيل الأنصاري(٢١) صاحب كتاب «منازل السائرين»(٢٢)، والحافظ ابن الجوزي(٢٣)، وغيرهم(٢٤).

= يزل بها حتى قال إمام الحرمين فيه: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنَّة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نُصرة مذهبه، وبسط موجزه وتأييد آرائه. ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مئة للهجرة، وتوفي رحمه الله سنة ثمان وخمسين وأربع مئة للهجرة.

(٢١) هو الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو إسماعيل، عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري، الهروي، من كبار الحنابلة، قال السِّلفي: سألت الساجيَّ عن أبي إسماعيل الأنصاري؛ فقال: كان آية في لسان التذكير والتصوُّف، من سلاطين العلماء، وكان بارعاً في اللغة حافظاً للحديث، له «ذم الكلام»، و «منازل السائرين»، وكذا «سيرة الإمام أحمد بن حنبل» في مجلد وله «الأربعين في التوحيد»، من ذريَّة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وكان يرحمه الله عارفاً بالتاريخ والأنساب، مظهر للسنة، داعياً لها، امتُحِنَ وأوذي، ولد سنة ستٍّ وتسعين وثلاث مئة للهجرة، وتوفي رحمه الله سنة واحد وثمانين وأربع مئة للهجرة.

(٢٢) هو المتن المشروح بـ «مدارج السالكين» للعلامة ابن القيم.

(٢٣) الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسِّر، شيخ الإسلام، جمال الدين، أبو الفرج، عبدالرحمٰن بن علي بن محمد بن علي الجوزي، القرشي، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف، كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، حامل لواء الوعظ، وكان رحمه الله بحراً في التفسير، علاَّمة في السِّير والتاريخ، يقول النظم الرائق والنثر الفائق، وكان موصوفاً بحسن الحديث، له «زاد المسير في علم التفسير»، و «صفة الصفوة»، و «تلبيس إبليس»، و «صيد الخاطر»، و «ذم الهوى» يُسْنِد فيه، وله الكتاب الرائع «مناقب =

قال الإمـام أبو زرعة(٢٥) لعبد الله ابن الإمام أحمد: كان أبوك

= الإمام أحمد»، أُخِذَ عليه رحمه الله أنه كان مضطرباً في باب الأسماء والصفات؛ فأحياناً يثبتها، وأحياناً يؤولها.

ذكـر شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في «مجموع الفتاوى» (٤/١٦٩): أنه كان نفسه متناقض في هٰذا الباب، لم يَثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات، بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً، ما أثبت به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هٰذا المصنَّف، فهو في هٰذا الباب مثلُ كثيرين من الخائضين في هٰذا الباب من أنواع الناس، يثبتون تارة، وينفون أخرى في مواضـع كثيرة من الصفـات، كمـا هو حال أبي الـوفـاء بن عقيل، وأبي حامد الغزالي. انتهى كلامه رحمه الله.

ومن تتبَّع حاله في تفسير آيات الصفات ونحوها مما يتعلق بذٰلك؛ وَجَدَ فِعلاً أنه يميل إلى مذهب الأشاعرة، ولٰكن لا نرى ترك الترحُّمِ عليه كما يفعل بعض الجَهَلَةِ المتجرِّدون، هدانا الله وإياهم للحق، آمين، ولد أبو الفرج لثمان سنـوات خلت من بداية القرن السادس ـ أي: سنة ثمان وخمس مئة للهجرة ـ وتوفي رحمه الله سنة سبع وتسعين وخمس مئة للهجرة النبوية.

(٢٤) وممن صنَّف في منـاقب الإمـام أحمد أيضاً: الإمام الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم، والإمام أبو زكريا يحيى بن منده، وكذا الحافظ أبو القاسم الـطبراني، وأبو محمد عبدالله بن يوسف الجرجاني، ومن أفضل من ألف في ذٰلك: ابنه أبو الفضل صالح بن أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فهو من أوثق وأقدم ما كتب في ذٰلك، انظر هٰذا الأخير مطبوعاً، وغيرهم ممن لم يُعرف.

(٢٥) هو الإمـام، سيِّد الحفـاظ، عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد بن فَرُّوخ، أبو زرعة الرازي، طلب الحديث وهو صغير السن، وارتحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق وغيرها، وكَتَبَ ما لا يوصف كثرةً، ممن حدَّث عنه عبدالله ابن أحمد، والإمام مسلم بن الحجاج وغيرهما، وهو ممن جالس الإمام أحمد =

يحفظ ألف ألف حديث[٢٦].

وقال قتيبة بن سعيد[٢٧]: أحمد إمام الدنيا[٢٨].

وقال إسحاق بن راهويه[٢٩]: أحمد حجة بين الله وخَلْقِه[٣٠].

مكانته العلمية

وسُئِلَ رضي الله عنه ستين ألف مسألة، فأجاب بـ (حدثنا) و (أخبرنا) لا من كتاب[٣١].

= وذاكره، ولد سنة مئتين، وتوفي رحمه الله سنة أربع وستين في نفس القرن.

(٢٦) «تاريخ بغداد» (٤/٤١٩) وغيره.

(٢٧) هو شيخ الإسلام، المحدِّث، الإمام، الثقة، الجوَّال، راوية الإسلام، أبو رجاء: قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، البَلْخي، روى عنه جمع من أئمة الإسلام وأكثروا، وروى عنه ابن ماجه برواية محمد بن يحيى الذُّهلي عنه، ولد سنة خمسين ومئة، وتوفي سنة أربعين ومئتين للهجرة رحمه الله، وفي (ك) و (ز): قتيبة بن سعد.

(٢٨) «تاريخ بغداد» (٤/٤١٧) وغيره.

(٢٩) الإمام، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد ابن عبدالله بن راهويه المروزي، حدَّث عنه كثير من أئمة الإسلام في وقته، عالم خراسان في وقته، وسبب تلقيبه بابن راهويه؛ أن أباه ولد في طريق مكة، فقال أهل مرو: راهويه؛ أي: وُلِدَ في الطريق، قال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ والصدق، والورع، والزهد، وله تصانيف منها «المسند»، وقد طُبِعَ مؤخراً مع دراسة جيدة لحياته رحمه الله، ولد سنة واحد وستين ومئة، وتوفي رحمه الله سنة ثمان وثلاثين ومئتين للهجرة.

(٣٠) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٩٦)، وكذا في «تاريخ بغداد» (٤/٤١٧) نحواً منه.

(٣١) عن «طبقات الحنابلة» (١/٦).

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي[٣٢] في كتابه «منتهى النقول»[٣٣]: كان ابن جرير[٣٤] يحفظ كتباً حمل ثمانين بعيراً، وكان حفظ ابن الأنباري[٣٥] في كل جمعة ألف كراس، وحفظ ثلاث مئة ألف

---

(٣٢) هو الإمام، الحافظ، المؤرِّخ، الأديب، أبو بكر، عبدالرحمٰن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، نشأ في القاهرة يتيماً، اعتزل الناس في سن الأربعين، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل، وترك الدنيا وأهلها، واستدعاه السلاطين وزارة الأمراء وأهدوا له الهدايا؛ فردها رحمه الله، وله سيرة عَطِرة، وله من التآليف كثير؛ فقد أحصيت بست مئة مصنَّف، ولد سنة تسع وأربعين وثمان مئة، وتوفي رحمه الله سنة إحدى عشرة وتسع مئة للهجرة.

(٣٣) اسمه «مشتهى العقول في منتهى النقول».

(٣٤) هو محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الإمام، العَلَم، المجاهد، صاحب التصانيف البديعة، من أهل طَبرستان، كان من كبار أئمة الاجتهاد، ثقة، صادق، حافظ، رأساً في التفسير، إماماً في الفِقه والإجماع والاختلاف، علَّامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة، له في التفسير «جامع البيان» من أوسع ما أُلف في بابه، وله «تهذيب الآثار» لم يكمله، و«تاريخ الأمم والملوك»، رحل إلى بغداد واستوطن فيها، ولد سنة أربعين ومئتين للهجرة، وتوفي رحمه الله في السنة العاشرة بعد الثلاث مئة للهجرة.

(٣٥) هو الإمام، الحافظ، اللُّغوي، ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرىء، النَّحْوي، قال أبو علي القاليّ: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاث مئة ألف بيت شاهداً في القرآن. وقال الخطيب البغدادي: كان ابن الأنباري صدوقاً، ديِّناً، من أهل السنة. له «الوقف والابتداء»، و«كتاب المشكل»، و«شرح السبع الطوال»، وغيرها، وتوفي رحمه الله سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة للهجرة.

بيت من الشعر استشهاداً للنحو، وكان الإمام الشافعي[٣٦] يحفظ من مرة أو نظرة، وابن سينا الحكيم[٣٧] حفظ القرآن في ليلة واحدة، وكان أبو زرعة يحفظ ألف ألف حديث، والبخاري حفظ عُشْرَهَا؛ أي: مئة ألف حديث. قال: والكلُّ مِنْ بَعْضِ محفوظ الإمام أحمد بن حنبل. انتهى.

---

(٣٦) هو الإمام، محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبدالله القرشي، ثم المُطَّلِبي، الشافعي، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمِّه، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملَّة، حُبب إليه الفِقه، فسادَ أهل زمانه، صنف التصانيف، ودوَّن العلم، متبعاً للأثر، قال الإمام أحمد: كان الفقهاء أطباء، والمحدثون صيادلة، فجاء محمد بن إدريس طبيباً صيدلانيّاً. من أشهر كتبه: «الأم»، و «الرسالة»، ولد سنة مئة وخمسين للهجرة، توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين ومئة للهجرة.

(٣٧) هو الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، قال ـ أي: ابن سينا ـ: نزل أبي ببخارى، فقرأت القرآن وكثيراً من الأدب ولي عشر، وكان أبي يُعد من الإسماعيلية، قرأ جميع أجزاء الفلاسفة ويقول: وكنت كلما أتحير في مسألة أتردد إلى الجامع، وأصلي وأبتهل، حتى يُفتح لي المنغلق.

وله حكايات عجيبة في حياته، ولكن نَوَدُّ ذكر بعضَ كلام لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس ابن تيمية قدَّس الله روحه في «درء تعارض العقل والنقل» (١/٩) في كلامه عن ضلالات الفلاسفة: . . . وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هٰذا الأصل ـ أي: أن رسالة الأنبياء وجميع ما أخبروا به؛ فإنما هو من الخيال حتى ينال الناس المصلحة من طاعة الله بذلك ولو كان خيالاً ـ؛ كالقانون الذي ذكره في رسالته الأضحوية . . . =

وأَطْلَقَ غير واحد من العلماء بأنه رضي الله عنه أحاط بالسنة، وأنه لم يُحِطْ بها أحد سِوَاه[٣٨].

وفاته رحمه الله

وتُوُفِّي الإمام أحمد رضي الله عنه ببغداد ضُحْوَةَ الجمعة، ثاني عشر ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين ومئتين، وعمره سبع وسبعون سنة، ووهم المُناويُّ[٣٩] في «شرحه الكبير على الجامع

= وقد خصَّ شيخ الإسلام رحمه الله معظم كتابه «الدرء» في بيان حال ابن سينا وضلاله وبعده عن السنة ـ عافانا الله وإياك ـ، وبيان ما في طريقته من زيف وانحراف بالحجَّةِ والبرهان عن طريقة السلف الصالح رحمهم الله؛ فليُنظر.

وله من التآليف: «القانون» في الطب وعلاج الأمراض، وهو مطبوع في ثلاث مجلدات، وكذا «الشفاء» الحاوي علم الفلسفة والحكمة، و«البر والإثم»، و«النجاة»، و«أدوية القلب» وغيرها مما يكثر عَدُّه، وُلد ابن سينا سنة سبعين وثلاث مئة، ومات سنة ثمان وعشرين وأربع مئة يوم الجمعة، وللحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه «تاريخ الإسلام» كلاماً حسناً له عن ابن سينا.

وممن كفَّره؛ الغزالي في كتابه «المنقذ من الضلال»، وكفَّره الفارابي كما نص عليه الذهبي في ترجمته في «السِّير» (**١٧/ ٥٣٥**).

(**٣٨**) قال الإمام، العلاَّمة، الفقيه، الحافظ، أحمد بن سعيد الدارمي رحمه الله: ما رأيت أسود الرأس، أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي عبدالله أحمد بن حنبل. «تاريخ بغداد» (**٤/ ٤١٩**).

(**٣٩**) هو محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المُناوي، القاهري، عاش في القاهرة ومات بها، وكان رحمه الله قليل الطعام كثير السهر، انزوى للبحث والتصنيف؛ فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ابنه يستملي منه تأليفه، وله من المؤلفات: «فيض القدير شرح الجامع =

الصغير[٤٠]، فزعم أن عمره سبع وثمانون.

وصلى عليه رضي الله عنه ألف ألف وثلاث مئة ألف سوى من كان في السُّفُن.

وقال الإمام الحافظ أبو زُرْعَة: إن المتوكل[٤١] أمر بمسح الموضع الذي صُلِّيَ عليه فيه، فبلغ مُقَام ألفي ألف وخمس مئة ألف[٤٢].

وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرون ألف[٤٣]، والله الموفق.

= الصغير»، و«شرح الشمائل للترمذي»، و«الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية»، و«سيرة عمر بن عبدالعزيز»، و«الفتوحات السُجانية في شرح ألفية العراقي» في المصطلح، و«شرح القاموس المحيط» وغيره من الأسفار النفيسة، ولد في السنة الثانية بعد الخمسين والتسع مئة، وتوفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين وألف للهجرة.

(٤٠) شرحه هو «فيض القدير» للمُناوي.

(٤١) الخليفة أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القُرشي العباسي، بويع له بالخلافة عند موت أخيه الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومئتين في ذي الحجة، وكان مظهراً للسنة، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبَسْطِ السنة ونصر أهلها، وله قصص وحكايات كثيرة في الخلافة ومع الشعراء، ولد رحمه الله سنة خمس ومئتين ومات مقتولاً ومغتالاً على أيدي الأتراك سنة سبع وأربعين ومئتين للهجرة.

(٤٢) «تاريخ بغداد» (٤/٤٢٢) وغيره.

(٤٣) هٰذه القصة أوردها ورواها غير واحد من أهل العلم، وممن ذكرها الحافظ النقَّاد شمس الدين الذهبي رحمه الله، أوردها في ترجمة الإمام أحمد =

مطلب

ترجمة الإمام البخاري

وأما ترجمة الإمام البخاري؛ فهو: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ـ بضم الميم على المشهور ويجوز كسرها ـ بن يَزْدِزْبَه ـ بفتح المثناة تحت ثم سكون الزاي فدال مهملة

= في «سير أعلام النبلاء» (١١/٣٤٣)، وكذا أوردها في «تاريخ الإسلام» في ترجمة الإمام رحمه الله، ولأهمية الكلام عليها نورد هنا إسناداً واحداً، ذكره الذهبي رحمه الله في «السير»؛ قال: وأخبرنا ابن الفرَّاء، أخبرنا ابن قدامة، أخبرنا ابن خضير، أخبرنا ابن يوسف، أخبرنا البَرْمَكي، أخبرنا ابن مَرْدَك، حدثنا عبدالرحمٰن بن أبي حاتم، حدثني أبو بكر محمد بن عباس المكي، سمعت الوَرْكاني جارَ أحمد بن حنبل، قال (وذكر القصة).

ثم قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: وهي حكاية منكرة، ولا أعلم رواها أحد إلا هٰذا الوركاني، ولا عنه إلا محمد بن العباس، تفرد بها ابن أبي حاتم، والعقل يُحيل أن يقع مثل هٰذا الحادث في بغداد، ولا ينقله جماعة تنعقد هممهم ودواعيهم على نقل ما هو دون ذٰلك بكثير، وكيف يقع مثل هٰذا الأمر الكبير ولا يذكره المروذي، ولا صالح بن أحمد، ولا عبدالله بن أحمد، ولا حنبل الذين حكوا من أخبار أبي عبدالله جزئيات كثرة لا حاجة إلى ذكرها؛ فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفُسٍ لكان عظيماً، ولكان ينبغي أن يرويه نحو من عشرةِ أنفُس، ثم انكشف لي كذب الحكاية بأن أبا زرعة قال: كان الوَرْكاني ـ يعني: محمد بن جعفر ـ جار أحمد بن حنبل، وكان يرضاه. وقال ابن سعد وعبدالله بن أحمد وموسى بن هارون: مات الوَرْكاني في رمضان سنة ثمان وعشرين ومئتين؛ فظهر لك بهٰذا أنه مات قبل أحمد بدهر؛ فكيف يحكي يوم جنازة أحمد رحمه الله؟! انتهى كلامه رحمه الله وشَفى.

مكسورة فزاي ساكنة أيضاً فموحدة فهاء ـ، كذا ضبطه ابن خِلِّكَان[1] عن بعضهم، ثم نَقَلَ عن ابن ماكُولا[2] أنه ابن بَرْدِزْبَه ـ بالموحدة فراء مهملة فزاي ساكنة فموحدة فهاء ـ[3]. قال: وهو بالبخارية، ومعناه بالعربية: الزارع[4].

---

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خِلِّكان، أبو العباس، المؤرخ الحجة، الأديب الماهر، صاحب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، وهو من أشهر كتب التراجم، صار قاضياً بدمشق ثم الشام، ثم وُلِّي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وانتقد عليه ابن كثير في «البداية والنهاية»، عدم الكلام على ضلال بعض من ترجم لهم في «الوفيات»، ولد سنة ثمان وست مئة للهجرة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وست مئة للهجرة.

(٢) الأمير، الحافظ، الناقد، النسَّابة، الحجَّة، أبو نصر، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي، البغدادي، ابن ماكولا، صاحب كتاب «الإكمال في مشتبه النسبة»، وغيره، أحبَّ العلم من الصبا، وطلب الحديث، وبَرَع فيه، وأتقن الأدب، ولد سنة إحدى وعشرين وأربع مئة، كما رجَّحه العلاَّمة المعلِّمي رحمه الله في مقدمة «الإكمال» بقرية عُكْبَرا كما نص عليه الذهبي، وتوفي رحمه الله عندما كان مسافراً نحو كِرْمان، ومعه غلمانه الأتراك؛ فقتلوه في الطريق وأخذوا ماله وهربوا، وكان ذلك سنة ستٍّ وثمانين وأربع مئة للهجرة كما رجَّحه أبو الفرج في «المنتظم» (٥ و٩/٧٩)، وكذا ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/١٤٣ و١٤٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: هذا هو المشهور في ضبطه، وبه جزم ابن ماكولا. من «هدي الساري» (ص ٥٠١).

(٤) «وفيات الأعيان» (٤/١٩٠)، وقال الخطيب: وبردزبة مجوسيٌّ، مات عليها. «تاريخ بغداد» (٢/٦).

وهو مولى الجُعفيين ولاء إسلام[٥]؛ لأن جده المُغيرة أسلم على يدِ يمان البخاري الجُعْفِي، وهو أبو علي عبدالله بن محمد بن جعفر ابن يمان المُسْنَدي شيخ البخاري[٦].

بعض من روى عنهم

روى البخاري عن:

الإمام أحمد.

وأبي نُعيم[٧].

---

(٥) «تاريخ بغداد» (٢/٦).

(٦) هو عبدالله بن محمد بن جعفر بن يَمَان الجُعْفِيُّ، أبو جعفر المعروف بـ «المُسْنَـدي»؛ لكثرة اعتنائه بالأحاديث المُسندة، ويَطْلُب المسندات ويرغب عن المرسلات، وقال أبو عبدالله الحاكم: لأنه أول من جمع مسند الصحابة بما وراء النهر. وهو إمام الحديث في عصره هناك بلا مدافعة، قال البخاري: قال لي الحسن بن شجاع: من أين يفوتك الحديث وقد وقعت على هٰذا الكنز؟ وكان رحمه الله صاحب سُنَّة، عُرِف بالإتقان والضبط، لم نجـد له سنة ولادة، وتوفي رحمه الله ببُخارى سنة تسع وعشرين ومئتين للهجرة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «هدي الساري» (ص ٥٠١) في ولاء البخاري رحمه الله للجُعْفيين؛ قال: عملاً بمذهب من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له، وإنما قيل له الجعفي لذٰلك. انتهى.

(٧) هو أبو نُعيم، الفضل بن دُكَيْن، الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، ابن عمرو بن حماد بن زهير بن درهم، التيمي، الطلحي، القرشي، مولاهم الكوفي، المُـلائي الأحـول، مولى آل طلحـة بن عبيدالله، كان من أئمة أهل الحديث وأثباتهم، قال يعقوب الفَسَوي: أجمع أصحابنا أن أبا نعيم كان غايةً في الإتقان، وهـو آخر من حدَّث عن الأعمش من الثقات. وقال الإمام أحمد فيه: نزاحم به =

ويحيى بن مَعين[8].

وخلق يزيدون على ألف[9].

بعض من روى عنه

وروى عنه:

الترمذي.

وكذا النسائي فيما قيل[10].

= سفيان بن عيينة، وهو ممن صبر في محنة خلق القرآن مع الإمام أحمد رحمهما الله، وله كلام كثير في ذلك.

قال الحافظ الذهبي في «السِّير»: وكان في أبي نُعيم تشيُّعٌ خفيف، قال أحمد بن مُلاعِب: سمعت أبا نعيم يقول: وِلدتُ في آخر سنة ثلاثين ومئة، وذكر أنه توفي مقتولاً؛ فقد طُعِنَ في عنقه، وظهر به ورشكين في يده فتوفي ليلتئذٍ، وحصـل له وَرشكين، وذكر أنه مات في يوم الشك من رمضان سنة تسع عشرة ومئتين للهجرة رحمه الله وغفر له.

(٨) هو يحيى بن مَعين بن عون بن زياد الغَـطَفَـاني، المُرِّي بالولاء، البغـدادي، أبـو زكريا، أحد الأعلام، وشيخ المحدثين، ومن أئمة الحديث، ومؤرخي رجاله، نَعَتَهُ الذهبي بسيِّد الحفاظ، وقال الحافظ ابن حجر فيه: إمام الجـرح والتعديل. وقال الإمام أحمد فيه: أعلمنا بالرجال. روى عنه عدد من فطاحلة الإسلام والحديث، له «التاريخ» و«العلل» في الرجال رواية أبي الفضل العبـاس بن محمـد بن حاتم الـدوري عنـه، وله «معرفـة الرجال»، و«الكنى والأسماء»، ونال من أبيه ثروة عظيمة، أنفقها في طلب الحديث، ولد سنة ثمانٍ وخمسين ومئة، وتوفي رحمه الله سنة ثلاثٍ وثلاثين ومئتين للهجرة، حيث توفي رحمه الله بالمدينة وهو في رحلة الحج وصُلِّي عليه بها.

(٩) «السير» (١٢/٣٩٥).

(١٠) قال الحافظ الذهبي في «السِّير» (١٢/٣٩٧): وقيل: إن النسائي =

ومسلم خارج «الصحيح»[11].

وعن محمد بن يعقوب الحافظ[12]، عن أبيه[13]؛ قال: رأيت

= روى عنه في الصيام من «سننه» ولم يصح، لٰكن قد حكى النسائي في كتاب «الكنى»، له أشياء عن عبدالله بن أحمد الخفَّاف عن البخاري. انتهى.

قلت: روى النسائي في سننه «المجتبى» في (كتاب الصيام، باب الفضل والجود في شهر رمضان)؛ قال رحمه الله: أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري؛ قال: حدثني حفص بن عمر بن الحارث؛ قال: حدثنا حماد؛ قال: حدثنا معمر والنعمان بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة؛ قالت: ما لَعَنَ رسول الله ﷺ من لَعْنَةٍ تُذكر، كان إذا كان قريبَ عهد بجبريل عليه السلام يُدارسه، كان أجود بالخير من الريح المُرْسَلَة. قال أبو عبدالرحمٰن ـ ما زال الكلام للنسائي ـ: هٰذا خطأ، والصواب حديث يونس بن يزيد، وأدخل هٰذا حديثاً في حديث. انتهى.

قلت: ويونس هٰذا هو ابن يزيد بن أبي النِّجاد الأيلي، حديثه أورده النسائي قبل الحديث السابق في أول الباب وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وذكر الإمام السِّندي رحمه الله في حاشيته على «النسائي» في كلامه على قول النسائي: أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري. قال: قال في الأطراف: كذا رواه أبو بكر بن السني، عن النسائي، عن محمد بن إسماعيل فحسب، ولم يذكر فيه البخاري، وفي نسخة: هو أبو بكر الطبراني. انتهى كلام السندي رحمه الله، وهو في «السنن» (٤/ ١٢٥ و١٢٦).

(١١) «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٤٣٦).

(١٢) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الحجة، أبو عبدالله، محمد بن يعقوب بن يوسف بن الأخرم الشيباني، ويُعرف بابن الكِرْماني، طلب العلم فَبَرع، وجمع فأوعى، حدَّث عنه أئمة الحديث كالحاكم وغيره، له كتاب «المستخرج =

مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي المتعلم، فقال له: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

وكذلك روى عنه: أبو زرعة، وإبراهيم الحَرْبي[14]، وغيره.

وكان يَحْضُرُ مجلسه أكثر من عشرين ألف يأخذون عنه.

قال البخاري: أَحْفَظُ مئة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف حديث غير صحيح.

أمراء المؤمنين في الحديث

وهو أحد الذين سُمُّوا من المحدثين: أمير المؤمنين:

أولهم: عبدالله بن ذكوان[15].

= على الصحيحين»، و«المسند الكبير»، ولد سنة خمسين ومئتين، وتوفي سنة أربع وأربعين وثلاث مئة للهجرة رحمه الله.

(١٣) أبوه الإمام، الفقيه، أبو يوسف الشيباني، المُلَقَّب بالأخرم، لم تُذْكَر له سنة ولادة، وتوفي رحمه الله سنة سبع وثمانين ومئتين للهجرة رحمه الله.

(١٤) هو الشيخ، الإمام، الحافظ، العلاَّمة، إبراهيم بن إسحاق بن بشير ابن عبدالله البغدادي، الحَرْبي، أبو إسحاق، من أعلام المحدثين، أصله من مرو، وعُرف واشتُهر وتوفي ببغداد، كان حافظاً للحديث، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، قيِّماً بالأدب، زاهداً، تُرسل إليه الأموال فيرُدها، تفقَّه على الإمام أحمد، له «غريب الحديث»، وله «إكرام الضيف»، و«دلائل النبوة»، ولد سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، وتوفي رحمه الله سنة خمسٍ وثمانين ومئتين للهجرة.

(١٥) عبدالله بن ذكوان، الإمام، الفقيه، الحافظ، المفتي، أبو عبدالرحمٰن القرشي، يُلقَّب بأبي الزِّناد، محدِّث، من كبار المحدثين، كان سفيان ـ أي الثوري ـ يسميه بأمير المؤمنين في الحديث.

قال مصعب الزُّبيري: كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتابة =

ثم مالك[16].

= وحساب، كان رحمه الله فقيهاً ثقةً في الحديث عالماً بالعربية فصيحاً، ولد سنة خمسٍ وستين، وتوفي فجأة في المدينة سنة ثلاثين ومئة للهجرة تقريباً.

(١٦) هو شيخ الإسلام، حُجَّة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبدالله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عَمرو بن الحارث بن غَيْمان بن خُثَيل بن عمرو بن الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زُرعة الأصبحي، المدني، طلب العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهَّل للفتيا، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، قصده طلبةُ العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور، وما بعد ذلك.

قال الذهبي: لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكاً في العلم والفقه والجَلالة والحفظ، حتى صار له مذهباً خاصّاً وأقوالاً تعزى إليه، فاق الأقران، ومذهبه قد ملأ المغربَ والأندلس وكثيراً من بلاد مصر وبعض الشام واليمن والسودان والبصرة وبغداد والكوفة وبعض خراسان، قال الشافعي: العلم يدور على ثلاثة: مالك، والليث ـ أي: ابن سعد ـ، وابن عيينة.

قال الذهبي: قلت: بل وعلى سبعة معهم، وهم: الأوزاعي، والثوري، ومَعْمَر، وأبو حنيفة، وشعبة، والحَّمادان، وكان الأوزاعي إذا ذكر مالكاً؛ قال: عالم العلماء، ومفتي الحرمين، وذكر أحمد بن حنبل مالكاً؛ فقدَّمه على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحمَّاد، والحكم، وقال: هو إمام في الحديث وفي الفِقْه، [صنف مصنفاً] عظيماً في الحديث على أبواب الفقه، وهو «الموطأ»، وله «رسالة في القدَر» كتبها إلى ابن وهب وإسنادها صحيح.

وله أيضاً مؤلَّف في «النجوم ومنازل القمر»، رواه سُحْنون عن ابن نافع الصائغ، قال القاضي عياض في «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» (١/ ٢٠٤ و٢٠٥): وهو كتاب جيد مفيد جدّاً، قد اعتمد الناس =

ومحمد بن إسحاق(١٧).

وشعبة بن الحجاج(١٨).

وسفيان الثوري(١٩).

= عليه في هٰذا الباب، وجعلوه أصلاً، وعليه اعتمد أبو محمد عبدالله بن مسرور الفقيه القروي في تأليفه في هٰذا الباب، وقد لقَّبه يحيى بن القطان بأمير المؤمنين في الحديث، ولد رحمه الله سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ كما رجَّحه الذهبي وآخرون، وتوفي رحمه الله سنة تسع وسبعين ومئة للهجرة كما رجَّحه الذهبي، ودُفِن بالبقيع.

(١٧) هو محمد بن إسحاق بن يَسَار بن خِيار، العلاَّمة، الحافظ، الأخباري، أبو بكر، وقيل: أبو عبدالله القرشي، المُطَّلِبي، صاحب «السيرة النبوية»، وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذٰلك قبل مالك وذويه، وكان رحمه الله في العلم بحراً عجَّاجاً، قال شعبة: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة ثمانين للهجرة، ورأى أنس بن مالك رضي الله عنه وسعيد بن المسيَّب، وتوفي رحمه الله سنة اثنتين وخمسين ومئة للهجرة.

(١٨) هو شعبة بن الحجَّاج بن الوَرْد، أبو بِسْطام الأزدي العَتَكي، الإمام، الحافظ، عالم أهل البصرة وشيخها، سكنها من الصِّغَر، ورأى الحسن البصري وأخذ عنه مسائل، قال عنه الذهبي: أمير المؤمنين في الحديث، وكان رحمه الله إماماً، ثبتاً، جِهْبذاً، صالحاً، زاهداً، قانِعاً بالقوت، رأساً في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو من جرَّح وعدَّل ـ أي: في علم الأسانيد والرِّجال ـ، كان سفيان الثوري يخضع له ويُجلُّه، ويقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث. وقال الشافعي: لولا شعبة؛ لما عُرِف الحديث بالعراق. ولد سنة ثمانين للهجرة، وتوفي رحمه الله سنة ستين ومئة للهجرة اتفاقاً بالبصرة.

(١٩) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، شيخ الإسلام، =

والواقدي[20].

= إمام الحُفَّاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبدالله الكوفي المجتهد، مصنِّف كتاب «الجامع»، كان يُنَوَّهُ بذكره منذ الصِّغَر لِفَرْطِ ذكائه وحفظه، وحدَّث وهو شاب، قال عنه شعبة وابن عيينة وغيرهما: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، وكذا ذكر ابن أبي حاتم في مقدمة «الجرح والتعديل» (١/٥٩) عن يحيى بن يمان، طلب العلم وهو حَدَث باعتناء والده المحدِّث الصادق سعيد بن مسروق الثوري، ووالده رحمه الله من أصحاب الشَّعبي، قال ابن أبي حاتم: سفيان فقيه، حافظ، زاهد، إمام، هو أحفظ من شعبة. توفي رحمه الله سنة ست وعشرين ومئة للهجرة.

(٢٠) هو محمد بن عمر بن واقد الأسلَمي، العلَّامة، الإمام، أبو عبدالله، المَديني، القاضي، صاحب التصانيف والمغازي، ذكر الذهبي أنه أحد أوعية العلم، على ضعفِهِ المتَّفق عليه، وجمع فأوعى، وخَلَطَ الغث بالسمين، والخَرزَ بالدُّر الثمين؛ فاطَّرحوه لذلك، ومع هذا؛ فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم. انتهى.

قال محمد بن سلَّام الجُمَحي: الواقدي عالم دهره. وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/٩)؛ أن الدَّراوردي قال عندما ذكر الواقدي: ذاك أمير المؤمنين في الحديث. ولم يرو عنه أحد من أصحاب الكتب الستة؛ إلا ابن ماجه وحديثاً واحداً فقط في (كتاب الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، برقم ١٠٩٥).

وقد تكلم العلماء رحمهم الله على توهينه بأقوال كثيرة، وقال الذهبي: وقد تقرَّر أن الواقدي ضعيف، يُحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونورِدُ آثارَه من غير احتجاج، أما في الفرائض؛ فلا ينبغي أن يُذكر؛ فهٰذه الكتب الستة و«مسند أحمد» وعامةُ من جمع في الأحكام نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أُناس =

وأبو عبدالله محمد بن يحيى الذُّهْلي(٢١).

= ضعفاء، بل ومتروكين، ومع هٰذا لا يُخرِجون لمحمد بن عمر ـ أي: الواقدي ـ شيئاً، مع أن وزنَه عندي أنه مع ضعفِهِ يُكتب حديثه، ويُرْوى ـ أي: حديثه ـ لأني لا أتهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثَّقه؛ كيزيد، وأبي عبيد، والصَّاغاني، والحَرْبي، ومَعن ـ وتمام عشرة محدِّثين ـ؛ إذ قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجَّة، وأن حديثه في عداد الواهي رحمه الله.

ولقد رأيت كلاماً جيداً للإمام ابن أبي حاتم الرازي في كتابه الفذ «الجرح والتعديل» في المقدمة (١/١٢٦)، حيث ذكر مقولة سفيان في إمارة شعبة في الحديث، ثم قال: قال أبو محمد ـ معلقاً على الإمارة في الحديث ـ: يعني فوق العلماء في زمانه، ومن اطَّلع ونظر علم أنه لا يُطلق إلا على من بلغ رتبة فوق علماء زمانه في الإتقان والحفظ وقوة العلم في الحديث، وبرع وفاق الأقران. انتهى. ولا نعلم من أطلق هٰذا اللقب على الواقدي إلا عبدالعزيز بن محمد الدَّراوردي؛ كما في «السِّيَر»، و«تاريخ بغداد»، و«تذكرة الحفاظ»، وهٰذا غير مقبول لعدم توفر الشرط فيه رحمه الله كما ذكر الذهبي آنفاً، والدَّراوردي بذاته لا يصل إلى مرتبة الثقة؛ فكيف يؤخذ بقوله في هٰذا؟!

وقد ذكر النسائي رحمه الله في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (صحيفة رقم ١٢٣)، قوله: والكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: وعدَّ منهم الواقدي ببغداد، ولا حول ولا قوة إلا بالله. «السير» (٩/٤٦٩).

(٢١) هو محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الإمام، العلاَّمة، الحافظ، البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهلِ الحديث بخراسان، أبو عبدالله الذهلي، مولاهم النيسابوري.

قال ابن أبي حاتم: كتب أبي عن محمد بن يحيى بالرَّيِّ، وهو ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين، وثَّقه أبي، وسمعته يقول: هو إمام أهل زمانه. =

وأبو نُعَيم الفضل بن دُكَيْن[٢٢].

وقيل: ومسلم جدير بذلك، وإنْ لم يبلغنا أنهم لقَّبوه بذلك[٢٣].

ومناقب البخاري شهيرة، وفضائله كثيرة.

ولادته ووفاته

واتفقوا على أنه وُلِدَ بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة السبت عند العشاء ليلة عيد الفطر ودُفن يومَه بعد الظهر سنة ست وخمسين ومئتين، بقرية تسمى

= وقال ابن أبي داود: حدثنا محمد بن يحيى وكان أمير المؤمنين في الحديث، رَوى عنه أئمة الحديث وحُفَّاظه، وكان رحمه الله شديد التمسُّك بالسنة. قال إمام الأئمة ابن خزيمة: حدثنا محمد بن يحيى الذُّهلي، إمام مصر، أسكنه الله جنته مع مُحِبِّيه، وقد وقع بينه وبين الإمام البخاري خلاف ونفرة بسبب مسألة اللفظ بالقرآن، وهل هو مخلوق أو لا؛ فكان الإمام البخاري يقول بذلك القول، فنادى الذُّهلي عليه وهجره الناس؛ فحصل من محنته رحمه الله ما حصل.

ولد سنة بضع وسبعين ومئة، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومئتين للهجرة، رحمه الله تعالى وغفر له.

(٢٢) سبقت ترجمته في هٰذا الفصل برقم (٧)، وممن لقَّبه بأمير المؤمنين في الحديث أبو أحمد الفرَّاء؛ قال: سمعتهم يقولون بالكوفة: قال أمير المؤمنين، وإنما يَعْنُون الفضل بن دُكين. عن «تهذيب التهذيب» (٨/٢٧٦).

(٢٣) لم أقف على من ذكر ذٰلك، ولٰكن من نظر في سيرته رحمه الله وجد الشيء العجيب من حفظه وتأليفه «للصحيح» وغير ذٰلك مما لا يُبْعِده رحمه الله عن هٰذا اللَّقب، انظر: «هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث» للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، المتوفى سنة اثنين وستين وثلاث مئة وألف للهجرة.

خَرَنْتَك ـ بفتح الخاء المعجمة ثم نون ساكنة ثم مثناة ـ فوق قرية من قرى سَمَرْقَنْد.

مطلب

ترجمة الإمام الترمذي

وأما ترجمة الترمذي؛ فهو: الإمام، الحافظ، أبو عيسى، محمد ابن عيسى بن سَوْرة ـ بفتح السين المهملة فواو ساكنة فراء مهملة فهاء تأنيث ـ ابن موسى بن الضحَّاك السُّلمي الضَّرير، وُلِدَ أكمه[1]، النحو[2]، الترمذي.

أحد أئمة الحديث، ومصنِّف أحد الكتب الستة، وهي: «صحيح البخاري»، و«مسلم»، و«سنن أبي داود»، و«جامع الترمذي»، و«النسائي»، و«ابن ماجه»[3]، وله أيضاً «كتاب

---

(١) يعني: أعمى.

قال الذهبي في «السِّير» (١٣/ ٢٧٠): والصحيح أنه أضرَّ في كِبَره بعد رحلته وكتابته العلم.

(٢) هكذا في النسختين، ولعله رحمه الله يقصد أن الترمذي من بني نحوٍ، وبنو نحو من الأزْد.

(٣) محمد بن يزيد الرَّبَعي، مولاهم، أبو عبدالله بن ماجه القزويني، الحافظ الكبير، الحجَّة، المفسِّر، مصنِّف «السنن» و«التاريخ» و«التفسير»، وحافظ قزوين في عصره.

قال الخليلي: كان أبوه يزيد يُعرفُ بمَاجَه، وولاؤه لِرَبيعَة، وقد كان رحمه الله حافظاً، ناقداً، صادقاً، واسع العلم. قال الذهبي: وإنما غضَّ من رُتْبَةِ «سننِهِ» ما في الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات... وأما الأحاديث =

التواريخ»[٤]، و «العلل».

كان يُضرب بحفظه المثل.

وهو تلميذ البخاري[٥]، وشاركه في بعض شيوخه؛ مثل: قتيبة بن سعيد، ومحمد بن بشار[٦]، وغيرهما.

مكانة جامع الترمذي

قال الإمام أبو إسماعيل الهَروي الحافظ الحنبلي صاحب كتاب «منازل السائرين»: «جامع الترمذي» عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم؛ لأن كتابيهما لا يصل إلى الفائدة منهما إلا المتبحِّرُ العالم، وكتاب أبي عيسى يصل إلى فائدته كل أحد[٧].

= التي لا تقوم بها حجَّة ـ أي: في سننه ـ لعلها نحو الألف. قال الخليلي: هو ثقة كبير، متفق عليه، محتج به، له معرفة بالحديث وحفظٌ، رحل إلى الأمصار لطلب الحديث.

ولد سنة تسعٍ ومئتين، وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وسبعين ومئتين للهجرة.

(٤) «طبقات الحفَّاظ» (٢٨٢).

(٥) وقد كتب عنه شيخه أبو عبدالله البخاري «السِّير» (١٣/ ٢٧٢).

(٦) هو محمد بن بشَّار بن عثمان بن داود بن كيسان، الإمام، الحافظ، راوية الإسـلام، أبو بكر البصري، لُقِّبَ «ببُنْدار»، ومعناه: الحافظ، روى عنه الستة في كتبهم وغيرهم من أئمة الحديث.

قال إمام الأئمة ابن خزيمة في كتابه «التوحيد» له: أخبرنا إمام أهل زمانه في العلم والأخبار محمد بن بشار، ولد سنة سبعٍ وستين ومئة، وتوفي رحمه الله سنة ثنتين وخمسين ومئتين للهجرة.

(٧) «السِّير» (١٣/ ٢٧٧).

. . . .

= قال الحافظ الذهبي في «السِّير» ما نصُّه: في «الجامع» علم نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو ـ أي الجامع ـ أحد أصول الإسلام، لولا ما كدَّره بأحاديث واهية بعضها موضوع وكثير منها في الفضائل. مع أن الذهبي رحمه الله قد تكلَّم على طريقة الترمذي رحمه الله في التحسين والتصحيح، وكذلك التضعيف.

انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/٤٠٧ و٥١٤ و٤/٤١٦)، وانظر كذلك: «سير أعلام النبلاء» (١٣/٢٧٦)، وانظر كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله في شرحه على «علل الترمذي» الصغير صحيفة (٢٩٢)، طبعة بغداد.

قلت: وقول بعض العلماء بتقديم «جامع الترمذي» على «الصحيحين» قد يكون لعدة أسباب تميَّز بها، تهم المبتدىء، وتصلح له أكثر من ما في كتابي الشيخين رحمهم الله جميعاً، وهذه الأسباب تنحصر في:

١ ــ من جهة حُسن الترتيب، وعدم التكرار.

٢ ــ من جهةِ ذكر مذاهب الفقهاء ووجوه الاستدلال لكل مذهب.

٣ ــ من جهة بيان أسماء الرواة وألقابهم وكناهم، ونحوها من الفوائد المتعلقة بعلم الرجال والعلل عموماً.

٤ ــ ذكر من روى الحديث من الصحابة غير من ذكر حديثهم؛ كقوله رحمه الله: وفي الباب عن عُمر وأبي سعيد وجابر والبراء وعائشة وأبي الدرداء ونحو ذلك، وهذه النقطة ما وُجِدَت في غيره، مع أن العلماء أيضاً قد تكلموا على تصحيح الترمذي وتحسينه وتضعيفه بكلام يطول المقام بذكره، وذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وغيره في مقدمته على «الجامع» أنه ليس شرطاً إذا قال: أصح شيء في هذا الباب أن يكون كذلك، ولكن غالباً ما يكون صواباً.

وقد زاد الترمذي رحمه الله نوعاً رابعاً من أنواع أقسام الحديث، وهو ما عمل به بعض الفقهاء أو أحد العلماء، ويتميز كتابه بمباحث المصطلح، وآراء =

قال ابن السَّمْعَاني[8]: الترمذي نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهـر بَلْخ، الذي يُقال له: جيحون، والناس مختلفون في كيفية هٰذه

= أهل العلم في الرواة، والكلام على الإسناد، ونقل مذاهب الصحابة والتابعين والأئمة والمجتهدين وفتاويهم.

وقد اعتبره العلماء ـ أي: الترمذي رحمه الله ـ من أهل العلم المتساهلين في باب التصحيح والتحسين؛ إلا أن مرتبته أعلى من مرتبة الحاكم، وتصحيحه أحسن من تصحيح الحاكم.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه؛ أن تصحيح الترمذي أعلى من تصحيح الحـاكم، ودون تصحيح مسلم، نقـلاً عن كتـاب «تـراث المسلمين العلمي، في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية» لصاحب الفضيلة، وشيخنا الشيخ عبدالرحمٰن الفريوائي جزاه الله خيراً (ص ٦٤). ويحسن بك ـ زادك الله من فضله ـ الرجوعُ إلى بعض المراجع التي احتوت على هٰذا الموضوع، ومنها:

١ ـ «الموازنة بين جامع الترمذي والصحيحين» للدكتور نور الدين عتر، وكذا:

٢ ـ «الحِطَّة في ذكر الصحاح الستَّة» لأبي الطيب العلاَّمة صدِّيق حسن خان القنَّوجي البخاري رحمه الله.

٣ ـ «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/٢٥٦ و٢٢/٤٢٩ ـ ٤٢٧ و٢٣/١٠٨).

(٨) هو الإمام، الحافظ، الثقة، محدِّث خراسان، أبو سعيد، عبدالكريم ابن الإمـام الحافظ أبي بكر محمد ابن العلامة مفتي خراسان منصور بن محمد التميمي، السَّمعـاني، المَرْوَزي، صاحب المصنَّفات الكثيرة، كان رحمه الله ظريف الشمـائل، حلو المذاكرة، سريع الفهم، قوي الكتابة وسريعها، درَّس ووعظ وأفتى، وساد أهل بيته، له «الأنساب» كتاب عظيم في بابه، حقق بعضاً منه =

النسبة، بعضهم يفتح التاء وبعضهم يضُمها وبعضهم يكسرها، والمشهور على ألسنة عامة الناس كسر التاء، والمتداول على أَلْسُنٍ فتح التاء وكسر الميم، والذين يضمون التاء يضمون معها الميم[9].

وفاته رحمه الله

توفي رضي الله عنه لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين بترمذ، وقال السمعاني: بقرية بُوغ ـ بضم الباء الموحدة والغين المعجمة[10] ـ، سنة خمس وسبعين ومئتين.

وقال الخليلي في «الإرشاد»: مات بعد الثمانين ومئتين.

[ولم يَرْتَضِهِ الأئمة][11].

قال الحافظ العراقي[12] عن قول الخليلي: قاله على الظن،

= العلاَّمة عبدالرحمٰن بن يحيى المعلِّمي رحمه الله المتوفى سنة ست وثمانين وثلاث مئة وألف للهجرة، وكذا له «أدب الطلب» و«تاريخ مرو» و«الذيل على تاريخ الخطيب» وغيرها كثير، ولد سنة ستٍّ وخمس مئة، وتوفي رحمه الله سنة ست وخمسين وخمس مئة للهجرة.

(٩) قال ابن دقيق العيد رحمه الله: تِرْمِذ بالكسر: هو المستفيض على الألسنة، حتى يكون كالمتواتر «من الأنساب» (١ / ٤٥٩).

(١٠) وبوغ: من قرى ترمذ؛ كما في «الأنساب» (١/ ٤٦٠).

(١١) «الإرشاد» (٣/ ٩٠٥). وما بين المعكوفتين ليس من كلام الخليلي، وانظر: «الأنساب» الموضع السابق.

(١٢) كلام العراقي بشأن سنة الوفاة، والعراقي هو عبدالرحيم بن الحسين ابن عبدالرحمٰن زين الدين العراقي، حافظ العصر، نشأ نشأة صالحةً، وحفظ كثيراً من متون الفِقه والحديث، قال التقي الفاسي رحمه الله في «ذيل التقييد»: كان =

وليس بصحيح .

والله أعلم .

مطلب

ترجمة الإمام النسائي

وأما ترجمة النسائي ؛ فهو أبو عبدالرحمٰن ، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، مصنف كتاب «السنن الكبرى» و «الصغرى» .

و «الكبرى» إحدى الكتب الستة .

قال الحافظ أبو عبد الله الحاكم[1] : كان النسائي إمام أهل

= حافظاً ، متقناً ، عارفاً بفنون الحديث والفقه والعربية ، كثير الفضائل والمحاسن .

له : «طرح التثريب في شرح التقريب» ، و «ألفية في المصطلح» ، و «إخبار الأحياء بأخبار الإحياء» وغيرها ، ولد سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وتوفي رحمه الله سنة ست وثمان مئة للهجرة .

(١) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدوية بن نُعيم بن الحَكَم ، الإمام ، الحافظ ، الناقد ، العلاَّمة ، شيخ المحدِّثين ، أبو عبدالله بن البيِّع - أي : من يتولى البياعة والتوسُّط في الخانات بين البائع والمشتري من التجار للأمتعة - الضَّبِّي ، الطَّهماني ، النيسابوري ، الشافعي ، صاحب التصانيف ، طلب العلم في صغره بعناية والده وخاله ، ولحق الأسانيد العالية بخراسان ، له «المستدرك على الصحيحين» ، و «معرفة علوم الحديث» ، و «المدخل إلى علم الصحيح» ، وغيرها ، وصنَّف وخرَّج ، وجَرَح وعدَّل ، وصحَّح وعلَّل ، وكان من بحور العلم على تشيُّعٍ قليلٍ فيه ، عاش حميداً ، ولم يُخلِّف في وقته مثله ، ولد رحمه الله سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة ، ومضى إلى جوار ربه سنة خمسٍ وأربع مئة للهجرة رحمه الله تعالى .

الحديث، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن في كل يوم وليلة؛ فإذا كان في رمضـان؛ ختم في كل يوم مرتين، وكـان يجـاهد، ويرابط، ولما امْتُحِنَ بدمشق؛ قال: احملوني إلى مكة، فَحُمِلَ إليها، فتوفي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة. قاله في «الزهر البسام»[٢].

وفاته رحمه الله

وقال الحافظ العراقي: إنه توفي بفلسطين، في صفر، سنة ثلاث وثلاث مئة[٣].

قاله الطحاوي[٤]، وابن يونس[٥]، وزاد: يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت منه.

---

(٢) اسمه «الزَّهر البسام فيما حَوَتْهُ عمدة الأحكام من الأنام»، وهو أرجوزة لمؤلفه محمد بن عبدالدايم البرماوي، وقد شرحها هو في كتاب سمَّاه: «سَرْحُ النهـر في شرح الزَّهر»، فَرَغَ منه في شوال سنة (٧٩٦هـ) من «كشف الظنون» (٢/ ٩٥١ ـ ٩٥٩)، وكذا «صِلَة الخَلَف بموصول السَّلَف» لمحمد الرَّوداني (ص ٢٦٠) وغيرها.

(٣) قاله في «طرح التثريب في شرح التقريب» (١/ ٢٩).

(٤) هو الإمام، العلاَّمة، الحافظ، محدِّث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفـر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، المصري، الطَّحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف، بَرَز في علم الحديث وفي الفِقه، وجَمَع وصنَّف، كان رحمه الله ثقةً، ثبْتاً، فقيهاً، عاقلاً، لم يخلِّف مثلَه، ولد سنة تسعٍ وثلاثين ومئتين، وتوفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة للهجرة.

قال الـذهبي: قلت: من نَظَرَ في تواليف هٰذا الإمـام؛ عَلِمَ محلَّه من العلم، وسَعَة معارفه، له «العقيدة الطحاوية» و«معاني الآثار»، وغيرها.

(٥) هو الإمام، الحافظ، المتقن، أبو سعيد عبدالرحمٰن بن أحمد ابن =

وكـذا قال الحـافظ أبـو عامـر العبـدري[٦]: إنه مات بالتاريخ المذكور بالرَّمْلَة، مدينة بفلسطين، ودفن ببيت المقدس.

وقال الدارقطني[٧]: حُمِلَ إلى مكة فتوفي بها في شعبان سنة

= الإمام يونس بن عبدالأعلى، الصَّدفي، المصري، ما ارتحل ولا سمع بغير مصر، ولٰكنَّه إمام بصير بالرجال فَهِمٌ متيقظ، له كتاب «تاريخ علماء مصر».

قال الذهبي: وقد اختصرتُ «تاريخه»، وعلَّقتُ منه غرائب.

ولد سنة **٢٨١هـ**، وتوفي سنة **٣٤٧هـ** رحمه الله.

(٦) هو الشيخ، الإمام، الحافظ، النَّاقد، الأوحد، أبو عامر محمد بن سعـدون بن مُرَجَّى بن سعـدون القُرشي العَبْـدَري، الميُوْرقي، المغـربي، الظَّاهري، نزيل بغداد، كان من بحور العلم، لولا تجسيمٌ فيه كما ذكر مترجموه.

قال أبـو طاهـر السِّلفي: هو من أعيان علماء الإسلام بمدينة السلام، متصرِّف في فنون من العلم أدباً ونحواً ومعرفة بالأنساب، وكان رحمه الله فَهِماً، عالماً، متعففاً مع فقره، وكان رحمه الله كما ذُكِرَ عنه يذهب إلى دَرْس المناولة كذهابه إلى دَرْس السماع. وقال السَّمْعاني: هو حافظ مبرِّزٌ في صنعة الحديث، سمع الكثير، نسخ بخطه وإلى آخر عمره، يفتي بمذهب داود الظاهري، ومنها أنه أفتى بعدم وجوب الغسل على من لم يُنْزِل ولو أولج؟!

قال الذهبي: ما ثبتَ عنه ما قيلَ من التشبيه، وإن صحَّ؛ فَبُعداً له وسُحْقاً، وكان فيه سوء أدب مع الأئمة المصنِّفين، قال فيه الحافظ هِبَةُ الله بن عساكر: وكان سيىء الاعتقاد، يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها (كأنه يقصد التمسك بمذهب الظاهرية في ذٰلك، لا الأخذ بظاهرها على طريقة أهل السنة).

(٧) هو الإمام، الحافظ، المجوِّد، شيخ الإسلام، عَلَمُ الجهابذة، أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار بن عبدالله البغدادي، المقرىء، المحدِّث، من مَحلَّة دار قطن ببغداد، كان من =

. . . .

= بحور العِلْم، ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة عِلل الحديث ورجاله، مع التقدم في القراءات وطُرقها، وقوة المشاركة في الفِقه والاختلاف والمغازي وأيام الناس وغير ذٰلك.

قال أبو عبدالله الحاكم في «مزكِّي الأخبار»: أبو الحسن صار واحد عصره في الحفظ والفهم والوَرَع، وإماماً في القُرَّاء والنَّحويين... وكان أحد الحفاظ، صنَّف التصانيف، وسار ذكره في الدنيا، وهو أول من صنَّف القراءات، وعَقَدَ لها أبواباً قبل فَرْشِ الحروف. وقال القاضي أبو الطيِّب الطبري: كان الدارقطني أميرَ المؤمنين في الحديث. وقال الأزهري: كان الدارقطني ذكيّاً، إذا ذُكِرَ شيء من العلم أي نوع كان؛ وُجِدَ منه عنده نصيب وافر، لقد حدَّثني محمد بن طلحة النِّعالي - الكلام للأزهري - أنه حضر مع أبي الحسن دعوةً عند بعض الناس ليلة، فجرى شيءٌ من ذكر الأَكَلَة، فاندفع أبو الحسن يورد أخبار الأَكَلَة وحكاياتهم ونوادرهم حتى قطع أكثر ليلته بذٰلك، له كتاب «العلل الواردة في الأحاديث النبوية».

قال الذهبي: إن كان كتاب «العلل» الموجود قد أملاه الدارقطني من حفظه؛ فهٰذا أمرٌ عظيم، يُقضى به للدارقطني أنَّه أحفظ أهل الدنيا، وإن كان قد أملى بعضه من حفظه؛ فهٰذا ممكن، وقد جَمَعَ قبله كتاب «العلل» عليُّ بن المُديني حافظ زمانه. انتهى.

وله «السنن» وغيرها من الأسفار النفيسة، وقال الذهبي أيضاً: لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذٰلك، بل كان سلفيّاً.

وقال ابن طاهر: له مذهب في التدليس، يقول فيما لم يسمعه من البغوي: قُرِىء على أبي القاسم البَغوي، حدَّثكم فلان.

وُلد رحمه الله سنة ست وثلاث مئة، وتوفي رحمه الله وغفر له سنة خمس وثمانين وثلاث مئة للهجرة.

ثلاث[8].

وقال الحافظ أبو عبدالله بن مَنده[9] عن مشايخه: إنه مات بمكة سنة ثلاث، وكان مولده سنة أربع عشرة ومئتين[10].

وأفْصَحَ ابن خِلِّكان عن سبب محنته، فقال: سكن مصر، وانتشرت بها تصانيفُه، وأخذ عنه الناس، ثم فارق مصر في آخر عمره، وخرج إلى دمشق، فَسُئِلَ عن مُعاوية وما روى من فضائله؛ فقال: أما

---

(٨) «سير أعلام النبلاء» (١٤/١٣٣).

(٩) هو الإمام، الحافظ، الجوَّال، محدِّث الإسلام، أبو عبدالله محمد ابن المحدِّث أبي يعقوب إسحاق ابن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يحيى بن مَنْدَه، ومنده لقب، واسمه إبراهيم بن الوليد بن مَنْدَه بن بُطَّة بن أُسْتَنْدار بن جهار بُخْت، وقيل: إن اسم أُستندار هٰذا فيرُزان، وهو الذي أسلم حين افتتح أصحابُ رسول الله ﷺ أصْبهان.

كذا ذكره الذهبي، وذكر الذهبي أنه لم يكن أحداً أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثاً منه، مع الحفظ والثقة، كان بعض تلاميذه يقول: حدثنا أبو عبدالله بن مَنْدَه إمامُ الأئمة في الحديث، لقَّاه الله رضوانه. وقال الحافظ أبو نُعيم: كان جبلاً من الجبال. ونقل غير واحد عن أبي إسحاق بن حمزة؛ أنه قال: ما رأيت مثلَ أبي عبدالله بن مَنْدَه.

له: «الإيمان»، و«التوحيد»، و«الصفات»، و«معرفة الصحابة»، و«التاريخ»، قالوا عنه: إنه كبير جدّاً، ولد سنة عشر وثلاث مئة تقريباً، وتوفي سنة خمسٍ وسبعين وأربع مئة للهجرة رحمه الله.

(١٠) «سير أعلام النبلاء» (١٤/١٣٢).

يُرْضِي معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يُفَضَّل[11]؟! وفي رواية أخرى: ما أعرف له فضيلة؛ إلا «لا أشبع الله بطنك»[12]. قال: وكان

---

(١١) «السِّير» (١٣٢/١٤).

(١٢) في (ز): «لا أسبع» بالمهملة.

هذا حديث رواه مسلم في «صحيحه» في (كتاب البر والصلة، باب من لَعَنَهُ النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه وليس أهلاً لذلك كان له زكاةً وأجراً ورحمة، ١٥٥/١٦ - نووي)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٠ و٣٣٨)، وفي غير موضع، والطيالسي في «المسند» برقم (٢٧٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٣٥) من طريق: محمد بن جعفر: حدثنا شعبة، عن أبي حمزة القصاب؛ قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت ألعب مع الغلمان، فدعاني رسول الله ﷺ وقال: «ادعُ لي مُعاوية»، وكان يكتب الوحي، قال: فدعوته. فقيل: إنه يأكل، فأتيت فقلتُ: يا رسول الله! هو يأكل. قال: «اذهب فادْعُهُ». فأتيته الثانية، فقيل: إنه يأكل؛ فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال في الثالثة: «لا أشبع الله بطنه».

وأتْبعه مسلمٌ بحديث: «إني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضبُ كما يغضبُ البشر، فأيُّما أحدٍ دعوت عليه من أمتي بدعوةٍ أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يُقرِّبه بها يوم القيامة».

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في «السِّير» (١٢٣/٣): فسَّره بعض المحبين لا أشبع الله بطنه، حتى لا يكون ممن يجوع يوم القيامة؛ لأن الخبر عنه أنه قال: «أطول الناس شبعاً في الدنيا، أطولهم جوعاً يوم القيامة». ثم قال: هذا ما صحَّ، والتأويل ركيك، وأشبه منه قوله ﷺ (وذكر الحديث السابق في رضاه وغضبه عليه الصلاة والسلام). وقال السيوطي في «الديباج» على «صحيح مسلم»: وعندي في تقريره أن المراد: مَنْ صَدَرَ مني ذلك في حقه تعزيراً له، على =

يَتَشَبَّع. قال: فما زالوا يدفعون في حِضْنِهِ حتى أخرجوه من المسجد. وفي رواية: يدفعون في خصيته وداسوه، ثم حُمِلَ إلى الرَّمْلَةِ، فمات

= ما صدر منه؛ فاجعله كفَّارة لما صدر منه، ولا تجعله عقوبة عليه في الآخرة، فإن دعاءه ﷺ قد ينفد في الآخرة، وأمر ذٰلك شديد. انتهى.

وذكر الحافظ العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى في سِفْرِهِ العظيم «فتح الباري» (١١/ ١٧٦) كلاماً ماتعاً حول هٰذا الحديث نورده بنصه لأهميته وشموله، قال رحمه الله: قال المازري: إن قيل: كيف يدعو ﷺ بدعوة على من ليس لها بأهل؟ قيل: المراد بقوله: ليس لها بأهـل عندك في باطن أمره، لا على ما يظهر مما يقتضيه حاله وجنايته حين دعائي عليه، فكأنه يقول: من كان باطن أمره عندك أنه ممن ترضى عنه؛ فاجعل دعوتي عليه التي اقتضاها ما ظهر لي من مقتضى حاله حينئذ طهوراً وزكاة، قال: وهٰذا معنى صحيح لا إحالة فيه لأنه ﷺ كان متعبَّداً بالظواهر، وحساب الناس في البواطن على الله. انتهى.

وهٰذا مبنيٌّ على قول من قال: إنه كان يجتهد في الأحكام، ويحكم بما أدى إليه اجتهاده، وأما من قال: كان لا يحكم إلا بالوحي؛ فلا يأتي منه هٰذا الجواب.

ثم قال المـازري: فإن قيل: فمـا معنى قولـه: «وأغضب كمـا يغضب البشر»؛ فإن هٰذا يشير إلى أن تلك الدعوة وقعت بحكم سَوْرَة الغضب، لا أنها على مقتضى الشرع، فيعود السؤال؟ فالجواب: أنه يحتمل أنه أراد أن دعوته عليه أو سبه أو جلده كان مما خُيِّر بين فعله له عقوبة للجاني أو تركه والزجر له بما سوى ذٰلك، فيكون الغضب لله تعالى بعثه على لعنه أو جلده، ولا يكون ذٰلك خارجاً عن شرعه.

قال: ويحتمل أن يكون ذٰلك خرج مخرج الإشفاق، وتعليم أمته الخوف من تعدِّي حدود الله، فكأنه أظهر الإشفاق من أن يكون الغضب يحمله على =

. . . .

= زيادة في عقوبة الجاني لولا الغضب لما وقعت، أو إشفاقاً من أن يكون الغضب يحمله على زيادة يسيرة في عقـوبة الجاني لولا الغضب ما زادت، ويكون من الصغائر على قول من يُجَوِّزها، أو يكون الزجر يحصل بدونها، ويحتمل أن يكون اللعن والسب يقع منه من غير قصد إليه؛ فلا يكون في ذلك كاللعنة الواقعة رغبة إلى الله وطلباً للاستجابة.

وأشار عياض إلى ترجيح هذا الاحتمال الأخير؛ فقال: يحتمل أن يكون ما ذكره من سبٍّ ودعاء غير مقصودٍ ولا مَنْويٍ، ولكن جرى على عادة العرب في دعم كلامهـا، وصِلَةِ خطابهـا عند الحرج، والتأكيد للعتب، لا على نية وقوع ذلك؛ كقولهم: عَقْرى، حَلْقى، تَرِبَتْ يمينك، فأشفق من موافقة أمثالها القدر، فعاهد ربه، ورغب إليه أن يجعل ذلك القول رحمة وقربة. انتهى.

وهذا الاحتمال حسن؛ إلا أنه يَرِدُ عليه قوله: جلدته ـ وهو عند مسلم ـ، فإن هذا الجواب لا يتمشى فيه، إذ لا يقع الجلد عن غير قصد، وقد ساق الجميع مساقاً واحداً؛ إلا إنْ حُمِلَ على الجلدة الواحدة فيتَّجِهُ، ثم أبدى القاضي احتمالاً آخر؛ فقال: كان لا يقول ولا يفعل ﷺ في حال غضبه إلا الحق، لكن غضبه لله قد يحمله على تعجيل معاقبة مخالفه، وترك الإغضاء والصفح، ويؤيده حديث عائشة: «ما انتقم لنفسه قط؛ إلا أن تنتهك حرمات الله»، وهو في الصحيح.

قلت (أي: ابن حجر): فعلى هذا؛ فمعنى قوله: «ليس لها بأهل»؛ أي: من جهة تعين التعجيل. وفي الحديث كمال شفقته ﷺ على أمته وجميل خلقه وكرم ذاته؛ حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم، وهذا كله في حق معينٍ في زمنه واضح، وأما ما وقع منه بطريق التعميم لغير معين حتى يتناول من لم يدرك زمنه ﷺ؛ فما أظنه يشمله، والله أعلم. اهـ.

وانظر للفائدة: «الإمامة» للأصبهاني آخر الكتاب؛ حيث فصل رحمه الله تعالى.

بها[١٣].

وقال الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني[١٤]: لمَّا داسوه بدمشق؛ مات بسبب ذٰلك الدَّوس.

وكان قد صنف كتاب «الخصائص» في فضل علي رضي الله عنه وأهل البيت[١٥]، وأكثر رواياته فيه عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله

---

(١٣) «السير» (١٤/١٣٢)، و«الشذرات» (٢/٢٤٠ و٢٤١)، وغيرهما.

(١٤) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مِهْران، الإمام، الحافظ، الثقة، العلاَّمة، شيخ الإسلام، أبو نعيم الأصبهاني، الصُّوفي، الأحول، كان حافظاً، مُبَرِّزاً، عالي الإسناد، تفرَّد في الدنيا بشيء كثير من العوالي، وهاجر إلى لُقِيِّهِ الحفَّاظ، وقال حمزة بن العباس العَلَويُّ: كان أصحاب الحديث يقولون: بقي أبو نُعيم أربعَ عشرة سنةً بلا نظير، لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى منه إسناداً. له كتاب «الحِلْية» العظيم، قيل: إنه لما صنَّفه حُمِلَ الكتاب إلى نيسابور حال حياته، فاشتروه بأربع مئة دينار.

وأنكر الحافظ الذهبي رحمه الله على من عاداه وحاول قتله بسبب مسألة التشعُّر والأشعرية، ثم قال: ما أعرف له ذَنْباً ـ والله يعفو عنه ـ أعظم من روايته للأحاديث الموضوعة في تواليفه ثم يسكت عن توهيتها.

ولـه أيضـاً: «معجم» لشيوخه، و«تاريخ أصبهان»، و«دلائل النبوة»، و«فضائل الصحابة»، و«علوم الحديث»، و«النفاق»، و«المستخرج على الصحيحين» يوجد منه ما استخرَجهُ على «صحيح مسلم»، وغيرها كثير.

ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وتوفي رحمه الله سنة ثلاث وأربع مئة للهجرة رحمه الله.

(١٥) «تهذيب التهذيب» (١/٣٨) وغيره. =

عنه؛ فقيل له: ألا تصنِّفُ كتاباً في فضائل الصحابة رضي الله عنهم؟ فقال: دخلتُ دمشق والمُنْحَرِفُ عن عليٍّ كثير، فأردتُ أن يَهديهم الله بهٰذا الكتاب[١٦].

بعض من سيرته

قال ابن خِلِّكَـان: وكان النسائي يصوم يوماً ويفطر يوماً. قال: وكان موصوفاً بكثرة الجماع[١٧].

قال ابن عساكر الدمشقي[١٨]: كان له أربع زوجات يقسم لهُنَّ

= وقال الذهبي في «السير» (١٤/١٣٣): وأما كتابه «الخصائص»؛ فإنه في ضمن «سننه الكبير» أ.هـ، وهـو مطبـوع مُفْـرَد بتحقيق أحمـد البلوشي سنـة (١٤٠٦هـ) بمطبعة المعلا بالكويت.

(١٦) «السِّير» (١٤/١٢٩).

(١٧) «وفيات الأعيان» (١/٧٨).

(١٨) هو الإمام، العلاَّمة، الحافظ، الكبير، المجوِّد، محدّث الشام، ثقةُ الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر، الدمشقي، الشافعي. رحل إلى بغداد، وأقام بها خمسة أعوام يحصِّل العلم، كان رحمه الله فَهِماً حافظاً متقناً ذكيّاً بصيراً بعلم الحديث والتواريخ، لا يُلْحَقُ شأوُهُ، ولا يُشَقُّ غُباره، ولا كان له نظير في زمانه. ذكروا عنه أنه كان يختم القرآن كل جمعة، وفي رمضان كل يوم، ويعتكف، وكان رحمه الله كثير النوافل والأذكـار، قال عنـه ابنـه القـاسم: كان يختم القـرآن كل جمعة، كثير النوافل والأذكار، ذا عبادة وطاعة. قال مَرَّة: لما حَمَلَت بي أمي؛ رأت في منامها قائلاً يقول: تلدين غلاماً يكون له شأن. له «تاريخ دمشق»، وهو أوسع ما أُلِّف في تاريخ المـدن، وكـذا له «معجم شيوخـه»، و«فضـائـل أصحـاب الحديث»، و«عـوالي الأوزاعي وحـالـه»، و«عوالي شُعبة»، و«عوالي سفيان»، و«معجم القـرى والأمصار»، و«الأربعون في الجهاد»، حققه الشيخ عبدالله بن يوسف =

وسراري[19].

وقال الدارقطني: امْتُحِنَ النسائي بدمشق، فأدرك الشهادة، رحمه الله ورضي عنه.

ثم ذكر الخلاف أين مات، ثم قال: وكان إماماً في الحديث، ثقة، ثبتاً، حافظاً[20]، ومَوْفِدُهُ بِنَسا، سنة عشرة، وقيل: أربع عشرة ومئتين.

نسبة النسائي

قال: ونسبته إلى (نسأ) ـ بفتح النون والسين المهملة وبعدها همزة ـ، وهي مدينة بخراسان، خرج منها جماعة من الأعيان[21]. انتهى.

وقال البَرْمَاوي في «شرح الزَّهْر البسَّام»[22]: والنسائي يقال فيه:

= الجُذَيع وغيرها من التواليف الكثيرة. ولد سنة تسع وتسعين وأربع مئة، وتوفي سنة إحدى وسبعين وخمس مئة للهجرة رحمه الله.

(١٩) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١/٣٣٧) وغيره.

(٢٠) «السير» (١٤/١٣٢ و١٣٣).

(٢١) ستأتي نسبة (نَسَا)، والمقطع السابق من «وفيات الأعيان» (١/٧٨) وغيره.

(٢٢) تقدَّم ذكر الكتاب في الحاشية (٢) من هٰذا المطلب، واسمه «شرح النهر في شرح الزهر»، والمؤلف هو محمد بن عبدالدايم بن موسى النعيمي العسقلاني البَرْماوي، الملقَّب بشمس الدين، المكنَّى بأبي عبدالله، الفقيه الشافعي، الأصولي، النَّحوي، من أهل دمشق، تفقه وهو شاب، كان بحراً في مختلف العلوم، مع حسن التواضع وحب الخير، وَصَفَهُ الحافظ تاج الدين الكَرْكي بأنه أحد الأئمة الأجِلاَّء والبحر الذي لا تكدِّره الدِّلاء، له «اللامع الصبيح =

النَّسَوي أيضاً، نسبة إلى نَسَا كورة من كور نيسابور.

وقال المسعودي[٢٣]: نسا من أرض فارس[٢٤].

وقال الحافظ عبدالغني بن سعيد[٢٥]: نسا موضع بخراسان[٢٦].

قال الرُّشَاطي[٢٧]: والقياس النسوي[٢٨]. والله أعلم.

= على الجامع الصحيح» شرح على البخاري، وقد نَظَمَ ألفية في أصول الفِقه ذكروا أنـه لم يُسْبَقْ إلى مثلها، وشَرَحَها شرحاً حافلاً في نحو مجلدين، ولعل الشرح يَخْرُجُ قريباً بإذن الله ممثَّلاً في أطروحة رسالة علمية، توفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين وثمان مئة.

(٢٣) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي من ذرية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، صاحب «مروج الذهب» وكان أخبارِيّاً، صاحب مُلَحٍ وغرائب وعجائب وفنون، وذكروا عنه الاعتزال، توفي سنة خمس وأربعين وثلاث مئة للهجرة.

(٢٤) في «الشذرات» (٢ / ٢٣٩): ونَسَا: مدينة بخراسان ـ كما سبق إيراده من المؤلف ـ (وقيل: كَوْرَة، من نواحي نيسابور تشتمل على ثلاث وتسعين قرية).

(٢٥) هو عبدالغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر، الإمام، الحافظ، الحجَّة، النسَّابة، محدِّث الديار المصرية، أبو محمد الأزدي المصري، صاحب كتاب «المؤتلف والمختلف»، كان فَرَضِيّاً، ومن كبار الحفَّاظ، وله «المدخل إلى الصحيح»، توفي سنة تسع وأربع مئة للهجرة رحمه الله.

(٢٦) «المؤتلف والمختلف» (ص ٣٧).

(٢٧) هو الشيخ، الإمام، الحافظ، المتقن، النسَّابة، أبو محمد، عبدالله بن علي بن عبدالله بن علي بن أحمد، اللخمي، الأندلسي، المريي، =

مطلب
في ذكر الاستغفار وفضيلته والحث عليه

المقصد الثاني: في بعض فضائل الاستغفار.

وقد نَدَبَ الله تعالى في كتابه العزيز، ومدح أهله، وأخبر أنه سبب لحصول الرزق والغيث.

وفي «صحيح مسلم» و«الترمذي» و«ابن ماجه» وغيره: «يا ابن آدم! كلكم مذنب؛ إلا من عافيت؛ فاستغفروني أغفر لكم». وفيه: «ومن استغفرني، وهو يعلم أني ذو قدرة على أن أغفر له؛ غفرت له، ولا أبالي».

ولفظ الترمذي: «يا عبادي!»[1]، وفي الترمذي أيضاً من حديث

= الرشاطي، كان ضابطاً، محدثاً، متقناً، إماماً، ذاكراً للرجال، حافظاً للتاريخ والأنساب، فقيهاً، بارعاً، له «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب رواة الآثار» وغيره، توفي سنة **٥٤٢هـ** رحمه الله.

(٢٨) قال السَّمْعاني في «الأنساب» (٥/٤٨٧): النَّسَوي ـ بفتح النون، والسين المهملة، والواو ـ هٰذه النسبةُ إلى نَسَا، وقد ذكرنا نسبة النسائي إليها.

(١) رواه قريباً من هٰذا اللفظ: الترمذي في «السنن» برقم (**٢٤٩٥**، في كتاب صفة القيامة، باب رقم ٤٨)، والإمام أحمد في «المسند» (**٥/١٥٤** و**١٧٧**)، وعند الترمذي قدَّم قوله: «... كلكم ضال إلا من...» على قوله: «كلكم مذنب إلا من عافيت...»، وكذا بنفس هٰذا اللفظ رواه ابن ماجه في «السنن» برقم (**٤٢٥٧**، في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)، كلهم من طرقٍ عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمٰن بن غُنْمٍ عن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه بلفظين =

أنس رضي الله عنه ـ وقال: حسن غريب ـ عن رسول الله ﷺ؛ قال: «قال الله: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عَنان السماء، ثم استغفرتني؛ غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقرابها مغفرة»[2].

= متقاربين، وكلهم بلفظ «يا عبادي...» بدل: «يا ابن آدم...».

ورواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٥٧٧، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم) بلفظه المشهور: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي...» ثم قال: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني أغفر لكم...» من طريق آخر عن أبي ذر، وكذا رواه بنفس لفظ الإمام مسلم رحمه الله باختلاف قليل: عبدالرزاق في «المصنف» برقم (٢٠٢٧٢، في باب الذنوب، ١١/١٨٢) من طريق: معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي ذرٍّ به.

وهو عند أحمد أيضاً بلفظ آخر مختلف في (٥/١٦٠) من طريق همام عن قتادة عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه (وذكر الحديث بنحوه). وهمام هو ابن يحيى بن دينار الأزدي العوذي، وهو من الثقات المتهمين بالوهم، وقتادة هو ابن دعامة السدوسي، وهو ثقة ثبت، معروف، وأبو قلابة هو عبدالله بن زيد الجَرْمي البصري، ثقة، فاضل، كثير الإرسال، وقد ثبت سماع قتادة منه، وأبو أسماء هو عمرو بن مَرْثَد، الرَّحبي الدمشقي من الثقات، وبذلك تبين صحة هذا الإسناد وثبوته.

(٢) رواه الترمذي في «السنن» برقم (٣٥٤٠، في كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذُكِر من رحمة الله لعباده).

وقال أبو عيسى رحمه الله: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا =

. . . .

= الوجه. . .

ورواه من طريق: كُثَيِّر بن فائد: حدثنا سعيد بن عبيدٍ، سمعت بكر بن عبدالله المُزَني يقول: سمعت أنساً. . . (فذكره).

ورجاله كلهم ثقات؛ ما عدا كُثَيِّر، ذكره الحافظ في «التقريب»، وقال: مقبول. وكذا ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٤ / ١٤٤)، وذكر كلام الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٨/٤٢٤)، وذكره ابن حبان في الثقات (٩/٢٥).

قلت: وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله للحديث شواهد في «جامع العلوم والحكم» (٢ / ٤٠٠) وقال: إسناده لا بأس به.

وكذا حسَّن إسناده الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله ورعاه بذكر شواهد له.

نقول ـ اختصاراً للمقام ـ: من شواهده الصحيحة ما رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٤٨، في كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة) من طريق: قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن محمد بن قيس ـ قاصِّ عمر بن عبدالعزيز ـ، عن أبي صرْمَة، عن أبي أيوب؛ أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنكم تذنبون؛ لخلق الله خلقاً يغفر لهم». ثم ساق رحمه الله الحديث بعدة روايات وأسانيد.

وكذا أيضاً ما رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٧٥، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب رقم ١) من طريق جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: «يقول الله تعالى: من تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً. . .»، وذكر الحديث بطوله، وإنما هٰذا الشاهد في ضمنه، وشواهده والحمد لله في كتب السنة كثيرة.

(العنـــان) ـ بفتــح العين المهملة ـ: السحـاب[٣]، و(قـراب الأرض) ـ بضم القاف ـ: ما يقارب ملاها[٤].

وروى الإمام أحمد والحاكم ـ وقال: صحيح الإسناد ـ عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: «قال إبليس: وعزتك؛ لا أبرح أغوي عبـادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال: وعزتي وجلالي؛ لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»[٥].

---

(٣) «لسان العرب» (مادة: عَنَنَ).

(٤) «اللسان» (باب قرب).

(٥) رواه الإمام أحمـد في «المسنـد» (٣/٤١)، وكـذا الـطبراني في «الدعاء» برقم (١٧٧٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/٤٥٨)، كلهم من طريق: يونس ـ هو ابن محمـد المؤدِّب ـ، ثنـا الليث ـ يعني: ابن سعـد ـ، عن يزيد ـ يعني: ابن الهاد ـ، عن عمرو بن سليم الزرقي، عن أبي سعيد به.

قلت: هٰذا إسنـاد متَّصـل ورجـالـه ثقـات أثبـات، ورواه الإمام أحمد (٣/٢٩) من طريق أبي سلمة عن الليث به.

ورواه الإمـام أحمـد (٣/٢٩)، وكـذا أبو يعلى (٢/٥٣٠)، وكذا رواه البغوي في «شرح السنة» (٥/٧٦)، كلهم من طريق: ابن لهيعة، ثنا دَرَّاج ـ هو ابن سمعان ـ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بنحوه، وعند أحمد زيادة طويلة في وصف ضرس الكافر في النار ـ أعاذنا الله منها ـ، ووصف درجات الجنة، وكذا الرؤيا وأصدقها، وفضل الأذان، وهٰذا الإسناد فيه دَرَّاج بن سمعان، وفي حديثه عن أبي الهيثم ضعف، وكذا فيه ابن لَهيعة وحاله معـروفة، ولٰكن هٰذا الإسناد مشدود بالذي قبله، ووجدت عند البغوي لفظة: «. . . . وعـزتي وجلالي، وارتفاع مكاني . . .»، وهٰذه الزيادة منكرة، كما هو جلي من قواعد هٰذا العلم، وكذا ذكره محقق «شرح السنة» للبغوي. =

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «ألا أدلكم على دائكم ودوائكم؟ ألا إن داءكم الذنوب، ودواءكم الاستغفار»[6].

= وكذا هو عند أحمد (٣/٢٩) من طريق: أبي سلمة ـ هو الخزاعي ـ أنا الليث عن يزيد بن الهاد به، وهو إسناد متصل، رجاله ثقات.

ورواه الإمام أحمد أيضاً (٣/٧٦) من طريق: يحيى بن إسحاق، أنا ابن لهيعة، عن درَّاج، عن أبي الهيثم به، ويحيى بن إسحاق هو البَجَلي السِّيلَيحيني، وهو صدوق كما ذكر الحافظ.

وكذا رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/٢٦١) من طريق: أحمد بن محمد بن مهران، ثنا أبي، ثنا عمرو بن سوَّاد السَّرْحي، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن دَرَّاجٍ به.

وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، ومِنْ ثَمَّ قال الهيثمي في «المَجْمَع»: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في «الأوسط»، وأحد إسنادَي أحمد رجاله رجال الصحيح، وكذٰلك أحد إسنادي أبي يعلى. انتهى.

(٦) رواه البيهقي في «الشعب» برقم (٦٧٤٦، في ١٢/٤٥٨)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (١/١٣٦ برقم ٤٧٨)، روياه من طريق: علي بن بشران، أخبرنا علي بن محمد المصري، حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا عبدالله ابن هلال العطار، حدثني الربيع بن نجاح بن يسار، عن أبيه نجاح بن يسار، عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً به. ثم قال البيهقي رحمه الله: هٰذا إسناد مجهول مرفوعاً.

قال محقق «الشُّعب»: إسناده فيه مجاهيل، عبدالله بن هلال لم أظفر له بترجمة، وشيخه الربيع بن نجاح بن يسار وأبوه لم أعرفهما.

نقول: الحديث أورده الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» =

ورُوِيَ عن قتادة[7] من قوله.

قال الحافظ المنذري[8]: وهو أشبه بالصواب[9].

= (٢/٤٦٨) بصيغة «رُوِيَ» بالتضعيف؛ قال: وقد روي عن قتادة من قوله وهو أشبه بالصواب، وعزاه للبيهقي. اهـ.

نقول كما سيأتي معنا في الكتاب أن الوقف أصح من الرفع؛ حيث رواه البيهقي أيضاً في «الشعب» (١٢/٤٥٨ برقم ٦٧٤٥).

رواه من طريق أبي سعيد ـ هو محمد بن موسى الصيرفي ـ، أخبرنا أبو عبدالله ـ هو محمد بن عبدالله الصفار ـ، حدثنا عبدالله ـ هو الإمام ابن أبي الدنيا ـ، حدثني أبو حاتم ـ هو محمد بن إدريس الرازي ـ، حدثنا هُدْبة بن خالد، حدثنا سلام بن مسكين؛ قال: سمعت قتادة يقول: «إن القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم؛ فالذنوب، وأما دواؤكم؛ فالاستغفار».

قلت: هٰذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وفيهم رجال «الصحيحين».

(٧) هو قتادة بن دَعَامَة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن سدوس، أبو الخطاب السدوسي، البصري، وقد اختلفوا في ترتيب اسمه وأسماء أجداده، وُلِدَ أكمه، سمع من خَلْق، رحل إلى سعيد بن المسيب فجعل يكثر من سؤاله؛ فقال له سعيد: أكل ما سألتني وأجبتك تحفظه؟ فقال: نعم. وجعل يرد عليه ما سمع منه حتى قال سعيد: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

وذكر الذهبي أنه حجة بالإجماع، إذا بين السماع؛ فإنه مدلس معروف. وقال فيه الذهبي: حافظ العصر، وقدوة المفسرين والمحدثين. وقال الإمام أحمد: كان قتادة عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء. ثم وصَفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، وقال: قلَّما تجد من يتقدَّمه. توفي رحمه الله سنة ثمان عشرة ومئة للهجرة.

(٨) هو الإمام، العلَّامة، الحافظ، المحقق، شيخ الإسلام، زكيُّ =

وروى: أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، وصححه الحاكم؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لَزِم الاستغفار؛ جعل الله له من كل هم فَرَجاً، ومن كل ضيق مَخْرَجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»(١٠).

= الدين، أبو محمد، عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله المنذري، الشامي، الشافعي، له: «المعجم»، و«الموافقات»، و«مختصر صحيح مسلم»، و«مختصر سنن أبي داود»، وشرح «التنبيه» في الفقه شرحاً حافلاً، وغير ذلك.

قال الحافظ الحسيني: كان عديم النظير في علم الحديث على اختلاف فنونه، ثبتاً، حجَّة، وَرِعاً. توفي رحمه الله سنة ست وخمسين وست مئة للهجرة.

(٩) «الترغيب والترهيب» (٢/٤٦٨).

(١٠) رواه أبو داود في «السنن» برقم (١٥١٨، في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار) وفي غير موضع، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٤٥٦، في باب الإكثار من الاستغفار وثواب ذلك)، وابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨١٩، في كتاب الأدب، باب الاستغفار)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٢٦٢، في كتاب التوبة والإنابة، باب في ذكر فضيلة الاستغفار)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/٣٥١، في كتاب صلاة الاستسقاء، باب ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/٧٩، في كتاب الدعوات، باب الاستغفار)، والإمام أحمد في «المسند» (١/٢٤٨)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٠٦٦٥)، وابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٦٤، في باب ثواب الاستغفار والإكثار منه)، ورواه أيضاً ابن نصر كما في «مختصر قيام الليل» للمقريزي (صحيفة ٩٨، في باب الاستغفار بالأسحار والصلاة فيها)، ورواه أبو نُعيم في «الحِلْيَة» (٣/٢١١)، وابن حبان في =

وروى ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقي؛ عن عبدالله بن بُسْرٍ[11] رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن وَجَدَ في صحيفته استغفاراً كثيراً»[12].

= «المجروحين» (1/249)، وذَكَر ابن حبان رواية «من أدمن الاستغفار...»، كلهم من طريق: الوليد بن مسلم، ثنا الحَكَم بن مُصْعب، ثنا محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه؛ أنه حدَّثه عن ابن عباس؛ أنه حدثه قال: قال رسول الله ﷺ. فذكره، ولم يذكر ابن ماجه في روايته للإسناد: «عن أبيه...»!

وقال الحاكم بعد ما رَوَى الحديث: هٰذا حديث صحيح، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: قلت: إن الحَكَم فيه جهالة، فنقول: والحَكَم بن مُصْعب هو المخزومي الدمشقي. قال فيه الحافظ في «التهذيب»: هو مُقِلٌّ جداً، وإن كان أخطأ فهو ضعيف. وقال في «التقريب»: هو مجهول. وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (3/128، رقم 581): هو شيخ للوليد، ولا أعلم روى عنه أحد غيره.

والحديث قد ضعفه البغوي عند روايته للحديث، وذكر ضعف الحَكَم، وضعَّفه شيخنا صاحب الفضيلة الشيخ سعد الحميِّد في «مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبدالله الحاكم» لابن الملقِّن (6/2880).

(11) هو عبدالله بن بُسْرٍ بن أبي بُسْر الصحابي، المعمَّر، أبو صفوان المازني رضي الله عنه، له أحاديث قليلة وصحبة يسيرة، حديثه في الكتب السِّتة، وقد غزا جزيرة قبرس مع معاوية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم، توفي رضي الله عنه قبل سنة مئة للهجرة، وعمره رضي الله عنه أربع وتسعون، وهو آخر من مات في الشام من الصحابة.

(12) رواه ابن ماجه في «السنن» برقم (3818، في كتاب الأدب، باب في الاستغفار)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (455)، والحكيم =

. . . .

= الترمذي في «نوادر الأصول» (صحيفة ١٧٠)، وكذا رواه الطبراني في «الدعاء» برقم (١٧٨٩، في باب ما جاء في الاستغفار) من طريق عثمان بن سعيد الحِمْصي، حدثنا محمد بن عبدالرحمٰن ـ وهو ابن عِرْقٍ ـ؛ قال: سمعت عبدالله ابن بسرٍ رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ (فذكره).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١٩٦/٣): هٰذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٦٨/٢): رواه ابن ماجه بإسناد صحيح. ورواه البيهقي، ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٦٠٤/٣ برقم ١٧٨٩) من طريق: إبراهيم بن محمد بن عِرْق الحمصي، ثنا محمد بن مصفًّى، ثنا يحيى بن سعيد العطار ـ هو الأنصاري ـ، عن محمد بن عبدالرحمٰن بن عِرْقٍ به.

وهٰذه الطريق فيها يحيى الأنصاري، وقد قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف. ولٰكنَّ عثمان بن سعيد تابعه في الإسناد السابق، وهو ثقة عابد؛ كما ذكر الحافظ في «التقريب» وغيره.

ورواه الخطيب في «تاريخه» (١١٠/٩ و١١١)، وكذا رواه أبو نعيم في «الحِلْية».

قال أبو نُعيم: حدثنا أبي وأبو محمد بن حيان؛ قالا: ثنا محمد بن يحيى ابن مَنْدَه، ثنا الهُذيل بن معاوية، ثنا إبراهيم بن أيوب، ثنا النعمان ـ لعله المغيرة ابن النعمان ـ، عن سفيان ـ هو الثوري ـ، عن منصور بن صفية، عن أمه، عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: إن النبي ﷺ نهى عن سب الأموات، وقال: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً».

ومن طريقه رواه الخطيب حيث قال: أخبرنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن إسماعيل الورَّاق، حدثنا سعيد بن القاسم الحافظ ـ أبو عمرو البَرْذعي ـ، حدثنا محمد بن منده به.

ورَوى البيهقي بإسناد لا بأس به عن البراء[13] رضي الله عنه مرفوعاً: «من أحب أن تسره صحيفته؛ فليكثر فيها من الاستغفار»[14].

وروى أيضاً عن أنس مرفوعاً: «إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس،

---

(١٣) هو البَرَاء بن عازب، الفقيه الكبير، من أعيان الصحابة، أبو عمَّار، شهد غزوات كثيرة مع النبي ﷺ، له في «الصحيحين» اثنان وعشرون حديثاً، توفي رضي الله عنه سنة ثنتين وسبعين للهجرة.

(١٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (١/٤٦٥، برقم ٨٤٣)، وكذا الضياء في «المختارة» (١/٢٩٧)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (١/٣٦٤) من طريق: أحمد الحَلواني، ثنا عتيق بن يعقوب الزبيري، ثنا ابن المنذر عبيدالله ومحمد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير بن العوَّام رضي الله عنه (فذكره).

وقال الطبراني بعد روايته للحديث: لا يُروى هٰذا الحديث عن الزبير إلا بهٰذا الإسناد، تفرَّد به عتيق بن يعقوب. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢١١): رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله ثقات. وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» بعد ما أورد هٰذا الحديث؛ قال: رواه البيهقي بإسنادٍ لا بأس به.

قلت: والإشكال في هٰذا الإسناد يقع على محمد بن المنذر هٰذا؛ فقد تكلَّم فيه أهل العلم، ذكره الحافظ في «لسان الميزان» (٥/٣٩٤)، وقال: قال ابن حبان في «الثقات»: ربما أخطأ. وقال فيه أيضاً: محمد بن المنذر بن الزبير ابن العوام أخو عبيدالله بن المنذر يَروي المقاطيع والمراسيل. اهـ.

وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/١/٩٧)، وسكت عليه، ولكن مع هٰذا كله يوجد له متابع في نفس الإسناد والحمد لله، وهو أخوه عبيدالله ابن المنذر، وقد وثقه ابن حبان في «الثقات» (٧/١٥٢).

وجلاؤها الاستغفار»[١٥].

وبالجملة؛ فدواء الذنوب الاستغفار.

قال الحافظ ابن رجب[١٦] في كتابه «شرح الأربعين النووية»:

---

(١٥) رواه الطبراني في «الصغير» (١/١٨٤) من طريق: إبراهيم بن الوليد بن سلمة الطبراني: حدثني أبي، حدثنا النَّضر بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن أنس رضي الله عنه به.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢١٠): وفيه الوليد بن سلمة الطبراني، وهو كذاب.

قلت: ذكره الحافظ في «اللسان» (٦/٢٢٢)، وقال: قال أبو حاتم، يضع الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات، وقال الدارقطني: ضعيف تُرِك، وقال في «عِلَله»: متروك، ذاهب الحديث. انتهى.

وأشار الهيثمي أن الطبراني أخرجه أيضاً في «الأوسط»، وفيه زيادة: «يا رسول الله! فما جلاؤها؟ قال: الاستغفار».

والحديث رواه ابن عدي أيضاً في «الكامل» (٧/٢٥٣٩) من نفس الطريق السابقة، وقال ـ أي: ابن عدي ـ: وهٰذه الأحاديث للوليد، مع ما لم أذكر من حديثه، عامتها غير محفوظة.

وأشار الحافظ السيوطي رحمه الله إلى ضَعْفِ الحديث في «الجامع»، ووافقه العلَّامة الألباني حفظه الله على ذٰلك، وأحال الشيخ ناصر لتضعيفه للحديث لـ «السلسلة الضعيفة» برقم (٢٢٤٠)! ولم يُطْبَع بعد، والله أعلم.

(١٦) هو عبدالرحمٰن بن أحمد بن رجب البغدادي، أبو الفرج، الحافظ، المحدِّث، الفقيه، الواعظ، زين الدين الحنبلي، صنَّف «شرح الترمذي»، طُبِعَ منه العلل في آخره، و«ذيل طبقات الحنابلة»، و«جامع العلوم والحِكَم»، وهو المعروف بـ «شرح الأربعين»، وغيرها من الكتب النافعة كثير، توفي سنة خمس =

روِّينا من حديث أبي ذر مرفوعاً: «إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الاستغفار»(١٧).

= وتسعين وسبع مئة للهجرة.

(١٧) رواه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤١ و٢٤٢): حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالُويه، ثنا محمد بن بشر بن مطر، ثنا خالد بن خداش الزهراني، ثنا بشار بن الحكم، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن أبا ذرٍّ رضي الله عنه بال قائماً، فانتضح من بوله على ساقيه وقدميه، فقال له رجل: إنه أصاب من بولك قدميك وساقيك، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً حتى انتهى إلى دار قوم، فاستوهبهم طهوراً فأخرجوا إليه؛ فتوضأ وغسل ساقيه وقدميه، ثم أقبل على الرجل؛ فقال: ماذا قلتَ؟ فقال: أما الآن؛ فقد فعلت. فقال أبو ذر رضي الله عنه: هٰذا دواءُ هٰذا، ودواء الذنوب أن تستغفر الله عز وجل.

وقال الحاكم: هٰذا وإن كان موقوفاً؛ فإن إسناده صحيح عن أنس عن أبي ذرٍّ، وهٰذا موضعه. ووافقه الذهبي.

نقول بالله مستعينين: لم أجده مرفوعاً؛ إلا بذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله في «الجامع» لذٰلك، وكما ذكر المؤلف رحمه الله في (٢/ ٤١٥)، أما بالنسبة لكلام الحاكم وموافقة الذهبي له؛ ففي الإسناد بشار بن الحكم الضَّبي البصري، كنيته أبو بدر، ذكره الحافظ في «اللسان» (٢/ ١٦) وقال: قال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال ابن حبان: ينفرد عن ثابت بأشياء ليست من حديثه. . . وقال ابن عدي: منكر الحديث عن ثابت وغيره، ولا يتابع، وأحاديثه أفراد، وأرجو أنه لا بأس به. . . انتهى كلام الحافظ، وبهٰذا يتبين عدم ثبوت هٰذا الحديث موقوفاً بهٰذه الطريق، والله أعلم، وقد وجدت شيخنا الفاضل الشيخ سعد الحميِّد حفظه الله يقول في حاشيته على «مختصر الاستدراك لابن المُلَقِّن» ـ: الحديث ضعيف جدّاً بهٰذا الإسناد لشدة ضعف بشار بن الحكم هٰذا. انتهى والحمد لله رب العالمين.

وقـال بعض العارفين: إنما مُعَوَّلُ المذنبين البكاء والاستغفار؛ فمن أهمته ذنوبه؛ أكثر لها من الاستغفار.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب من الصبيان الاستغفار، ويقول: إنكم لم تُذنبوا.

وكان أبو هريرة يقول لغلمان الكُتَّاب: قولوا: اللهم! اغفر لأبي هريرة. فَيُؤَمِّنُ على دعائهم.

قال أبـو بكر المُزَني[١٨]: لو أن رجلاً يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين، يقـول: استغفـروا لي. لكان قوله أن يُفْعَل، ومن كثُرت ذنوبه وسيئاته حتى فاقت العد والإحصى؛ فليستغفر الله مما علم الله[١٩]؛ فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جميعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بما عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾[٢٠].

وفي حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ: «أسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب»[٢١].

---

(١٨) هو بكر بن عبدالله بن عمرو، الإمام، الواعظ، الحُجَّة، أبو عبدالله المُزَني، البصري، قال ابن سعد: كان بكر المُزَني ثقة ثَبْتاً، كثير الحديث، حجة فقيهاً. توفي سنة ثمانٍ ومئة للهجرة.

(١٩) في (ز): «فيستغفر الله؛ فإن الله قد علم...» والمُثبَت من (ك)، وكذا هو في «جامع العلوم والحكم».

(٢٠) المجادلة: ٦.

(٢١) هنا انتهى النقل من «جامع العلوم والحِكَم» (٢/ ٤٠٦ ـ ٤١٠)، =

. . . .

= رواه النسائي في «السنن» (٣/٥٤، في كتاب السهو، باب رقم ٦١، نوع آخر من الـدعاء)، وكذا رواه الطبراني في «الكبير» (٧/٢٩٤ برقم ٧١٨٠)، وكذا رواه الـطبـراني في «الـدعاء» برقم (٧٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٥/٣١٠ ـ التقاسيم والأنواع، في كتاب الصلاة، باب ذكر جواز دعاء المرء في صلاته بما ليس في كتاب الله جل وعلا)، كلهم من طُرُقٍ عن حماد بن سلمة، عن سعيد الجُرَيري، عن أبي العلاء ـ هو يزيد بن الشِّخّير ـ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه به.

ورواية حماد عن سعيد هنا قبل الاختلاط، وهٰذا الإسناد ظاهره القبول لولا الانقطاع العجيب الذي سيصرح به أبو العلاء في الأسانيد الأخرى.

وكذا رواه الطبراني في «الكبير» برقم (٧١٧٩)، وكذا في «الدعاء»، قال رحمه الله: حدثنا أبو مسلم ـ المسمَّى بالكشِّي ـ، ثنا أبو عمر الضرير، ثنا عدي ابن الفضل، عن سعيد الجُرَيري، عن أبي العلاء بن عبدالله بن الشِّخِّير، عن رجلين قد سماهما، عن شداد رضي الله عنه به.

وهٰذه الطريق فيها عدي بن الفضل ـ وهو التيمي ـ أبو حاتم البصري، وليس الآخر الثقة، قال فيه الحافظ: متروك. وقال النسائي: ليس بثقة. فهٰذه علَّة قادحة، وكذا جهالة الرجلين اللذين سماهما أبو العلاء.

ورواه أيضاً الترمذي في «السنن» برقم (٣٤٠٧، في كتاب الدعوات، باب رقم ٢٣)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٢٥)، والطبراني في «الكبير» برقم (٧١٧٦)، وكذا رواه في «الدعاء» برقم (٢٧٥ و٦٢٨)، كلهم من طرقٍ عن سعيدٍ الجُرَيري، عن أبي العلاء بن الشخير، عن الحنظلي، عن شداد رضي الله عنه به.

وعند أحمد والطبراني في «الكبير» وإحدى روايتيه في «الدعاء» زيادة في أوله، وهي: «من قرأ سورة من القرآن حين يأخذ مضجعه؛ وكل الله عز وجل به =

. . . .

= مَلَكـاً يحفـظه حتى يَهُبَّ متى هب»، وقـال الهيثمي في «مَجْمَـع الـزوائـد» (١٠/١٢٣): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقال أبو عيسى رحمه الله: هٰذا حديث إنما نعرفه من هٰذا الوجه.

ورواه الإمـام أحمد (٤/١٢٣)، والطبراني في «الدعاء» برقم (٦٣٠)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» برقم (٩٣٥ ـ التقاسيم والأنواع) من طريق رَوْح ـ وعنـد الـطبـراني، وابن حبـان من طريق سُوَيْد بن عبدالعزيز ـ، كلاهما عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي عبدالله مسلم بن مِشْكَمْ؛ قال: خرجت مع شداد بن أوس؛ فنـزلنـا مَرْجَ الصُّفَّـر ـ من ضواحي دمشق ـ؛ فقال: ائتوني بالسُّفرة نعبث بها، فكان القومُ يحفظونها منه، فقال: يا بَني أخي! لا تحفظوها عني، ولٰكن احفظوا مني ما سمعت من رسول الله ﷺ (فذكره).

وعند أحمد سقط ابن مِشْكَمْ بين حسان وشداد، وسويد بن عبدالعزيز لين الحديث، وباقي رجال الإسناد وثقهم جمع من العلماء.

ورواه الطبراني في «الكبير» برقم (٧١٧٨)، وكذا رواه في «الدعاء» أيضاً برقم (٦٢٨) من طريق: معاذ بن المثنى، ثنا مسدَّد، ثنا بشر بن المفضَّل، ثنا الجُريري بنحوه.

وقد ذكر رحمه الله الرجل المبهم بين أبي العلاء وشداد، وقال: رجل من بني مجاشع.

ورواه أيضاً في «الكبير» برقم (٧١٣٥)، وفي «الدعاء» برقم (٦٣١) من طريق: سليمان بن أيوب بن حذلم الدمشقي، ثنا سليمان بن عبدالرحمٰن، ثنا إسـمـاعيل بن عياش، حدثني محمـد بن يزيد الـرحبي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن شداد رضي الله عنه بنحوه.

وابن عياش صدوق في أهل بلده مخلِّط في غيرهم. =

. . . .

= وكـذا رواه أيضاً في «الدعاء» برقم (٦٣٢) من طريق: حفص بن عمر الرَّقي، ثنا حفص بن عمر الحوضي، ثنا مرجي بن رجاء، عن حسين بن ذكوان، عن عبدالله بن بريدة، عن بُشير بن كعب العدوي، عن شداد رضي الله عنه به. ورجـالـه موثَّقـون، وفيه زيادة: «اللهم! لا تدع لي ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلا فرجته، ولا كرباً إلا نفسته، ولا ضرّاً إلا كشفته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا عدوّاً إلا أهلكته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا أرحم الراحمين».

ورواه أيضاً في «الكبير» برقم (٧١٧٧) من طريق: الحسين بن إسحاق التستري، ثنا وهب بن بقية، ثنا خالد ـ هو ابن عبدالله ـ، عن الجُرَيري به.

ورواه أيضاً في «الكبير» برقم (٧١٧٥) من طريق: عبدالله بن محمد بن أبي مريم، ثنـا محمـد بن يوسف الفـريابي، ثنا سفيان ـ هو ابن عيينة ـ، عن الجُريري بنحوه.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٨)، وكذا البيهقي في «الدعوات الكبير» برقم (٢١٢)، كلاهما من طريق: أبي الحسن القزاز، حدثنا يونس بن القاسم اليماني، حدثنا عكرمة بن عمار؛ قال: سمعت شداداً ـ أبا عمار ـ يحدِّث عن شداد بن أوس ـ وكان بدريّاً ـ عن محمد ﷺ بلفظ مقارب له. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي.

ونقول مستعينين بالله العظيم عن معلِّق كتاب «الدعاء» للطبراني ـ بعد ما ساق الـروايات كلهـا ـ نَقْله عن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار» (المخطوط) حيث قال: وهٰذه طرق تُقوي بعضهـا بعضاً، يمتنع معها إطلاق القول بضعف الحديث، وإنما صححه ابن حبان والحاكم لطريقتهما في عدم التفرقة بين الصحيح والحسن. اهـ. وقد سبق إيراد كلام الهيثمي في «المجمع» على أحد طرق الحديث.

مطلب

الدعاء في موضعه أفضل من غيره

وقال الإمام المحقق ابن القيم[1] في كتابه «الكلم الطيب والعمل الصالح»[2]: قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، هٰذا من حيث النظر إلى كل منهما مجرداً، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يُعَيِّنُه؛ فلا يجوز أن يُعْدَلَ عنه إلى الفاضل.

قال: كالتسبيح في الركوع والسجود؛ فإنه أفضل من قراءة القرآن

---

(١) هو الإمام، المحقق، العلاَّمة، محمد بن أبي بكر بن قَيِّم الجوزية، سمع الحديث واشتغل بالعلم، وهو من كبار تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله، وكان قليل النظير في مجموعه وأحواله وأموره، وكان محبوباً عند الناس، صنَّف التصانيف المبهرة العجيبة التي ما صنَّف مثلها في بابها، منها: «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، و«زاد المَعاد في هَدي خير العباد» و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»، و«مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، و«الطُّرق الحُكمية في السياسة الشرعية»، و«بدائع الفوائد»، و«الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، هٰذا الأخير أجاب فيه على سؤال ورد له عن الابتلاء بالمعاصي؛ فأجاد رحمه الله في التفصيل، وغيرها كثير مما يبلغ الثلاثين مؤلَّفاً، بل أزْيَد من ذلك.

وقد أجاد الشيخ العلاَّمة بكر أبو زيد حفظه الله في دراسة أحوالِه ومؤلفاته في «تقريب فِقه ابن القيم»، توفي ابن القيم رحمه الله سنة إحدى وخمسين وسبع مئة للهجرة.

(٢) اسمه: «الوابل الصَّيِّب من الكَلِم الطيب».

فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها[3]، وكذا التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة، وكذٰلك التشهد، وكذٰلك: «رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» بين السجدتين[4] أفضل من

---

(٣) روى الإمام مسلم في «صحيحه» (باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع أو السجود، ١٩٦/٤ ـ نووي) عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه؛ فقال: «أيها الناس! إنه لم يَبْقَ من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع؛ فعظِّموا فيه الرَّب عز وجل، وأما السجود؛ فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ ـ أي: حريٌّ وجدير ـ أن يُستجاب لكم».

(٤) رواه أبو داود في «السنن» برقم (٨٥٠، في كتاب الصلاة، باب الدعاء بين السجدتين)، وكذا الترمذي في «السنن» برقم (٢٨٤، باب ما يقول بين السجدتين، ورقمه ٢١١)، وابن ماجه برقم (٨٩٨، في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقول بين السجدتين)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧١/١) وقال: هٰذا حديث صحيح ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي، رووه من طريق: حَبيب ابن أبي ثابت، يحدِّث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقال البوصيري في «المصباح» تعليقاً على الإسناد الأول (٣٠٩/١): رجاله ثقات؛ إلا أن حبيب بن أبي ثابت كان يدلِّس وقد عنعنه، وأصله في «أبي داود» و«الترمذي».

قلت: إلا الحاكم؛ فقد رواه (٢٧١/١) من طريق: عبيدالله بن محمد ابن موسى، عن محمد بن أيوب، عن عبدالسلام بن عاصم، عن زيد بن الحباب، عن كامل أبي العلاء؛ قال: سمعت حبيب بن أبي ثابت به (فذكره).

وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح، ولم يخرجاه. وأبو العلاء كامل بن =

القـراءة، وكـذلـك الذكر عقب السلام من التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكإجابة المؤذن والقول كما يقول، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله على خلقه، لٰكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه، وعُدِلَ عنه إلى غيره؛ اختلت الحكمة، وفُقِدَت المصلحة المطلوبة منه.

= العلاء ممن يُجمع حديثه في الكوفيين. ووافقه الذهبي، وكذا رواه في (١/ ٢٦٢) من نفس الطريق.

وهو عند ابن ماجه: «كان يقول في صلاة الليل»، وليست عند أبي داود والترمذي، وعندهما: «واهدني»، وعند ابن ماجه: «وارفعني»!

ورواه ابن ماجه أيضاً برقم (٨٩٧) من طريق: العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مُرَّة، عن طلحة بن يزيد، عن حذيفة (ح)، وعن الأعمش، عن سعد ابن عبيدة، عن المستورد بن الأحنف، عن صِلَةَ بن زُفَرْ، عن حذيفة مرفوعاً بلفظ: «رب اغفر لي، رب اغفر لي».

ورواه من طريق ابن ماجه الأول: أبو داود في «السنن» (١/ ٢٣١ برقم ٨٧٤، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده من كتاب الصلاة) ضمن حديث طويل، وكذا رواه النسائي في (٢/ ١٩٩، برقم ١٠٦٩، في كتاب التطبيق، باب ما يقول في قيامه ذٰلك) بنحو الحديث السابق.

وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣١٥ و٣٧١) بنحوه، وكذا رواه الدارمي في «السنن» (١/ ٣٤٨، برقم ١٣٢٤، في كتاب الصلاة، باب القول بين السجدتين)، وكذا رواه الحاكم (١/ ٢٧١) في «المستدرك»، جميعهم من طرق عن عمرو بن مرة، عن طلحة بن يزيد الأنصاري، عن حذيفة مرفوعاً. . . وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وهٰكـذا الأذكـار المقيَّدة بحـالٍ مخصـوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم! إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر والدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله أن يتفكَّرَ في ذنوبه فيحدث ذٰلك توبةً واستغفاراً، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فَيَعْدِل إلى الأذكار والدعوات التي تحفظه وتحوطه، وكذٰلك قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقـراءة أو ذِكْـرٍ لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها؛ اجتمع قلبه كله على الله، وأحدث له تضرعاً وخشوعاً وابتهالاً؛ فهٰذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هٰذه أنفع له، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً.

وهٰذا باب نافع يحتاج إلى فِقْهِ نَفْسٍ، وَفُرْقَانٌ بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة؛ فيعطى كل ذي حق حقه، ويُوضَعُ كل شيء في موضعه، وحفظ المراتب من تمام الحِكْمة التي هي نظام الأمر والنهي، والله الموفق.

قال(٥): وهٰكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت التجمير، وماء الورد ونحوه أنفع له في وقت.

قال: وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية(٦) قدَّس الله روحه يوماً:

---

(٥) ما زال الكلام لابن القيِّم رحمه الله.

(٦) هو الإمام، المجتهد، المجاهد، ناصر الشريعة الحنيفية والذاب عن السنـة المحمدية، شيخ الإسلام، تقي الدين أبي العباس، العلاَّمة أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن =

سُئِلَ بعض أهل العلم (قلت[٧]: وهو الإمام الحافظ ابن الجوزي): أيما أنفع للعبد؛ التسبيح، أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيّاً؛ فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دَنِساً؛ فالصابون والماء الحار أنفع

= تيميَّة الحراني رحمه الله تعالى ورفع درجاته، رزقه عز وجل طول باع في العلم والفهم والحفظ والصلاح والزهد والتقوى مما يندر وجوده، تواترت أقوال العلماء في نشأته ثم في طلبه، وأكثر من ذلك في حاله بعدما صار يشار إليه بالبنان؛ في فتاويه وردوده، ودفاعه عن السنة، وجهاده وصبره على ابتلائه، رزقه الله قوة حجَّة، وقريحة وقَّادة، وصفاء ذهن، وذكاء عجيباً، قال فيه شيخ النحاة أبو حيان:

حَبْرٌ تسربل منه دهرنا حِبَراً ... بَحْرٌ تقاذفَ من أمواجه الدُّرر

له من المؤلفات الشيء العجيب، ومع هذا كله؛ فقد سخَّر نفسه لخدمة أمته في عصره وما مرَّ بها من أزمات، ونورد هنا مقالة الحافظ الزملكاني حتى لا يطول بنا الكلام؛ لأنه رحمه الله لا توفيه الترجمة القصيرة حقه، قال: قد أُعطي ابن تيميَّة اليد الطولى في حُسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وقد ألان الله له العلومَ كما ألان لداود الحديد، كان إذا سُئِل عن فنٍّ من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحَكَم أنه لا يعرف مثله... إلى أن قال:

هو حجَّة الله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

له من المؤلفات الشيء العجيب، أغلبها فتاوى ونوازل، وأعجب منه لو أنه جلس للتأليف والعطاء، توفي رحمه الله وغفر لنا وله وقدَّس روحه سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة للهجرة.

(٧) الكلام هنا للمؤلف السفَّاريني رحمه الله.

له. فقال لي رحمه الله: فكيف؛ والثياب لا تزال دَنِسَة؟! والله أعلم[٨].

مطلب
في ذكر حديث الدواوين وبيان معانيه

المقصد الثالث:

حديث الدواوين الثلاثة

اعلم أن الظلم عند الله يوم القيامة له ثلاثة دواوين؛ كما قاله ﷺ؛ كما في «مسند الإمام أحمد» من حديث عائشة رضي الله عنها: «ديوان لا يغفر الله سبحانه منه شيئاً، وهو ديوان الشرك به سبحانه؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك (به)[١]، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وهو ظلم العِبَاد بعضهم بعضاً؛ فإن الله سبحانه يستوفيه كله، وديوان لا يعبأ[٢] الله به شيئاً، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل؛ فهٰذا الديوان أخفُّ الدواوين وأسرعها محواً»[٣]؛ فإنه يمحى بالتوبة، والاستغفار،

---

(٨) انظر: «الوابل الصيب» مع اختلاف في بعض الألفاظ (ص ١٨٧).

(١) ساقطة من (ز).

(٢) قال في «اللسان»: «وما أعبأ به»؛ أي: ما أباليه.

(٣) لفظ الحديث: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة؛ فديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله؛ فالشرك بالله، قال الله عز وجل: إنه من يُشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة. . . وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً؛ فظلم العبد نفسَه فيما بينه وبين ربه؛ من صومٍ تركه، أو صلاةٍ تركها؛ فإن الله يغفر ذٰلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً؛ فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا =

. . . .

= محالة».

رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٥)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢) من طريق: صدقة بن موسى؛ قال: حدثنا أبو عمران الجوني، عن يزيد بن بابَنوس، عن عائشة رضي الله عنها به. وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صَدَقة ضعَّفوه، وابن بابَنوس فيه جهالة. وقال الهيثمي في «المَجْمَع» (١٠/ ٣٥١): صَدَقَة بن موسى ضعَّفه الجمهور، وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا صدقة بن موسى، وكان صدوقاً. انتهى كلام الهيثمي.

ووجدته بمعناه عند الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٥٢، برقم ٦١٣٣)، وكذا رواه في «المعجم الصغير» (١/ ٤٠)، ورواه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ٣٣٣)، وابن حبان في «المجروحين» نقلاً عن كلام شيخنا سعد الحميِّد رعاه الله من تعليقه على «مختصر الاستدراك» لابن الملَقِّن (٣/ ١٠٢)، رووه من طريق: عبيدالله بن محمد الحارثي، عن يزيد بن سفيان بن عبدالله بن رواحة، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ «ذنب لا يُغفر، وذنب لا يترك، وذنب يغفر، فأما الذي لا يغفر؛ فالشرك بالله، وأما الذي يُغفر؛ فذنب العبد بينه وبين الله عز وجل، وأما الذي لا يترك؛ فظلم العباد بعضهم بعضاً».

وقال الهيثمي في «المَجْمَع» (١٠/ ٣٥١): رواه الطبراني في «الكبير» و«الصغير»، وفيه يزيد بن سفيان بن عبدالله بن رواحة وهو ضعيف، تكلَّم فيه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

قلت: ذكر الحافظ رحمه الله في «لسان الميزان» (٦/ ٢٨٨) وقال: له نسخة منكرة. . . فمن مناكيره: عن التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان رضي الله عنه، وسرد الحديث السابق. . . وقال العقيلي في «الضعفاء»: يزيد =

. . . .

= ابن سفيان أبو خالد بصري عن التيمي، لا يُعرَف بالنقل ولا يتابع على حديثه. انتهى.

ذكره العقيلي في (٤/٣٨٣)، وقد وجدت عبارة مختلفة عن هذه؛ حيث قال العُقيلي: ولا يتابع على حديثه ولا يُعرف إلا بالنقل. وذكره الذهبي في «الميزان» (٤/٤٢٦)؛ فقال كما قال الحافظ في «اللسان» من روايته عن سلمان رضي الله عنه للحديث السابق، وذكره ابن حبان في «المجروحين» (٣/١٠١) وقال: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد لكثرة خطئه ومخالفته الثقات في الروايات.

ووجدته أيضاً بمعناه عند الطيالسي في «مسنده» برقم (٢١٠٩)، وكذا عند أبي نُعيم في «الحِلْية» (٦/٣٠٩) من طريق: الرَّبيع ـ هو ابن صبيح السعدي ـ، عن يزيد ـ هو الرُّقاشي ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يُغْفَر، وظلم لا يُغْفَر، فأما الظلم الذي لا يُغْفَر؛ فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يُغْفَر؛ فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يُترك؛ فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض».

قلت: وفيه الرَّبيع بن صبيح، وقد قال الحافظ في «التقريب»: صدوق، سيىء الحفظ. وكذا يزيد الرُّقاشي قال فيه الحافظ أيضاً: ضعيف. وقال البوصيري: سنده ضعيف بسبب ضعف يزيد الرُّقاشي. نقلاً عن محقق «المطالب العالية» (٤/٣٩٠)، وقد ذكره الحافظ في «التهذيب» (١١/٣٠٩)، وذكر أقوالاً كثيرة أوجزها رحمه الله في «التقريب» بقوله: «ضعيف»، ووجدت له طريقين آخرين عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما نوردهما.

وقد وجدت شيخنا سعد الحميِّد حفظه الله أوردهما في «مختصر الاستدراك» (٧/٣٥٢١) حديث أنس رضي الله عنه عند البزار في «مسنده» (٤/١٥٨ ـ ١٥٩، برقم ٣٤٣٩) بلفظ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم =

. . . .

= يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره؛ فالشرك، قال تعالى: ﴿**إن الشرك لظلمٌ عظيم**﴾، وأما الظلم الذي يغفره الله؛ فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله؛ فظلم العباد بعضهم بعضاً، حتى يَدين لبعضهم من بعض».

ثم قال الشيخ: قال الهيثمي في «المجمع»: رواه البزار عن شيخه أحمد ابن مالك القشيري، ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وُثِّقوا على ضعفهم.

قلت: ما زال الكلام لشيخنا: البزار رواه عن شيخه أحمد بن مالك القشيري، ثنا زائدة بن أبي الرُّقاد، عن زياد النميري، عن أنس به، وزياد بن عبدالله النميري البصري ضعيف، كما في «التقريب» (رقم ١٢٠).

وانظر: «المجروحين» لابن حبان (٣٠٦/١)، و«الجرح والتعديل» (٥٣٦/٣، رقم ٢٤١٩)، و«التهذيب» (٣٧٨/٣، رقم ٦٨٧).

وزائدة بن أبي الرُّقاد ـ بضم الراء، ثم قاف ـ، الباهلي، أبو معاذ البصري، الصيرفي، منكر الحديث، قاله عنه البخاري والنسائي، وقال أبو حاتم: يُحدِّث عن زياد النميري عن أنس أحاديث مرفوعة منكرة، ولا ندري منه أو من زياد؟ وقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير، لا يُحتج بخبره، ولا يُكتب إلا للاعتبار. وقال ابن عدي: له أحاديث حسان، وهي أحاديث إفرادات، وفي بعض أحاديثه مما يُنكر. اهـ. من «الكامل» (١٠٨٣/٣)، و«التهذيب» (٣٠٥/٣، رقم ٥٧٠)، و«التقريب» (٢٥٦/١، رقم ٦).

وأما شيخ البزار؛ فتقدَّم كلام الهيثمي عنه، وعليه؛ فالحديث بهذا الإسناد ضعيف جدّاً للعلل المتقدمة. انتهى كلام الشيخ سعد حفظه الله.

قلت: وقد رُوي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذنب يُغفر، وذنب لا يُغفر، وذنب يُجازى به، فأما الذنب الذي لا يغفر؛ فالشرك بالله، وأما الذنب الذي يُغفر؛ فعملك بينك وبين ربك، وأما =

والحسنات الماحية، والمصائب المُكَفِّرة... ونحو ذلك؛ بخلاف ديوان[٤] الشرك؛ فإنه لا يُمْحَى إلا بالتوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كفارة الشرك التوحيد، والحسنات يذهبن السيئات[٥].

قال ابن مفلح[٦] في «الآداب الكبرى»: قال في «نهاية المبتدى»[٧]: قيل: تَحبط الصغائر[٨] بثواب المرء إذا اجتنب الكبائر، وهو الذي ذكره ابن عقيل في «الانتصار»[٩]، وهو ظاهر ما ذكره جماعة

= الذنب الذي تجازى به؛ فظلمك». قال الهيثمي في «المَجْمَع» (١٠/٣٥١): رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك. انتهى.

ولعل الحديث بالطرق الثلاثة الأولى يرتقي إلى رتبة الحسن، والطريقان الآخران لا يصلح الاستشهاد بهما لشدة الضعف فيهما كما قال شيخنا ـ حفظه الله ـ.

(٤) (الديوان): هو الدَّفتر الذي يُكتبُ فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وأوَّل من دوَّن الدواوين عمر، وهو فارسيٌّ معرَّب. «النهاية» (٢/١٥٠).

(٥) انظر على سبيل المثال: «مجموع الفتاوى» (١٨/١٦٢) وما بعدها.

(٦) هو محمد بن مُفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبدالله، شمس الدين المقدسي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، من تصانيفه: «الفروع» في الفقه و«الآداب الشرعية الكبرى»، و«أصول الفقه» وغيرها، توفي سنة ثلاث وستين وسبع مئة للهجرة.

(٧) في النسختين: «نهاية المبتدئين»، والتصويب من «الآداب الشرعية».

(٨) في النسختين: «تحبط الكبائر»، والتصويب من «الآداب الشرعية».

(٩) «الآداب الشرعية» (١/١٢٦).

من المفسِّرين ـ منهم ابن الجوزي ـ لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾[10].

قال الإمام المحقق ابن القيم: ديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها، واستحلالهم منها.

ولَمَّا كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله؛ حرَّم الله الجنة على أهله؛ فلا تدخل الجنة نَفْسٌ مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد؛ فإنه مفتاح بابها؛ فمن لم يكن معه مفتاح؛ لم يفتح له بابها.

الشروط المتممة لكلمة التوحيد وأسنان مفتاح الجنة

وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له؛ لم يُمكن[11] الفتح به، وأسنان هٰذا المفتاح هي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصِدْقُ الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبر الوالدين؛ فأي عبد اتخذ في هٰذه الدار مفتاحاً صالحاً من التوحيد، وركَّبَ فيه أسناناً من الأوامر؛ جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يُفْتَحُ إلا به، فلم يُعِقْهُ عن الفتح عائق.

إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هٰذه الدار بنحو التوبة والاستغفار؛ فإنه يُحْبَسُ عن الجنة حتى يتطهر من دَرَنِهِ وَوَسَخِهِ، ثم يُخْرَجُ من النار، فَيُدْخَلُ دار القرار؛ فإنها الدار الطيبة،

---

(١٠) النساء: ٣١. انظر: «زاد المسير» (٢/ ٦٢).

(١١) في (ز): «لم يكن...»، والتصويب من (ك)، و«الوابل الصيِّب».

التي لا يدخلها إلا الطيبون؛ كما جاء في القرآن المبين: ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ**﴾(١٢).

أما النار؛ فإنها دار الخُبْثِ في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، والحق جل شأنه يجمع الخبيث بعضه على بعض، فيركمه كما يركم الشيء المتراكب بعضه على بعض(١٣)، ثم يجعله في جهنم مع أهله؛ فليس فيها إلا خبيث.

ولمَّا كان الناس على ثلاث طبقات: طَيِّب لا يشوبه خُبْث، وخبيث لا طِيْب فيه، وآخرون فيهم خُبْث وطِيب؛ كانت دُورُهُمْ ثلاثة: دار الطيب المَحْض، ودار الخبث المَحْض، وهاتان الداران لا يَفْنَيان، ودار لمن معه خبث وطِيب، وهي الدار التي تَفْنَى، وهي دار العصاة؛ فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد؛ لأنهم إذا عُذِّبوا بقَدْر جرائمهم؛ أُخْرِجوا من النار، فأُدْخِلوا الجنة(١٤)، ولا يبقى إلا دار الطِّيْب

---

(١٢) الزُّمَر: ٧٣.

(١٣) كما قال عز من قائل: ﴿**ليميز الله الخبيث مِن الطيِّب ويجعل الخبيث بعضه على بعضٍ فيركمه جميعاً فيجعلَهُ في جهنم أولئك هم الخاسرون**﴾ [الأنفال: ٣٧]، وهذا عندما يحشر الله عز وجل الكفار في نار جهنم؛ حتى يميزهم عن أهل الإيمان، وذلك لما أنفقوا من أموالهم ابتغاء نصرة الباطل.

قال ابن جرير رحمه الله: فيجعل الكفار بعضهم فوق بعضٍ فيجعلهم ركاماً، وهو أن يجمع بعضهم فوق بعض حتى يكثروا نكالاً بهم.

(١٤) في (ز): «فادخلوا في الجنة»، والمُثْبَتُ من (ك)، و«الوابل الصيِّب».

المحْض، ودار الخُبْث المحض، والله سبحانه وتعالى أعلم[١٥].

مطلب
ذكر سبب تسمية سيد الاستغفار بهذا الاسم

المقصد الرابع: في سبب تسمية هٰذا الدعاء بـ «سيد الاستغفار»، ولِمَ استحق هٰذه السيادة على سائر صيغ الاستغفار؟

واعلم أن السيد يطلق على من ساد قومه، يسودهم سادةً وسَوْدَةً وسَيْدُودةً؛ فهو سيدهم، وهم سادة.

قال الراغب[١]: والسيد: المتولي للسواد؛ أي: الجماعة، ولمَّا كان من شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذَّب النفس؛ قيل لكل من كان فاضلاً في نفسه: سيد، وعلى ذٰلك قوله تعالى في حق يحيى عليه السلام: ﴿سَيِّداً وحَصُوراً﴾[٢].

على من تطلق لفظة (السيد) وبعض ما ورد فيها

قال في «النهاية»: يطلق السيد على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والزعيم، والكريم، والحليم الذي لا يستفزه

---

(١٥) إلى هنا انتهى كلام ابن القيم رحمه الله من «الوابل الصيب» (ص ٣٣ - ٣٤).

(١) هو العلاّمة، الماهر، المحقق، الباهر، أبو القاسم، الحسين بن محمد الأصبهاني، المُلَقَّب بالرَّاغب، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، توفي سنة اثنتين وخمس مئة للهجرة.

(٢) آل عمران: ٣٩. وإلى هنا انتهى كلام الراغب من «المفردات في غريب القرآن» (ص ٢٤٧).

غضبه، ومُتَحَمِّلُ الأذى من قومه، والزوج، والرئيس، والمقدَّم[٣].

وورد في حديث: «كل بني آدم سيد؛ فالرجل سيد أهل بيته، والمرأة سيدة أهل بيتها»[٤].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود في «سننه» عن بُرَيْدَةَ مرفوعاً: «لا تقولوا للمنافق: سيد! فإن كان سيدكم، وهو منافق؛ فحالكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذٰلك»[٥].

---

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/٤١٨).

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/١٥٢٠ - ١٥٢١ في ترجمة عبدالله بن وهب)، وكذا أبو بكر المقرىء الأصبهاني في «الفوائد» (١٣/١٩٠/١) - كما ذكر العلامة الألباني في «الصحيحة» (٥/٦٩) -، وكذا رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٨٨، باب إباحة ذلك - أي: اسم السيد - على الإضافة)، رووه جميعاً من طريق أحمد بن عمر بن السرح - أبو الطاهر -، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي يونس - هو سليم بن جبير -، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «كل نَفْس من بني آدم سيد. . .» إلخ. قال الألباني حفظه الله: وهٰذا إسناد صحيح على شرط مسلم. والحمد لله رب العالمين.

(٥) رواه أبو داود في «السنن» برقم (٤٩٧٧، في كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/٣٤٦ و٣٤٧)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٢/٥٨/٢)، وكذا رواه في «الآداب» برقم (٥٣٠، في باب حفظ المَنْطَق)، وفي الأخير رواه بدون زيادة: «فإن كان سيدكم. . .»، وكذا رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٤٤، في باب النهي أن يقال للمنافق سيدنا)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٩١، باب من لا يجوز أن يخاطب بالسؤدد)، وكذا هو عند البخاري في «الأدب المفرد» برقم =

واختلف الناس في إطلاق السيد على البشر:

فمنعه قوم، ونُقِلَ عن مالك(٦)، واحتجوا بأنه ﷺ لَمَّا قيل له: يا سيدنا؛ قال: «إنما السيد الله»(٧).

= (٧٦٠، باب لا يَقل للمنافق سيد)، كلهم من طريق: معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عبدالله بن بُريدة، عن أبيه بريدة به.

والحديث رواه الحاكم أيضاً (٤/٣١١) عن عقبة الأصم عن عبدالله بن بريدة به، وقال: صحيح الإسناد على شرطهما. وقال الذهبي: قلت: عقبة ضعيف.

قلت: وهو كذٰلك، والطريق الأخرى فيها عنعنةٌ قتادة، وهو مدلِّس مع أنه ثقة ثبت.

وقد صحح الحديث فضيلة الشيخ الألباني رعاه الله في «الصحيحة» برقم (٣٧١)، وقال شيخنا سعد الحميد في «مختصر الاستدراك» (٦/٢٩٧٨): وبمجموع هٰذين الطريقين يرتفع الحديث للحسن لغيره.

(٦) تقدمت ترجمة الإمام مالك، وللفائدة يقول الإمام ابن قيِّم الجوزية رحمه الله في كتابه الماتع «بدائع الفوائد» (٣٠/٢٥٠ ـ ٢٥١): اختلف الناس . . وقال المجوِّزون: السيد أحدُ ما يضاف إليه؛ فلا يقال لتميمي إنه سيد كندة، ولا يقال لمالك: إنه سيد البشر. قال: وعلى هٰذا؛ فلا يجوز أن يطلق على الله هٰذا الاسم. وفي هٰذا نظر؛ فإن السيِّد إذا أُطلق عليه تعالى؛ فهو بمعنى المالك والمَوْلى والرب، لا بالمعنى الذي يُطلق على المخلوق، والله تعالى أعلم.

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٢٤ و٢٥)، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٢١١، في ١/٣٠١ ـ فضل الله الصمد، باب هل يقول سيدي)، وكذا رواه أبو داود في «السنن» برقم (٤٨٠٦، ٤/٢٥٤، في كتاب =

وجَوَّزه الأكثرون محتجين بالقرآن وبالأحاديث الصحيحة؛ كقوله ﷺ على المنبر ـ كما في «البخاري» وغيره ـ وجعل ينظر إلى الناس مرة، وإلى الحسن بن علي(٨) رضي الله عنهما مرة، ويقول له: «إن

= الأدب، باب في كراهية التمادح)، وكذا النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٧ من طرق، باب ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي)، وكذا رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٨٧، في باب كراهية ذلك على التكبر)، وكذا البيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (ص ٢٢)، كلهم من طرقٍ عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: أنت سيد قريش؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «السيد الله عز وجل...» الحديث.

والحديث صححه جمع من أهل العلم بمجموع طرقه، قال الحافظ في «الفتح» (٥/ ١٧٩): رجاله ثقات، وقد صححه غير واحد. وقال العلاَّمة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي رحمه الله في «عون المعبود» (١٣/ ١٦٢): إسناده صحيح. وقال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٦٤): إسناده جيد.

ثم قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»: ويمكن الجمع بين النهي والجواز بأن يحمل النهي عن ذٰلك على إطلاقه على غير المالك، والإذن بإطلاقه على المالك، وقد كان بعض أكابر العلماء يأخذ بهٰذا ويكره أن يخاطب أحداً بلفظهِ أو كتابته بالسيد، ويتأكد هٰذا إذا كان المخاطب غير تقي. انتهى كلامه رحمه الله.

وانظر للفائدة: تفصيل المؤلف رحمه الله الجيد لهٰذه المسألة في سفره الفذ «غذاء الألباب» (١/ ٣١٩ ـ ٣٢٥).

(٨) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ريحانة رسول الله ﷺ وسِبْطُه، وسيد شباب أهل الجنة ـ جعلنا الله وإياك من أهلها ـ، كان يُشبه =

ابني هٰذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(٩).

= النبيَّ ﷺ، وكان يعطي الرجل الواحد مئة ألف، توفي رضي الله عنه سنة تسعٍ وأربعين للهجرة النبوية.

(٩) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١١٩ ـ فتح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما)، وكذا رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٥٢، باب ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي)، وعند النسائي زيادة: «عظيمتين»، وكذا رواه في «السنن» (٣/ ١٠٧، في كتاب الجمعة، باب مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر، وبرقم ١٤١٠)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٧ ـ ٣٨)، كلهم من طريق: سفيان ـ هو ابن عيينة ـ، حدثنا أبو موسى، عن الحسن، سَمِعَ أبا بكرة: سمعت النبيَّ ﷺ على المنبر (فذكر الحديث).

ورواه البخاري أيضاً في «الصحيح» (١٣/ ٦٦ ـ فتح، في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: إن ابني هٰذا سيد. . .، برقم ٧١٠٩) من طريق سفيان عن أبي موسى، ولقيته بالكوفة، جاء إلى ابن شبرمة ـ هو عبدالله قاضي الكوفة في خلافة المنصور ـ؛ فقال: أدخلني على عيسى فأعِظَهُ، فكأنَّ ابنَ شبرمة خاف عليه فلم يفعل. قال: حدثنا الحسن؛ قال: لما سار الحسن بن علي رضي الله عنهما إلى معاوية بالكتائب؛ قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبةً لا تَوَلِّي حتى تُدْبَرَ أخراها. قال معاوية: من لذراري المسلمين؟ فقال: أنا. فقال عبدالله بن عامر وعبدالرحمٰن بن سمُرة: نلقاه فنقول له: الصُّلح. قال الحسن: ولقد سمعتُ أبا بكرة قال: بينا النبي ﷺ يخطب (فذكره)، ولقد سمي العام الذي تنازل فيه الحسن رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه بالخلافة بعام الجماعة؛ حيث حُقِنَتْ الدماء، وأُخْمِدَت الفتن والشرور، وتَوَحَّدت الكلمة، وأخرست ألسن المنافقين. . . ولم أر حاجةً في ذكر زيادة الرواة للحديث لثبوته بما ذكرنا، والحمد لله رب العالمين.

وفي «الصحيح» عن عمر رضي الله عنه؛ أنه كان يقول: أبو بكر سيدنا[10] وأعتق سيدنا[11] (يعني: بلالاً).

وقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم»[12].

---

(١٠) هٰذا الأثر رواه البخاري في «الصحيح» برقم (٣٧٥٤، في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح إلخ . . .)، وكذا رواه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» برقم (١٢٠١٤)، وابن سعدٍ في «الطبقات» (٣/٢٣٣)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣/٢٨٤)، وقال: صحيح ولم يخرجاه. ولعله وهم غفر الله له أو شيئاً آخر، ووافقه الذهبي، وكذا رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٤٧)، كلهم من طريق: محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه به.

وروى الترمذي في «الجامع» برقم (٣٦٥٦، في كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه) من طريق: إسماعيل بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: «أبو بكر سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ».

ثم قال أبو عيسى رحمه الله تعالى: هٰذا حديث صحيح غريب. وقد حسَّنه العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني رعاه الله وأعلى مناره.

(١١) بلال بن رَباح؛ مولى أبي بكر الصديق، ومؤذن رسول الله ﷺ، من السابقين الأولين الذين عُذِّبوا في سبيل الله، وشهِد له النبيُّ ﷺ على التعيين بالجنة، توفي رضي الله عنه سنة عشرين للهجرة.

(١٢) رواه البخاري في «الصحيح» (٦/١٩١ ـ فتح، في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب إذا نزل العدو على حكم رجل).

ورواه أيضاً في (٧/١٥٤، في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد =

. . . .

= ابن معاذ رضي الله تعالى عنه)، وكذا رواه في (٧/٤٧٥، في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة، ومحاصرته إياهم)، وكذا في (١١/٥١، في كتاب الاستئذان، باب قول النبي ﷺ: قوموا إلى سيدكم)، ورواه مسلم في «الصحيح» (١٢/٩٢ ـ نووي، في كتاب الجهاد والسِّيَر، باب جواز قتال من نقض العهد)، ورواه أبو داود في «السنن» برقم (٥٢١٥ و٥٢١٦ في كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٢٢ و٧١)، وكذا رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/١٨)، والطبراني في «الكبير» (٦/٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (١٨٦٧٧)، وكذا رواه البغوي في «شرح السنة» (١١/٩٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٦/٥٨)، ورواه أيضاً سعيد بن منصور في «السنن» برقم (٢٩٦٤)، وكذا أبو يعلى في «المسند» (٢/٤٠٥ و٤٠٦)، جميعهم من طرق عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، وذلك عندما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، ونزل تأييده من السماء؛ قال ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم»، والمقصود بذلك كما هو مفهوم كلام الشُّرَّاح؛ أي: قوموا لسيدكم فأعينوه على النزول من دابته. لا قوموا إليه؛ أي: تعظيماً، والله تعالى أعلم.

ورواه الإمام أحمد أيضاً في «المسند» (٦/١٤١ و١٤٢) عن محمد بن عمرو، عن أبيه، عن علقمة بن وقاص؛ قال: أخبرتني عائشة رضي الله عنها؛ قالت: (وذكره).

وهو بهذه الطريق حديث طويل، قال فيه الهيثمي في «المجمع» (٦/١٣٩): في «الصحيح» بعضه، رواه أحمد، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

وقد حسن الإسناد أيضاً الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١١/٤٣).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: يا رسول الله! أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً؛ أيقتله؟... الحديث. فقال ﷺ: «انظروا إلى ما يقول سيدكم»[١٣].

وما في الحديث أنه قيل له ﷺ: من السيد؟ قال: «يوسف بن

---

(١٣) رواه مسلم في «صحيحه» (١٠/ ١٣٠ و١٣١ - نووي، في كتاب اللعان)، وكذا رواه أبو داود في «السنن» (٤٠٣٢ و٤٠٣٣، في كتاب الديات، باب في من وجد مع أهله رجلاً أيقتله)، وكذا رواه الإمام مالك في «الموطأ» برقم (١٤٤٦، في كتاب الأقضية، باب القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلاً)، وكذا رواه ابن ماجه في «السنن» برقم (٢٦٠٥ و٢٦٠٦، في كتاب الحدود، باب الرجل يجد مع امرأته رجلاً)، كلهم رووه من طرق عن سهيل بن أبي صالح - عن أبيه -، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه قال: وذكر الحديث، وذكر قوله عليه الصلاة والسلام: «اسمعوا ما يقول سيدكم»، لا ما ذكره المؤلف رحمه الله.

ورواه مسلم في نفس الموضع، وكذا أبو داود وابن ماجه، كلهم في نفس الموضع بأسانيد أُخَر عن سهيل أيضاً، وذكره بنحوه بدون الزيادة: اسمعوا ما يقول سيدكم، ولعل حكم القيام لا يصل إلى التحريم الغليظ، حيث من نظر في الأدلة نظر المتمعن؛ وجد أن أحق ما يقال فيها الكراهة بالنسبة لمن يقوم، والله أعلم.

وانظر على سبيل المثال لا الحصر كتابين لكلٍّ منهما رأي:

١ ـ رسالة الإمام النووي رحمه الله المسماة «الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام»، وكذا:

٢ ـ رسالة العلامة الألباني حفظه الله في هٰذه المسألة والمسماة باسمها، وهي مصورة عن شريط تسجيلٍ مفيد.

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام». قالوا: فما في أمتك سيد؟ قال: «بلى؛ من آتاه الله مالاً، ورُزِقَ سماحة، فأدَّى شكره، وقلَّت شكايته في الناس»(١٤).

مطلب

سيادة رسول الله على البشر

وقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(١)؛ إخباراً عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسُّؤدَد، وتَحَدُّثاً بنعمة الله عنده، وإعلاماً لأمته؛ ليكون إيمانهم به على حَسَبِهِ ومُوجَبِهِ، ولهذا أتْبَعَهُ بقوله: «ولا فخر»؛

---

(١٤) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٠٥)، أورده بنحوه بزيادة: فأدنى الفقير... ثم قال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه: نافع أبو هرمز وهو متروك. وأورده الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٦/٤٨٠، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾)، وقال: إسناده ضعيف.

(١) تكملته: «... وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يأخذ بحلْقة باب الجنة ولا فخر، ولواء الحمد بين يدي ولا فخر»؛ رواه البخاري في «الصحيح» برقم (٣٣٤٠، في كتاب الأنبياء، باب ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، وكذا رواه مسلم برقم (٢٢٧٨، في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق).

ورواه أبو داود في «السنن» برقم (٤٦٧٣، في كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)، ورواه الترمذي في «السنن» برقم (٣٦١٥، في كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٤٣٥ و٥٤٠)، وكذا البغوي في «شرح السنة» (١٣/٢٠٤)، كلهم من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه بداية بلفظ: «أنا سيد =

أي: إن هٰذه الفضيلة التي نِلْتُها كرامةً من الله تعالى لم أَنَلْهَا من قِبَلِ نفسي، ولا بقوتي؛ فليس لي أن أفتخر بها(٢).

قال الراغب: سُمِّيَ الزوج سيداً؛ لسياسته زوجته.

فثبت بما ذُكِرَ إطلاق السيد على البشر، وهٰذا صار الآن

= الناس ولا فخر...».

ورواه الإمام أحمد مطوّلاً في «المسند» (٣/ ١٤٤ و١٤٥)، وكذا الدارمي (١/ ٣٨ ـ ٤١) بعدة طرق وألفاظ أخرى في (باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل)، اتفق هو والإمام أحمد على طريق: ليث، عن يزيد ـ ابن الهاد ـ، عن عمرو بن أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه، وهو إسناد صحيح.

ورواه أيضاً ابن حبان في «صحيحه» برقم (٢١٢٧، في كتاب التاريخ، باب الحوض والشفاعة في ذكر الإخبار بأن الأنبياء يوم القيامة تحت لواء محمد ﷺ)، وكذا أبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ٤٨٠ و٤٨١)، وكذا رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٦٩ و٣٧٠ برقم ٧٩٣، باب في ذكر قول النبي ﷺ: «أنا أول شافع وأول مشفع»)، كلهم من طريق: معمر بن راشد، عن محمد بن عبدالله ابن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف، عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه بنحوه.

وإسنادي ابن حبان وأبي يعلى فيهما عثمان الكُلابي، قال فيه النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان في «ثقاته»: ربما أخطأ. وقال أبو حاتم: يتكلمون فيه، يحدث من حفظه بمناكير.

وإسناد ابن أبي عاصم صححه العلامة الألباني حفظه الله في «ظلال الجنة»، قال حفظه الله: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

والحديث له طرق وألفاظ يطول المقام بذكرها، والكلام عليها، وما ذُكر نسأل الله أن يكون في الكفاية.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤١٧).

كالإجماع(٣).

ويُحْمَلُ حديث المَنْعِ إن صح؛ أنه ﷺ قال ذلك تواضعاً، وكراهةً لمدحه في وجهه ﷺ.

وأما قوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة»؛ مع أنه سيدهم في الدنيا ويوم القيامة؛ فإنه أشار به إلى انفراده بالسؤدد فيه والشفاعة العظمى دون غيره إذا لجأ الناس إليه في حوائجهم(٤) ومهماتهم، فكان ﷺ حينئذٍ سيِّداً منفرداً من بين البشر، لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادَّعاه؛ فهو كقوله تعالى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٥)؛ مع أنه مالك الدنيا ويوم الدين، وقوله: ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الواحِدِ القَهَّارِ﴾(٦)؛ مع أن المُلْكَ له في الدنيا والآخرة، ولكن لَمَّا انقطعت في الآخرة دعوى المدعين للملك في الدنيا، وكذلك لجأ الناس إلى سيدنا محمد في العقبى(٧)، حتى تدافع أولو العزم للشفاعة من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى، حتى انتهت إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين، فصلُح تخصيصُهُ بالسيادة في ذلك اليوم، وإن كان هو سيد العالم دُنيا وحشراً وعُقبى.

---

(٣) «المفردات في غريب القرآن» (ص ٢٤٧).

(٤) كان الأولى أن يقول رحمه الله: إذا ذكر الناس إليه حوائجهم، أو شبه ذلك؛ لئلا يكون شيئاً من الغلو فيه ﷺ، وإعطاءه شيئاً من حقوق الربوبية!

(٥) الفاتحة: ٣.

(٦) غافر: ١٦.

(٧) سبق التنبيه على هذه اللفظة قريباً.

والـلائق من هٰذه المعـاني على أن هٰذا الـدعاء سمي: (سيد الاستغفار)؛ لأنه فاضل، والفاضل سيد المفضول.

وقـال في «المـطلع»: السيد هو الـذي يفوق في الخير قومه، ويرتفع عليهم.

قاله الزَّجَّاج[8] والنووي[9].

سبب تسمية الدعاء بسيد الاستغفار

فعلى هٰذا سُمِّيَ هٰذا الدعاء سيد الاستغفار؛ لأنه قد فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة، وارتفع عليها.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي: قال الطِّيبي[10]: لمَّا كان الدعاء جامعاً لمعاني التوبة؛ اسْتُعِير له السيد. انتهى.

---

(٨) الإمـام، نَحْـوِيُّ زمـانـه، إبـراهيم بن محمد بن السَّرِيِّ الزَّجاج، البغـدادي، مصنِّف كتاب «معاني القرآن»، لَزِمَ المُبَرِّد، فكان يعطيه مِنْ عملِ الـزُّجَـاج كل يومٍ درهمـاً، فَنَصحـه وعلَّمـه، له كتـاب «معـاني القـرآن»، و«العَروض»، و«النَّوادر»، و«الاشتقاق»، و«فعلتُ وأفعلت»، توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مئة للهجرة. وانظر: «المطلع على أبواب المقنع» (ص ٢).

(٩) يحيى بن حسين بن شرف النـووي، أبـو زكـريا، محيي الـدين، الشـافعي، الإمام، كان رحمه الله علاّمة بالفقه والحديث، متفنِّن في أصناف العلوم، حَرِصَ عليه والـده من الصِّغَـر؛ فحفظ القرآن، ومن مؤلَّفاته: «تهذيب الأسمـاء واللغـات»، و«شـرح صحيح مسلم» حافلٌ مفيد، و«المجموع شرح المهـذَّب للشيرازي»، وهـو كتاب فريد جدّاً، و«روضة الطالبين» وهو مختصر لـ «المجموع»، وغيرها كثير، توفي رحمه الله سنة ست وسبعين وست مئة للهجرة.

(١٠) هو الحسين بن محمد بن عبدالله، شرف الدين الطِّيبي، من علماء =

مطلب

ذكر أفضلية هذا الدعاء على غيره من الأدعية

مجمل معاني الدعاء. ووجه أفضلية هٰذا الدعاء على غيره من صيغ الاستغفار:

أنه بدأ فيه بالثناء على الله بعد بدايته بـ (اللهم)، التي هي بمعنى: يا الله! التي معناها: أدعو الله.

ثم خاطب الباري جل وعلا؛ استشعاراً بشدة القرب، واستغراقاً في مقام المشاهدة[1].

ثم اعترف بأنه مربوب مفعول للرب الفاعل دون غيره، ثم اعترف بأنه لا إلٰه غيره معبود بحق إلا هو سبحانه؛ فأتى بما يُشْعِرُ بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلٰهية.

ثم اعتَرَفَ بالعبودية الخالصة له سبحانه، وأنه مقيم على الوعد، ثابت على العهد؛ من الإيمان به، وبكتابه، وبسائر أنبيائه ورسله.

ثم استدرك على نفسه أنه مقيم على ذٰلك بحسب طَوْقِهِ

= الحديث والتفسير والبيان، كان رحمه الله تاجراً ذا ثروة؛ فأنفقها في وجوه الخير، وكان رحمه الله شديد الردِّ على المبتدعة، له: «الخلاصة في معرفة الحديث»، كتاب لطيف في علم المصطلح، و«التبيان في المعاني والبيان»، وغيرها. توفي رحمه الله سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة للهجرة.

(١) المقصود بالمشاهدة: قوة اليقين، ومزيد العلم، وارتفاع الحُجُب المانعة من ذٰلك كالشرك والبدع والمعاصي بأنواعها، لا نَفْس معاينة الحقيقية. انتهى من «مدارج السالكين» (٣/٢٤٢).

واستطاعته؛ لأنه أعجز وأقل وأضعف من تأدية الربوبية حقها، والقيام على العهد والوعد من غير انحرافٍ ما.

ثُمَّ إنـه استعاذ به سبحانه من شر كل ما صنع من التقصير في القيام بما يجب عليه من شكر الإنعام، ومن ارتكاب الآثام.

ثم أقرَّ واعترفَ بترادف نعمته عليه وبما يصيب من الذنوب والمعاصي.

ثم سأله سبحانه المغفرة من ذٰلك كله؛ معترفاً بأنه لا يغفر الذنوب سواه سبحانه وتعالى.

ففي ضمن ذٰلك ما هو ثناء على الله سبحانه وتعالى بجميل أوصافه وآلائه؛ من عدم معاجلته بالعقوبة، ومن إيصاله الرزق إليه، وحفظه من المصائب والبلايا، ومن شياطين الإنس والجن.

وذكر الحافظ ابن رجب في «ذيل طبقات الأصحاب»: أن بعض الناس رأى الحافظ أبا موسى عبدالله ابن الحافظ عبدالغني المقدسي(٢)

---

(٢) هو الشيخ، الإمام، العالم، الحافظ، المحدِّث، جمال الدين، أبو موسى عبدالله ابن الحافظ الكبير عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور الجَمَّاعيليُّ، المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي، الحنبلي، اشتغل بالفقه والحديث، وصار عَلَماً في وقته، وصار قدوة، وانتفع الناس بمجالسه التي لم يُسبق إلى مثلها، كان كريماً، واسع النفس، وقال الضياء المقدسي بشأن ذٰلك: كان رحمه الله ساعياً في مصالح أصحابنا حتى كان يضيق صدري عليه مما يتحمل من الديون، وكان رحمه الله جمَّ الفوائد، ويبكي ويخشع، توفي رحمه الله سنة تسع وعشرين وست مئة للهجرة.

العَلَمُ المشهور في المنام، وكان الرائي من أصحاب الحافظ، فسأله الرائي، فقال له: أُوْصِيكَ بالدعاء الذي حفظتكَ إياه؛ فاحْفَظْهُ. فقال له: ما بقيت أحفظه. فقال له: هو مكتوب في الورقة التي كتبتها لك؛ فما نفعني الله إلا به، وكان الدعاء: «اللهم! أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك...» الحديث[٣] انتهى.

مطلب
في آداب الداعي وما ينبغي أن يكون حاله

آداب الدعاء المستحبة

والمستَحَبُّ في الدعاء أن يبدأ الداعي بالثناء على الله بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته؛ كما في دعاء ذي النون الذي قال فيه النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب؛ إلا فرَّج الله كربه: لا إله إلا أنت، سبحانك؛ إني كنت من الظالمين»[١].

---

(٣) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/١٨٧).

(١) لفظه: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط؛ إلا استجاب الله له». رواه الترمذي في «السنن» برقم (٣٥٠٥، في كتاب الدعوات، باب رقم ٨٢)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/١٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٥ و٢/٣٨٣) وقال: صحيح ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وكذا رواه الضياء المقدسي في «المختارة» (٣/٢٣٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٦٥٦، باب ذكر دعوة ذي النون)، وكذا رواه الطبراني في «الدعاء» برقم (١٢٤)، وكذا رواه أبو يعلى في «مسنده» بنفس لفظ الإمام =

وفي الترمذي: «دعوة أخي ذي النون؛ إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت، سبحانك؛ إني كنت من الظالمين؛ فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط؛ إلا استجاب الله له».

= أحمد ضمن حديث طويل أيضاً في (٢/ ١١٠ و١١١ وبرقم ٧٧٢)، جميعهم من طريق: يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه به، وهو عند الإمام أحمد مطولاً، وقد ذكر الترمذي رحمه الله أن غير واحد ممن رووا الحديث بذكر: محمد بن سعد عن سعد، ولم يذكر فيه: عن أبيه.

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «المسند» (٣/ ٣٥): إسناده صحيح. ثم جعل يسرد توثيق العلماء لرجال الإسناد، وقد ذكره العلامة الألباني في «صحيح الكلم الطيب» (باب ما يقال عند الكرب والهم والحزن برقم ١٠٤).

ورواه أيضاً ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٤٣، باب ما يقول إذا نزل به كرب أو شدة)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٥)، وسكت عنه هو والذهبي، كلاهما من طريق: عمرو بن حصين، ثنا المعتمر بن سليمان؛ قال: سمعت معمراً يحدِّث عن الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بنحوه.

وفيه كما ذكرنا عمرو بن حصين، وهو متروك كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله.

وقد رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٦٥٥) من نفس الطريق الأولى؛ قال: محمد بن مهاجر قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن سعد (وذكره).

ومحمد بن مهاجر؛ قال فيه البخاري: لا يتابع على حديثه. وقال الذهبي في «الميزان»: لا يعرف. وقال الحافظ: لين. وكذلك من روى عن ابن مهاجر وهو عبيد بن محمد، قال فيه الحافظ: ضعيف. وقال ابن عدي في «الكامل»: له أحاديث مناكير.

وهٰكذا عامة أدعية النبي ﷺ:

كما في دعاء الكرب: «لا إلٰه إلا الله، العلي، العظيم، الحليم، لا إلٰه إلا الله رب العرش العظيم، لا إلٰه إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[2].

وفي السُّنن و«صحيح ابن حبان»؛ أن رسول الله ﷺ سَمِعَ رجلاً يدعو، وهو يقول: اللهم! إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إلٰه إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به؛ أجاب، وإذا سئل به؛ أُعْطَى»[3].

(٢) لفظ الحديث: «لا إلٰه إلا الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلا الله رب العرش الكريم...»، رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٣٤٥ و٦٣٤٦، في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، وبرقم ٧٤٢٦، في باب وكان عرشه على الماء، وبرقم ٧٤٣١، باب تعرج الملائكة والروح إليه)، ورواه مسلم في «صحيحه» في (كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب برقم ٢٧٣٠)، ورواه الترمذي في «السنن» برقم (٣٤٣٥، في كتاب الدعوات، باب ما يقول عند الكرب)، ورواه ابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨٨٣، في كتاب الدعاء، باب ما يقول عند الكرب)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٢٨ و٢٥٩ و٣٣٩ و٣٥٦)، وكذا رواه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٢٠)، جميعهم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» في موضعين، الأول برقم (٨٩١ - التقاسيم والأنواع، في كتاب الرقائق، باب الأدعية)، والموضع الثاني برقم (٨٩٢)، ذكره في الموضع الثاني بطوله وتمامه، وفي الموضع الأول ذكره بشاهده =

. . . .

= فقط، ورواه في الموضع الأول من طريق: الفضل بن الحُباب، ثنا مسدد بن مسرهد، عن يحيى القطان، عن مالك بن مِغْوَل؛ قال: حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه؛ أن النبي ﷺ (وذكر ما ذكره المؤلف ـ أي: السفاريني ـ فقط).

ورواه من هذه الطريق: أبو داود في «السنن» برقم (١٤٩٣، في كتاب الصلاة، باب الدعاء)، عن مسدَّد بن مسرهدٍ به.

وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٠) عن يحيى بن سعيد ـ أي: القطان ـ، به. وقد سها الطابع أو الناسخ عفا الله عنه، فذكر كلمة «يحيى بن» بين ابن مغول وعبدالله بن بريدة.

وكذا رواه أيضاً ابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨٥٧، في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (٩٤٠٩، في كتاب الدعاء، باب في اسم الله الأعظم)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي عن وكيع ـ هو ابن الجراح ـ، ورواه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٣٨، في كتاب الدعوات، باب ما قيل في الاسم الأعظم) عن الحجاج بن نصير، كلاهما ـ أي: وكيع والحجاج ـ روياه عن مالك بن مغول به، والبغوي بنحوه.

وطريق ابن حبان الثانية: عن أبي العباس أحمد بن عيسى بن السكين البلدي بواسط، حدثنا أبو الحسين أحمد بن سليمان بن أبي شيبة الرُّهاوي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا مالك بن مغول، حدثنا عبدالله بن بُريدة، عن أبيه (وذكر الحديث بطوله وتفصيله).

وقد رواه من هذا الطريق الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٩) من طريق: عثمان بن عمر، ثنا مالك به، وكذا الترمذي في «الجامع» برقم (٣٤٧٥، في كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ)، رواه من طريق: جعفر =

. . . .

= ابن محمد الثعلبي الكوفي، حدثنا زيد بن الحباب، عن زهير بن معاوية، عن ابن مِغْوَلٍ به.

قال أبو عيسى: قال زيد: فذكرته لزهير بن معاوية بعد ذٰلك بسنين، فقال: حدثني أبو إسحاق، عن مالك بن مِغْوَل. قال زيد: ثم ذكرته لسفيان الثوري، فحدثني عن مالك. ثم قال أبو عيسى: هٰذا حديث حسن غريب. ثم قال أبو عيسى أيضاً: وروى شريك هٰذا الحديث عن أبي إسحاق عن بُريدة عن أبيه، وإنما أخذه أبو إسحاق الهَمْدَاني عن مالك بن مغول، وإنما دلسه، وروى شريك هٰذا الحديث عن أبي إسحاق.

فنقول: هو كذا عند الحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٤)، قال الحاكم: أخبرنا أبو عبدالله الصفار، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا الحسن بن الصبَّاح، ثنا الأسود بن عامر، أنبأنا شريك، عن أبي إسحاق. وذكره وقال: هو على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

ورواه النسائي في «المجتبى» برقم (١٣٠١، في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر)، عن عمر بن يزيد، عن عبدالصمد بن عبدالوراث، قال: حدثنا أبي، حدثنا حسين المعلِّم، عن ابن بريدة؛ قال: حدثني حنظلة بن عليٍّ أن مِحْجَن بن الأدرع حدثه أن رسول الله ﷺ (فذكره بنحوه).

وقد صححه العلامة الألباني حفظه الله في «صحيح سنن النسائي» (١/٢٧٩ و٢٨٠).

ورواه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٨٩٣ ـ التقاسيم والأنواع) في نفس الموضع الأول من طريق: محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف؛ قال: حدثنا قتيبة بن سعيد؛ قال: حدثنا خلف بن خليفة؛ قال: حدثنا حفص ابن أخي أنس ابن مالك رضي الله عنه. وذكر الحديث بنحوه، وزاد: «لا إلٰه إلا أنت، الحنان، المنان...»، و«... يا حي، يا قيام...». =

. . . .

= ومن طريقه رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/١٥٨ و٢٤٥)، رواه في الموضع الأول بذكر «الحنان» أيضاً، وكذا رواه النسائي في «المجتبى» برقم (١٣٠٠، في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر بدون ذكر «الحنان. .»)، وكذا رواه أبو داود في «السنن» برقم (١٤٩٥، في كتاب الصلاة، باب الدعاء) بدون ذكر «الحنان»، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٧٠٥، في باب الدعاء عند الاستخارة) بنحوه، ولم يذكر أيضاً «الحنان. . .»، وكذا رواه البغوي في «شرح السنة» (٥/٣٦، في كتاب الدعوات، باب ما قيل في الاسم الأعظم) بدون ذكر «الحنان. . .»، وكذا رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٣ ـ ٥٠٤) بدون لفظة «الحنان. . .» أيضاً، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ويُلاحظ اضطراب الرواة في ذكر لفظة: «الحنان. . .»، وكذا من ذكرها خالف من هم أوثق منه ممن لم يذكروها، وهٰذا ما يسمى في علم الحديث بالشاذ وكذٰلك اضطراب، وهما من الضعيف، ولم أجد من صحح هٰذه اللفظة، والله أعلم.

وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/١٢٠)، وكذا ابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨٥٨، في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (٩٤١٠، في كتاب الدعاء، باب في اسم الله الأعظم)، رووه من طريق: وكيع، عن أبي خزيمة، عن ابن سيرين، عن أنس ابن مالك؛ قال (وذكره بلفظه). ورجاله ثقات، وإسناده متصل.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» كذٰلك (٣/٢٦٥) من طريق: إسحاق ابن إبراهيم الرازي، ثنا سلمة بن الفضل؛ قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبدالعزيز بن مسلم، عن عاصم، عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، عن أنس رضي الله عنه به. =

. . . .

= وكـذا رواه الحـاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٤) من طريق: محمد بن يعقوب، ثنا الربيع بن سليمان، ثنا عبدالله بن وهب، أخبرني عياض الفهري، عن إبراهيم بن عبيد به، ولٰكنه قال في الحديث: «. . . لقد كاد يدعو الله باسمه الذي إذا دُعِيَ به أجاب. . .»، وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وفيه: عياض الفهري، وهو كما قال الحافظ: لين الحديث. «التقريب».

ورواه الترمذي في «الجامع» برقم (٣٥٤٤، في كتاب الدعوات، باب خلقِ الله مئة رحمة) من طريق: محمد بن أبي الثلج ـ رجل من أهل بغداد، أبو عبـدالله صاحب أحمـد بن حنبل ـ، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا سعيد بن زَرْبي، عن عاصم الأحول وثابت، عن أنس رضي الله عنه به. وقال أبو عيسى: هٰذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس. وقد رُوي من غير هٰذا الوجه عن أنس.

وكـذا رواه الـطبـراني في «الـدعاء» برقم (١١٧) من طريق: أبو مسلم ـ المعروف بالكشي ـ، ثنا أبو عمر الضرير، ثنا حماد بن سلمة، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس رضي الله عنــه به، وقـال الحـافظ الهيثمي في «المَجْمَـع» (١٠/ ١٥٦): رواه الطبراني، وفيه أبان بن أبي عياش، وهو متروك.

قلت: ذكروا أنه لا يتعمد الكذب، ولٰكنه بلي بسوء الحفظ، والله أعلم.

ولفظة: «المنان» التي وردت في بعض الألفاظ والروايات السابقة نوعان: قال ابن الأثير رحمـه الله في «النهـاية في غريب الحديث والأثر»: والمنان هو المنعم، المعـطي، من المنِّ: العـطاء، لا من المنَّـة، وكثيراً ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثنيه، ولا يُطلب الجزاء عليه؛ فالمنان من أبنية المبالغة كالوهاب ونحوه. اهـ.

قلت: وعلى هٰذا يكون هٰذا النوع بمعنى الإنعام، والمبالغة فيه، وإثقال المنعم عليه بالنعمة، ومن ذٰلك قوله تعالى في سورة طٰه: ﴿**ولقد مننا عليك مرة** =

وفي «سنن أبي داود» و«النسائي»: عن أنس رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً، ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم! إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام! يا حي! يا قيوم! فقال النبي ﷺ: «لقد دَعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دُعِيَ به؛ أجاب، وإذا سُئِلَ به؛ أعطى»[٤].

فأخبر ﷺ أن الدعاء يُسْتجاب إذا تقدمه ثناء وذِكْر.

والثناء عليه سبحانه أَنْجَعُ ما طَلَبَ به العبد حوائجه؛ فلا جَرَمَ الدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، ولا سيما إذا كان بمثل هذه الجُمَلُ الجامعة والكلمات

= أخرى﴾، وكذا في سورة آل عمران: ﴿لقد من الله على المؤمنين﴾ وغيرها، والنوع الآخر أن يأتي بمعنى ذكر الفضل والمنِّ على المتفضل والممتن عليه، وهذا بالقول وهو مستقبح، وصاحبه سيىء الخلق، وهذا لا يليق بالله جل وعلا، ومن ذلك قوله تعالى في الحجرات: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾، وما رواه مسلم في «صحيحه» من ذكره ﷺ للثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم... وذكر منهم: المنان.

(٤) هو نفسه الحديث الذي قبله.

وقد تكلم الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١١/٢٢٧) وما بعدها عن الاسم الأعظم، والخلاف في تفضيله؛ فأطال وأفاد رحمه الله تعالى؛ حيث إن جميع الأسماء عظمى، وقال: الوارد أنه الاسم العظيم، وليس بأعظم اسم، وقيل: الأعظمية الواردة في ذلك مزيد ثواب القارىء، والداعي... إلخ؛ فانظره ـ رعاك الله ـ لنفاسته.

المتضمنة لتوحيد ربوبيته.

الحال المستحبة للداعي عند ذكره لسيد الاستغفار

وقد انضاف إلى ذٰلك إخباره بعبوديته، وحاله، ومسكنته، وافتقاره، واعترافه بالنعم المتواصلة، وذنوبه المتراسلة، وأنه لا يغفر زلَّتهُ ولا يُقيل عثرتَه إلا هو سبحانه؛ فقد توسل إلى معبوده وإلٰهه وخالقه بصفات كماله وإحسانه وفضله وامتنانه، وصرَّح بشدة فاقته وحاجته وضرورته وفقره، وتلطُّخه بمعصيةٍ من هو خالقه ورازقه وحافظه ومعينه؛ فاجتمع المقتضي من السائل، والمقتضي من المسؤول في الدعاء؛ فكان أجدر بالإجابة، وأحرى بأن يُسَمَّى بـ «سيد الاستغفار»؛ لأنه أَلْطَفُ موقِعاً، وأتم معرفة وعبودية.

وأنت ترى في الشاهد ـ ولله المثل الأعلى ـ أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده، وذكر حاجته وفقره ومسكنته؛ كان أعطف لقلب المسؤول، وأقرب إلى قضاء حاجته منه.

فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الرُّكبان، وفضلك كالشمس لا يُنْكَرُ في العَيَان، ومعروفُك قد عم البلدان، وقد بلغتْ بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه... ونحو ذٰلك؛ كان ذٰلك أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول له ابتداءً: أعطني كذا وكذا!

فإذا عرفت هٰذا؛ فتأمل قول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرينَ﴾[٥].

وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

(٥) الأعراف: ٢٣.

فَقيرٌ﴾(٦).

وقول ذي النون المتقدم.

وفي «الصحيحين»؛ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو به في صلاتي. فقال: «قل: اللهم! إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم».

وفي لفظ: «ظلماً كثيراً»(٧).

---

(٦) القَصص: ٢٤.

(٧) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٨٣٤، في كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام)، ورواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٠٥، في كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت في الذكر)، ورواه الترمذي في «السنن» برقم (٣٥٢١، في كتاب الدعوات، باب دعاءٌ يقال في الصلاة)، ورواه النسائي في «السنن» برقم (١٣٠٢، في كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء)، وكذا رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/٣٧)، جميعهم من طريق: قتيبة بن سعيد، عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير ـ هو مَرْثد بن عبدالله اليَزَني ـ، عن عبدالله بن عمرو، عن أبي بكرٍ رضي الله تعالى عنهم به.

ورواه البخاري أيضاً برقم (٦٣٢٦، في كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة)، وكذا ابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨٣٥، في كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (١/٧)، جميعهم من طرق عن الليث به.

ورواه البخاري أيضاً برقم (٧٣٨٧، في كتاب التوحيد، باب ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾)، ورواه مسلم برقم (٢٧٠٥)، وأبو يعلى في «المسند» =

فجمع في هٰذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب؛ فهو كدعاء سيد الاستغفار؛ فإنه جمع فيه بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل؛ حيث قال: «أبوء»؛ أي: أعترف لك بنعمتك عليَّ؛ فهٰذه مشاهدة المِنَّة، «وأبوء بذنبي»؛ فهٰذه مطالعة عيب النفس، ثم سأل الله سبحانه المغفرة من ذنوبه والإقالة من عيوبه وحوبه؛ فما أحراهُ بإجابة دعاه، وما أولاه بقبول مولاه إياه ومغفرة ذنوبه وخطاياه؛ حيث إنه استقاله مما اجتناه، واستغفره مما ارتكبه وأتاه؛ فإنه سبحانه وتعالى قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس؛ لا يَفْتُرُ عنه؛ فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفسُه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحب، فاتفق هو ونفسه وهواه، ثلاثة على العبد مُسَلَّطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرِهم، والجوارح آلة منقادة؛ فلا يمكنها إلا الانْبِعَاث؛ فهٰذا شأن هٰذه الثلاثة.

بعض أعداء الإنسان من نفسه وفي خلقه وشيطانه

ولها رابع، وهي: الدنيا.

ومن هٰذا ما نُسب للإمام الشافعي:

إنِّي بُلِيتُ بأَرْبَعٍ يَرْمِينَنِي
بالنَّبْلِ عَنْ قَوْسٍ لَها تَوْتِيرُ

= (١/٣٨)، جميعهم من طريق: عبدالله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب به.

إِبْــلِيسُ والــدُّنيا ونَـفْسِـيَ وَالـهَــوى
مِنْ أَيْنَ لي مِنْ شَرِّهِــنَّ نَصــيرُ[8]

وينسب من ذٰلك أيضاً لشيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه:

إِنِّــي بُلِيتُ بِأَرْبَــعٍ يَرْمِــينَــنِــي
بالــنَّــبْــلِ مِنْ قَوْسٍ لهــا إِشْــراكُ
إِبْـلِيسُ والــدُّنْيا ونَـفْـسِـيَ والـهَــوى
مِنْ أَيْنَ يُرْجَــى للضَّــعِيفِ فِكَــاكُ[9]

وللفقير من ذٰلك في ذٰلك:

إِنِّــي بُلِيتُ بِأَرْبَــعٍ يَرْمِــينَــنِــي
بالــنَّــبْــلِ مِنْ قَوْسٍ لهــا أَوْتــارُ
إِبْـلِيسُ والــدُّنْيا ونَـفْـسِـيَ والـهَــوى
هَلْ لِلْفَــتــى مِنْ بَيْنِــهِــنَّ فِرارُ
يا رَبِّ عامِــلْنِي بِلُطْفِــكَ وارْحَــمِنِي
مِمَّــا أَخــافُ فَإِنَّــنــي مُحْــتَــارُ

---

(٨) في كتاب «مناقب الشافعي» للإمام البيهقي رحمه الله بسنده عن المقتدري؛ قال: أنشَدَنا أبو القاسم يوسف بن عبدالله المصري عن بعض أصحاب الشافعي للشافعي، وذكر الأبيات. «المناقب» (٢ / ٨٩).

(٩) هٰذان البيتان لم نجد لهما مرجعاً؛ لا في التراجم الطويلة، ولا القصيرة، ولعلهما ليسا لشيخ الإسلام رحمه الله بقرينة قول المؤلِّف «ويُنْسب».

نَفْسِـي الَّتي تَبْغِي الشِّفَـا بِمُـرَادِهـا
وَبِـهِ الـنَّـوى وَهَـلاكُـهـا والـعَـارُ
يا حافِظَ الـمَـلَكـوتِ كُنْ لي حافِـظاً
مِنْ شَرِّهـا يا رَبِّ يا سَتَّـارُ

ما سخر الله لحماية الإنسان من هواه وشيطانه

ولما ابْتَلَى سبحانه عبده بما ابتلاه؛ أعانه بجند آخر، وأمده بمدد آخر، يقاوم به ما ابتلاه به مما يريد هلاكه:

فأرسل إليه رسوله.

وأنزل عليه كتابه.

وأيده بِمَلَكٍ كريم (يقاتل عدوه الشيطان؛ فإذا أمره الشيطان بأمره؛ أمره الملك)[10] بأمر ربه، وبيَّن له ما في طاعة العدو من الهلاك؛ فهٰذا يُلم به مرة، وهٰذا مرة، والمنصور من نصره الله تعالى.

وجعل له مقابلة نفسه الأمارة نفساً مطمئنة.

وجعل له مقابلة الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نوراً وبصيرةً وعقلاً يَرُدُّهُ عن الذهاب مع الهوى.

فإذا فَرَطَ منه زَلَّةً؛ استدرك ذٰلك بالتوبة والاستغفار، والرجوع من الفرار، والله تعالى يقبل من أقبل، ويتوب على من تاب وتَنَصَّلَ[11].
والله الموفق.

---

(١٠) ما بين المعكوفتين ساقط من (ز).

(١١) (تنَصَّل): تنصَّل فلان من ذنبه؛ أي: تبرَّأ، والتَّنَصُّل شبه التبرؤ من جِنَايةٍ أو ذنب. «لسان العرب» (باب نَصَلَ).

مطلب
في بداية شرح الحديث

شرح سيد الاستغفار والكلام على الاستغفار والمغفرة

وهٰذا أول الشروع في المقصود، ولله الحمد والمنة:

* قوله ﷺ: «**سيد الاستغفار**»: تقدم قريباً أن السيد يطلق على الفاضل؛ أي: أعظم صيغ الاستغفار، وأفضلها، وأجمعها للمعاني الموجبة لغفران الذنوب.

فهٰذه السيادة باعتبار ما جَمَعَتْهُ من المعاني التي أشرنا إلى بعضها آنفاً، ومن المعلوم أنه لا يوجد في «اللهم! اغفر لي» و«أستغفر الله» ونحو ذٰلك ما في هٰذا الدعاء من تقديم الاعتراف بالربوبية وتوحيدها والإلٰهية، والخلق والعبودية، والتمسك بالعهد والوعد على حسب الاستطاعة، (والاعتراف بالنعم، والإقرار بالذنوب واللمم، ثم طلبُ المغفرة)[1].

والاستغفار: استفعال، والسين فيه للطلب؛ أي: طلب المغفرة؛ يعني: سيد صِيغ طلب المغفرة.

ومن أسمائه سبحانه وتعالى: الغفَّار والغفور، وهما من أَبْنِيَةِ المبالغة، ومعناهما: الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

وأصل الغفر: التغطية، يقال: غفر الله لك يَغْفِرُ غَفْراً، وغُفْراناً، وَمَغْفِرَةً، والمَغْفِرَةُ: إلباس الله سبحانه وتعالى العفو للمذنبين من

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من (ن).

عباده[2].

* قوله ـ كما في بعض النسخ ـ: «**أن يقول**»؛ أي: الداعي أو طالب المغفرة والإقالة من الذنوب؛ أي: أفضل صيغ الاستغفار: قوله... إلخ.

تركيب كلمة (اللهم) ومعناها

* قوله ﷺ: «**اللهم...**» إلخ: لا خلاف عند البصريين[3] أن لفظة (اللهم) معناها: يا الله! ولهٰذا لا تُسْتَعْمَلُ إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم! غفور رحيم، بل يقال: اغفر لي وارحمني.

واختلف النحاة في الميم المشددة من آخر الاسم:

فقال سيبويه[4]: زيدت عِوَضاً من حرف النداء[5]، ولذا لا يجوز

---

(٢) «المفردات في غريب القرآن» للراغب (ص ٣٦٢).

(٣) في النسختين: «عند البصري»، والصحيح ما أثبتناه لموافقته للمعنى ولأصول فن النحو.

(٤) إمام النحو، وحجة العرب، أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الفارسيُّ، ثم البصري، طلب الفِقه والحديث مدَّة، ثم أقبل على العَربية؛ فبرع وساد أهل العصر، وألَّف في هٰذا الفن الأخير كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه، وقيل: كان فيه مع فَرْطِ ذكائه حُبْسَةً في عبارته، وانطلاق في قلمه، وقال إبراهيم الحربي: سُمِّي سيبويه؛ لأن وجْنَتَيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن. توفي سنة ثمانين ومئة للهجرة.

(٥) «الكتاب» لسيبَويه (١/٢٥ ـ ٢/١٩٦).

قال ابنَ هشـام في «أوضح المسالك»: وقد يُجْمَعُ بينهما في الضرورة النادرة؛ كقوله:

=

عند البصريين الجمع بينهما في اختيار الكلام، فلا يقال: يا اللهم!

قال البدر بن مالك[٦] في «ألفيَّته»:

والأَكْـثَـرُ الـلَّهُـمَّ بالـتَّعْـويض

وشَـذَّ يا الـلَّهُـمَّ في قَريضِ

قال الأشموني[٧]: الأكثر في نداء اسم الله تعالى أن يحذف

= أقـول يا الـلهـم يا الـلهـم ... ...

قال محقق «أوضح المسالك» محيي الدين عبدالحميد معلِّقاً على ذلك:

الشاهد فيه قوله: «يا اللهم» حيث جمع بين «يا» والميم المشدَّدة التي تأتي في الكلام عِوَضاً عنها، وذلك ضرورة نادرة؛ لأن العربية على ألا يُجْمَعَ بين العوض والمعوَّض عنه.

انظر: «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» (٣/ ٨٤).

(٦) هو جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الجيَّاني، أبو عبدالله، أحد الأئمة في علوم العربية ومن أبرزهم، له «الألفية» أرجوزة نافعة في النحو، وله «تسهيل الفوائد» في النحو أيضاً، و«الكافية الشافية» وهي أصل الأرجوزة وتبلغ ثلاثة آلاف بيت تقريباً، و«العروض»، و«تحفة المودود في أحكام المقصور والممدود»، و«الاعتضاد في الفَرْق بين الظاء والضاد»، وهي قصيدة من بحر البسيط على رويّ الراء المفتوحة، مشروحاً شرحاً متقناً من إنشائه، وغيرها كثير، توفي سنة اثنتين وسبعين وست مئة للهجرة بدمشق.

(٧) هو علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني، نحويٌّ من فقهاء الشافعية، وُلِّي القضاء بدمياط، وصنَّف «شرح ألفية ابن مالك» في النحو، و«نظم المنهاج في الفِقه مع شرحه» وغيرها، توفي سنة تسع مئة للهجرة.

حرف النـداء، ويقـال: اللهم! بتعـويض الميم المشـددة عن حرف النـداء، وشـذ الجمع بين الميم وحرف النداء في الشعر، وذكر قول الشاعر: إِنِّي إِذا ما حَدَثٌ. . . إلخ[8].

وقال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصـلاة والسـلام على خير الأنام»: ويُسَمَّى ما كان من هٰذا الضَّرْب عِوضـاً؛ إذ هو في غير محلِّ المَحْذُوف؛ فإن كان في محله؛ يُسَمَّى بدلاً؛ كالألف في قام وباع؛ فإنها بدل عن الواو والياء.

قال ابن القيم: ولا يجـوز عنـد سيبويه أن يوصف هٰذا الاسم أيضاً، فلا يُقال: اللهم الرحيم ارحمني، ولا يُبْدَلُ منه، والضمة التي على الها ضمة الاسم المنادى المفرد، وفَتَحَ الميم لسكونها وسكون الميم التي قبلها.

قال ابن القيم: وهٰـذا من خصائص هٰذا الاسم، كما اختص بالتاء في القَسَم، ويدخل حرف النداء عليه مع لام التعريف، وبِقَطْعِ هَمْزَةِ وَصْلِهِ في النداء، وتفخيم لامِهِ وجوباً غيرَ مسبوقة بحرف إطباق،

---

(8) إنـي إذا ما حَدَثٌ ألَـمَّـا أقـول يا اللهـم يا اللهـم

وقد نُسِبَ هٰذا الشاهد ـ وهو من شواهد المُنادى ـ لأمية بن الصلت، ولأبي خِراش الهُذَلي.

انـظر: «معجم شواهد العربية» لهارون (٢/٥٣١)، و«شرح الأشموني على ألفية ابن مالك بحاشية الصبان» (٣/١٤٦)، وقد جزم الأزهري في «شرح التصريح على التوضيح» (٢/١٧٢) بأنه لأبي خِرَاش الهُذَلي.

هٰذا مُلَخَّصُ مذهب الخليل[٩]، وسيبـــويه، وقيل: الميم عِوَض عن جملة محذوفة، والتقدير: يا الله! أَمِّنّا بخير؛ أي: اقصدنا، ثم حُذِفَ الجار والمجرور، وحُذِفَ المفعـول، فبقي في التقدير: يا الله أم، ثم حذفنا الهمزة لكثرة دوران هٰذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم، فبقي: يا اللهم، وهٰذا قول الفراء[١٠].

قال الأشمـوني: مذهب الكـوفيين[١١] أن الميم في اللهم بقية

(٩) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبدالرحمٰن البصري، الإمام، صاحب العربية، ومُنْشِىء عِلْم العَروض، أخذ عنه سيبويه النحو، كان رأساً في «لسان العرب»، ديِّناً ورِعاً، قانعاً متواضعاً، كبير الشأن، له كتاب «العَين» في اللغة، وكان رحمه الله مُفْرَط الذكاء، له من الأقوال: «أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً عند الأربعين»، وله أيضاً: «لا يعرف الرجل خطأ معلِّمه حتى يجالس غيره»، وذكر الذهبي أيضاً أن أيوب بن المتوكل قال: كان الخليل إذا أفاد إنساناً شيئاً؛ لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً؛ أراه بأنه استفاد منه. ثم قال الذهبي: صار طوائفُ في زماننا بالعكس. توفي رحمه الله قبل أن يتمم كتاب «العين» ويهذِّبه نحو سنة سبعين ومئة للهجرة.

(١٠) العلاَّمة، صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله الأسـدي، مولاهم الكـوفي، النَّحْـوي، صاحب الكِسائي، ذكر الخطيب في «تاريخ بغداد»؛ أن أبا العباس ثعلب قال: لولا الفراء لما كانت عربية، ولسقطت لأنه لخصها، ولأنها كانت تُتنازعُ ويدَّعيها كلُّ أحد. وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو. وذكر السمعاني في «الأنساب» نقلاً عن السِّير أنه سُمِّي الفراء لأنه كان يفري الكلام، توفي رحمه الله سنة سبع ومئتين للهجرة وهو في طريقه للحج.

(١١) أي: علمـاء اللغـة في الكوفة، حيث يعتبرون مرجعاً معتبراً عند =

جملة محـذوفـة، وهي: أمِّنا بخير، وليست عوضاً عن حرف النداء؛ فلذٰلك أجازوا الجمع بينهما في الاختيار(١٢).

قال الإمام ابن القيم: وصاحب هٰذا القول يُجَوِّزُ دخول ياءٍ عليه، ويحتج بقول الشاعر:

أَقُــولُ يا الــلَّهُــمَّ يا الــلَّهُــمـا
ارْدُدْ عَلَيْنَــا شَيْخَــنَــا مُسَــلَّمــا

وبالبيت المتقدم وغيره.

أَوْرَدَ البصريون هٰذا بوجوهٍ:

أحدها: أن هٰذه التقادير لا دليل عليها، ولا يقتضيها القياس؛ فلا يُصَارُ إليها.

الثاني: أن الأصل عدم الحذف.

الثالث: أن الداعي بهٰذا قد يدعو بالشر على نفسه وعلى غيره؛ فلا يصح هٰذا التقدير فيه.

ولأن العرب لم تجمع بين يا واللهم في فصيح الكلام.

وأنـه من الجائز أن يقول الإنسان: اللهم! أَمِّنَّا بخير، ولو كان التقدير كما ذكره الكوفيون؛ لم يجز الجمع بين العِوَض والمُعَوَّض،

= الاختلاف في النحو.

(١٢) «شرح الأشموني على ألفية ابن مالك» (١٤٧/٣ ـ مع حاشية الصبان).

ولأن الداعي بهٰذا الاسم لا يخطر ذٰلك بباله، وإنما غايته مجردة إلى المطلوب بعد ذكر الاسم.

وأيضاً؛ لو كان التقدير كما زعموا؛ لكان اللهم جملة تامة يحسن السكوت عليها لاشتمالها على الاسم المنادى وفِعْل الطلب، وذٰلك باطل.

وأيضاً، لو كان الأمر كما ذكروا؛ لكان يُكْتَبُ فِعْلُ الأمر وَحْدَهُ، ولم يُوْصَل في الاسم المنادى؛ كما يقال: ياالله قِه، ويا زيد عِه، ويا عمرو فِه[13]؛ لأن الفعل لا يوصل بالاسم الذي قبله، فيجعلان في الخط كلمة واحدة.

وأيضاً؛ فإنه يسوغ استعمال هٰذا اللفظ في موضع لا يكون بعده دعاء؛ كقوله في الدعاء: «اللهم! لك الحمد، وإليك المُشْتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[14]، وقوله: «اللهم! إني أصبحت أُشْهِدُك»[15] إلخ، وقوله:

---

(١٣) (قِهْ): من الوقاية، و(عِهْ): من الوعي، و(فِهْ): من الفهم، ذكره أصحاب المعاجم.

(١٤) لفظه: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك الكلمات التي تكلم بها موسى ﷺ حين جاوز البحر ببني إسرائيل؟». فقلنا: بلى يا رسول الله. قال. . . فذكره بلفظه بزيادة في آخره، وهي كلمتا: «العلي العظيم».

وفي «المَجْمَع» (١٠/١٨٦): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، وفيه من لم أعرفهم. اهـ. =

. . . .

= فنقول: هو عند الطبراني في «الصغير» (١/١٢٢)، ولم أجده في المطبوع من «الأوسط»، والمخطوط غير متوفر؛ فنكتفي بعزوه لـ «الصغير»، رواه من طريق: شيخه جبير الواسطي، حدثنا جعفر بن النَّضِر الواسطي، ثنا زكريا بن فَرُّوخ الواسطي، عن وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه به.

وكذا رواه من طريقه البيهقي في «الدعوات الكبير» برقم (٢٣٣)، وكذا الخرائطي في «فضيلة الشكر» برقم (١١)، كلاهما عن إبراهيم البَلَدي عن أحمد ابن خالد الشيباني ـ وعند البيهقي بدل الشيباني هٰذا عبدالله بن نافع ـ، عن يزيد ابن أبي نافع، عن عيسى بن يونس السبيعي عن الأعمش به. . .

نرجع إلى الطبراني، حيث قال بعدما روى الحديث كلاماً عجيباً في آخره: قال عبدالله ـ أي: ابن مسعود ـ: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ. قال شقيق: ما تركتهن منذ سمعتهن من عبدالله. وقال الأعمش: وما تركتهن منذ سمعتهن من شقيق. وقال الأعمش: فأتاني آتٍ في المنام، فقال: يا سليمان ـ هو الأعمش ـ! زد في الكلمات [هٰؤلاء الكلمات]: ونستعينك على فساد فينا، ونسألك صلاح أمرنا كله. فنقول: رؤيا الأعمش هٰذه زادت في الحديث نصّاً وحكماً شرعيّاً، والنصوص والأحكام معلوم في ديننا بالضرورة أنها لا تثبت بالرؤى والمنامات؛ لأن الدين قد كَمُل وتم بالوحي المُنَزَّل وبالحديث النبوي فقط، ولا ندين الله عز وجل ونتعبده برؤيا منامية؛ فالله أعلم ما هي طريقة هٰذه الزيادة من الأعمش!!

والحديث قال فيه الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم. وقال الطبراني: لم يروه عن الأعمش إلا وكيع، ولا عنه إلا زكريا بن فَرُّوخ، تفرد به جعفر بن النضر ابن بنت إسحاق بن يوسف بن الأزرق.

نقول: وجعفر هٰذا يرويه عن شيخ الطبراني جبير الواسطي «الثقة»؛ كما =

. . . .

= نص على هٰذا الخطيب في «تاريخه» (٧/٢٦٥)، وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/٦١٨): إسناده جيد. والحمد لله رب العالمين.

(١٥) لفظه: «من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهِدُكَ، وأُشْهِدُ حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك؛ أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك؛ أعتق الله ربعه من النار، فمن قالها مرتين؛ أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثاً؛ أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعاً؛ أعتقه الله من النار»، رواه أبو داود برقم (٥٠٦٩، في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح)، وكذا رواه ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٧٣٨)، وابن أبي شيبة في «العرش» برقم (٢٣)، وكذا رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» برقم (٤٠)، جميعهم من طرق عن ابن أبي فُدَيك، أخبرني عبدالرحمٰن بن عبدالمجيد السهمي، عن هشام بن الغاز، عن مكحول، عن أنس رضي الله عنه به.

وقد وقع في رواية ابن السُّني: «عبدالرحمٰن بن عبدالحميد»؛ فوجدت المزي في «تحفة الأشراف» يقول: «ويقال: عبدالرحمٰن بن عبدالحميد» بصيغة التمريض، وهٰذا الوهم من جعفر بن مسافر عند ابن السني، والله تعالى أعلم، وذٰلك لمخالفته الجمع الموثقين.

وهٰذا الإسناد لهٰذا الحديث فيه عبدالرحمٰن بن عبدالمجيد هٰذا: قال فيه الحافظ: مجهول. وقال الذهبي في «الميزان» (٢/٥٧٧): لا يُعرف، تفرد به ابن أبي فُدَيك. وكذٰلك يوجد علة أخرى لهٰذا الإسناد وهي عنعنة مكحول.

وللحديث طريق آخر عند البخاري في «الأدب المفرد» برقم (١٢٠١، باب ما يقول إذا أصبح)، وكذا الترمذي في «الجامع» برقم (٣٥٠١، في كتاب الدعوات، باب رقم ٧٩)، وكذا رواه أبو داود في «السنن» برقم (٥٠٧٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٧٠)، والنسائي كذٰلك في «عمل اليوم =

. . . .

= والليلة» برقم (٩)، جميعهم من طرق، عن حيوة بن شُريح ـ هو الحمصي ـ، عن بقية بن الوليد، عن مسلم بن زياد؛ قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول (فذكره). ثم قال في آخره: «. . . إلا غفر له ما أصاب في يومه ذٰلك، وإن قالها حين يمسي؛ غُفِرَ له تلك الليلة ما أصاب من ذنب»، وهٰذا الجزء منه بدل الجزء الأخير من اللفظ السابق لهٰذا اللفظ.

قلت: ولا يضر كون بقية بن الوليد مدلِّس، وقد صرح بالسماع من ابن زياد عند ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في سفره الرائع الفذ «نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار» في (٢/٣٥٨) حين كلامه على هٰذا الحديث، في (باب: ما يقول إذا أصبح)؛ قال: وبقية صدوق، أخرج له مسلم، وإنما عابوا عليه التدليس والتسوية، وقد صرح بتحديث شيخه؛ فانتفت الريبة، وشيخه أيضاً روى عنه إسماعيل بن عياش وغيره، وقد توقف فيه ـ أي: شيخه ـ ابن القطان؛ فقال: لا تُعْرَفُ حاله. ورُدَّ بأنه وُصِفَ بأنه كان على خيل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه؛ فدل على أنه أمير، وذكره ابن حبان في «الثقات».

ثم قال: «وأخرجه الترمذي عن عبدالله بن عبدالرحمٰن عن حيوة بن شريح عن بقية، وقال: غريب، وكأنه لم يستحضر طريق مكحول، وقد وجدت له أيضاً شاهداً عن أبي سعيد عند الطبراني في «الدعاء»، وفيه: «من قالها أربعاً؛ كتب الله له بَرَاءة من النار»، وسنده ضعيف، وفيه أيضاً عن سلمان في «المعجم الكبير»، وبالله التوفيق. انتهى هنا كلام الحافظ رحمه الله.

قلت: هو عند الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٦٠٦١ و٦٠٦٢، في ٦/٢٢٠ و٢٢١) من طريقين؛ الطريق الأولى: عن محمد بن راشد الأصبهاني، ثنا إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصِّيصي، ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: حدثني =

. . . .

= سلمان بن الإسلام، قال: قال النبي ﷺ (فذكره).

قال الهيثمي في «المَجْمَع»: رواه الطبراني بإسنادين، وأحدهما فيه أحمد ابن إسحاق الصوفي، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

قلت: أما قول الهيثمي رحمه الله: «ولم أعرفه»؛ فقد ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/١/٨١ و٨٢)؛ فقال: أحمد بن يحيى الصوفي ـ وهٰذا هو المثبت في نسخة المعجم بعناية الشيخ حمدي حفظه الله ـ، ثم ذكر من روى عنهم، وذكر منهم: زيد بن الحباب ـ وهو من روى عنه في هٰذا الإسناد ـ، ثم قال: سمعت أبي يقول: كتبتُ عنه، قال أبو محمد: كتبنا عنه بالكوفة، قال: وسُئِلَ أبي عنه؛ فقال: ثقة. انتهى من «الجرح والتعديل»، وقال عنه النسائي: لا بأس به. وذكره ابن حبان في «الثقات» ـ نقلاً عن «التهذيب» لابن حجر رحمه الله ـ.

ومن ضمن كلام ابن حجر في المصدر السابق قوله: «قلت: إنه حسن»، وقد رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٥٢٣) من طريقه عن زيد بن الحُباب، ثنا عطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: حدثنا سلمان الفارسي رضي الله عنه (وذكره بنحوه). ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وقال العلامة الألباني متع الله به على طاعته في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٦٧، ١/٤٧٦)؛ قال: وهو كما قالا. وقد ذكر الشيخ ناصر حفظه الله صلاح الطرق الأولى للحديث شاهداً لهٰذا الحديث مع تضعيفه للطريق الأولى، وقد حسن رعاه الله الحديث بإطلاقه، وضعفه كما رأيت بتقييده بالصباح والمساء.

وقد حسن الحديث ممن حسنه مقيداً شيخنا العلامة البارع الشيخ عبدالعزيز بن باز متع الله به على طاعته، وكذا للشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله بحث طيب في هٰذا الحديث لعله يرى النور قريباً.

«اللهم مالك الملك»[١٦] إلخ، وقول نبينا ﷺ في أذكار ركوعه وسجوده، وفي استفتاح صلاته: «سبحانك اللهم وبحمدك»[١٧].

---

(١٦) آل عمران: ٢٦.

(١٧) هٰذا من أدعية افتتاحه للصلاة ﷺ، وهو حديث مشهور، وتكملته «. . . وتبارك اسْمُكَ، وتعالى جَدك، ولا إلٰه غيرك». هٰذا الحديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ مرفوعاً، وكذا صحح عن عِدَّةٍ من الصحابة الكرام موقوفاً كأبي بكر وعمر وغيرهما كما سترى، وسنورد طرقه لرجاء النفع والفائدة.

فممن رواه مرفوعاً: أبو داود في «السنن» برقم (٧٧٥، في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك)، وكذا رواه النسائي في «المجتبى» برقم (٨٩٩، ٢/١٣٢، في كتاب الصلاة، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة)، ورواه الترمذي في «الجامع» برقم (٢٤٢، في كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة)، وكذا رواه ابن ماجه في «السنن» برقم (٨٠٤، في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب افتتاح الصلاة)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٥٠)، وكذا رواه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١/٢٣٢، في كتاب الصلوات، باب فيما يفتتح به الصلاة)، وكذا عبدالرزاق في «المصنف» برقم (٢٥٥٤، في كتاب الصلاة، باب استفتاح الصلاة)، وكذا رواه الدارمي في «السنن» برقم (١٢٣٩، في كتاب الصلاة، باب ما يقال بعد افتتاح الصلاة)، ورواه أيضاً الدارقطني في «السنن» في (١/٢٩٨، في كتاب الصلاة، باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير)، ورواه البيهقي في «الكبرى» (٢/٣٤، في كتاب الصلاة، باب الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك)، ورواه أيضاً الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/١٩٧)، ورواه أيضاً ابن خزيمة في «صحيحه» (١/٢٣٨، في كتاب الصلاة، باب إباحة الدعاء بعد التكبير وقبل القراءة. . . إلخ)، ورواه الطبراني في «الدعاء» برقم (٥٠١، ٢/١٠٣٢)، =

. . . .

= جميعهم من طرق ذكروها وابتدؤها عن جعفر بن سليمان الضُبَعي، عن علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً به.

وعند أبي داود والطحاوي وابن خزيمة: «كان إذا قام من الليل كبَّر»، ثم قال الحديث.

ورووه جميعاً بزيادة في آخره ـ عدا النسائي وابن ماجه ـ وهي: «ثم يقول: لا إلٰه إلا الله ثلاثاً، ثم يقول: الله أكبر كبيراً ثلاثاً، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم؛ من همزه، ونفخه، ونفثه. ثم يقرأ».

قال أبو عيسى ـ أي: الترمذي ـ: قد تُكُلِّم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد ـ أي: القطان ـ يتكلم في علي بن علي ـ أي: الرفاعي المذكور ـ. وقال أحمد رحمه الله: لا يصح هٰذا الحديث. وقال حرب بن إسماعيل عن أحمد بن حنبل: علي بن علي الرفاعي لم يكن به بأس. اهـ. عن «الجرح والتعديل» (٦/١٩٦)، و«التهذيب» (٧/٣٦٦).

وقال عثمان بن سعيد عن يحيى بن معين: ثقة. عن «تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق» (٢/٧٩٣).

وعزاه المحقق لـ«تاريخ الدارمي» (٥٠٣)، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن علي بن علي الرفاعي؛ فقال: ليس بحديثه بأس. قلت: يُحْتَج بحديثه؟ قال: لا. ثم قال: حدث وكيع عنه. قال: ثنا علي بن علي وكان ثقة. وقال أبو زرعة: ثقة. عن «الجرح والتعديل» (٦/١٩٦ و١٩٧).

وذكر ابن عبدالهادي صاحب «تنقيح التحقيق» في نفس الموضع السابق؛ قال: قال عبدالله بن أحمد: حديث أبي سعيد حديث علي بن علي لم يجد أبي إسناده. قال عبدالله: لم يروه إلا جعفر بن سليمان عن علي بن علي عن أبي المتوكل ـ الناجي ـ. وذكر العلامة الألباني حفظه الله في «إرواء الغليل» (٢/٥١) =

. . . .

= ـ حيث وجدته قد استوفى غفر الله له ـ ؛ قال : ولعل هٰذا لا ينفي أن يكون حسناً ؛ فإن رجاله كلهم ثقات ، وعليّ هٰذا وإن تكلم فيه يحيى بن سعيد ؛ فقد وثقه يحيى ابن معين ووكيع وقد روى عنه كما رأيت مسبقاً وأبو زرعة ، وقال شعبة : اذهبوا بنا إلى سيدنا وابن سيدنا علي بن علي الرفاعي . وقال أحمد : لم يكن به بأس ؛ إلا أنه رفع أحاديث . اهـ . وقد قال أبو داود بعدما روى الحديث : هٰذا الحديث يقولون : هو عن علي بن علي عن الحسن مرسلاً ، والوهم من جعفر . اهـ . وقال أبو عيسى : حديث أبي سعيد أشهر حديث في الباب . وقد ذكره الهيثمي في «المجمع» (٢ / ٢٦٨) وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات . اهـ .

وكذا صحح هٰذا الإسناد الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشيته على «الترمذي» (٢ / ١١) .

قلت : وقد ورد من طريق عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما ؛ فقد رواه الترمذي في «الجامع» (٢٤٣ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة) ، وكذا ابن ماجه برقم (٨٠٦ ، في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب افتتاح الصلاة) ، وكذا رواه الدارقطني في «السنن» (١ / ٣٠١ ، كتاب الصلاة ، وباب دعاء الاستفتاح بعد التكبير) ، ورواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١ / ١٩٨) ، وكذا البيهقي في «الكبرى» (٢ / ٣٤ ، كتاب الصلاة ، باب الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك) ، وكذا العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١ / ٢٨٨ و٢٨٩) ، وكذا ابن المنذر في «الأوسط» (٣ / ٨١ ـ ٨٢) ، جميعهم رووه من طرق عن حارثة بن محمد ـ ابن أبي الرِّجال ـ ، عن عمرة ، عن عائشة رضي الله عنها به .

ثم قال البيهقي بعد ما روى الحديث : وهٰذا لم نكتبه إلا من حديث حارثة ابن أبي الرجال ، وهو ضعيف . وقال أبو عيسى : لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه . وتعقبه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله بوجود وجه آخر ، وهو ما سنورده إن شاء الله بعد هٰذا =

. . . .

= الطريق.

وأما قول البيهقي؛ فقد تعقبه عليه ابن التركماني بقوله: حكم صاحب المستدرك بصحة الحديث الأول على شرطهما، وقال: له شاهد من حديث حارثة ابن محمد، صحيح الإسناد، وكان مالك لا يرضى حارثة، ورضيه أقرانه من الأئمة. اهـ.

قلت: ذكر الحاكم في «المستدرك» (١/٢٣٥) عند سياقه لبعض طرق الطرق والألفاظ لهذا الحديث؛ قال: وكان مالك بن أنس رحمه الله لا يرضى حارثة بن محمد، وقد رضيه أقرانه من الأئمة. اهـ.

وابن أبي الرِّجال هذا قد كثر الكلام فيه من الأئمة، قال الدوري عن ابن معين: ليس بثقة. وقال في موضع آخر: ضعيف. وقال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن عدي: بعض ما يرويه منكر، لا يتابع عليه. وقال أيضاً: بلغني أن أحمد نظر في جامع إسحاق، فإذا أول حديث فيه حديث حارثة في استفتاح الصلاة؛ فقال: منكرٌ جدّاً. اهـ. من «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٥/٣١٤ و٣١٥)، وبهذا يتبين عدم ثبوته من هذا الطريق.

وكذا ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه؛ فقد رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/١٠٨ برقم ١٠١١٧)، وكذا رواه في «الدعاء» (٢/١٠٣٣، برقم ٥٠٤، في باب جامع القول عند افتتاح الصلاة بعد التكبير، وقبل القراءة، وباب من ذلك)، رواه من طريق: محمد بن عبدالله الحضرمي، ثنا أبو كريب، ثنا فردوس الأشعري، عن مسعود بن سليمان؛ قال: سمعت الحكم يحدث عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه به. وفي الدعاء أسقط الحكم، وعنعنه عن أبي الأحوص، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/١٠٩): وفيه مسعود بن سليمان. قال أبو حاتم: مجهول. =

. . . .

= وكـــذا رواه الـــطبـــراني أيضـــاً عن نفس الصحـابي في «الكبير» برقم (١٠٢٨٠): عن أحمـد المكي، ثنـا ثوبـان بن سعيد بن عروبة، ثنا علي بن عابس، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه به. وقال الهيثمي في نفس الموضع السابق بعد أن عزاه: وأبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود.

وغير ذٰلك مما يطول المقام جدّاً بذكره؛ فالحديث مشهور لغة عند الرواة.

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها عند أبي داود في «السنن» برقم (٧٧٦، في كتـاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك)، وكذا الدارقطني في «السنن» (١/ ٢٩٩، في كتاب الصلاة، باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير)، حيث رواه من طريقـه ـ وكـــذا هو عنـــد الحـاكم في «المستـدرك» (١/ ٢٣٥، كتـاب الصلاة، باب استفتاح الصلاة)، وكذا هو عند البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٣٣ ـ ٣٤، من كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة بعد التكبير)، رووه جميعاً من طرق عن طَلْق بن غنام، ثنا عبدالسلام بن حرب الملائي، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة رضي الله عنها به. ثم قال أبو داود: وهٰذا الحديث ليس بالمشهور عن عبدالسلام بن حرب، لم يروه إلا طلق ابن غنام.

وقـد روى قصة الصلاة عن بديل جماعة لم يذكروا فيه شيئاً من هٰذا؛ فنقول: ذكر البيهقي بعدما روى الحديث؛ قال: رُوي من وجه آخر ضعيف عن عائشـة رضي الله عنهـا. اهـ. وهو الطريق السابق ـ طريق حارثة ـ. وقال ابن التركماني رحمه الله معلقاً: وكونه ليس بمشهور عن عبدالسلام لا يقدح فيه إذا كان راويه عنه ثقة، وكون الجماعة لم يذكروا عن «بديل» شيئاً من هٰذا، قد عُرِف ما يقـولـه أهـل الفقـه والأصـول فيه، ويحتمـل أن يقـال: هما حديثان لتباعد ألفاظهما. اهـ. =

. . . .

= وعلى كل حال؛ قال الحاكم بعد روايته للإسناد ومتنه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وحديث قصة الصلاة هٰذا هو حديث: «كان يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـ ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾»، وزاد العلامة الألباني متع الله به على طاعته قوله في «الإرواء» (٢/٥١): وهٰذا الإعلال ليس بشيء عندنا لأنها زيادة من ثقة وهي مقبولة. اهـ.

وقال العقيلي بعد روايته للحديث بالإسناد الأول ـ المعلول بحارثة ـ؛ قال: رُوي من غير هٰذا الوجه بأسانيد جياد، نقول: وله طريق رابعة عند الدارقطني في «السنن» (١/٣٠٠، في كتاب الصلاة، باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير)، رواه من طريق: محمد بن صاعد ـ شيخه ـ، نا الحسين العجلي، ثنا محمد بن الصلت، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن حميد ـ هو الطويل ـ، عن أنس رضي الله تعالى عنه؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة كبر، ثم رفع يديه حتى يحاذي إبهاميه أذنيه، ثم يقول (فذكره).

ذكر العلامة الزيلعي رحمه الله في سِفْرِه العظيم الماتع «نصب الراية» (١/٣٢٠) قال الدارقطني بعدما روى الحديث: إسناده كلهم ثقات. انتهى. والحسين الأسود العجلي، قال المروزي: سئل عنه أحمد بن حنبل؛ فقال: لا أعرفه. وقال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن عدي: يسرق الحديث، وأحاديثه لا يتابع عليها. وقال الأزدي: ضعيف جدّاً، يتكلمون في حديثه. . . وقال ابن أبي حاتم في «علله» (١/١٣٥): سمعت أبي. . . وذكر حديثاً رواه محمد بن الصلت، عن أبي خالد الأحمر، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه. وذكر الحديث السابق؛ فقال: هٰذا حديث كذب لا أصل له، ومحمد بن الصلت لا بأس به، كتبت عنه. انتهى كلام الزيلعي ونقله من «نصب الراية».

وقد ذكر ابن أبي حاتم رحمه الله في «الجرح والتعديل» (٧/٢٨٨ =

. . . .

= و٢٨٩)؛ قال عن محمد بن تمير: محمد بن الصلت كان ثقة. وسئل عنه أبو زرعة؛ فقال: ثقة، وسُئل أبي عنه؛ فقال: كوفي ثقة. وللحديث أصلٌ وليس بكذبٍ والحمد لله كما سترى.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «تلخيص الحبير» (١/٢٤٥) قال: وفيه الحسين بن علي الأسود، وفيه مقال. وقد قال رحمه الله في «التقريب» جامعاً وملخِّصاً: صدوق يخطىء كثيراً. اهـ. مع أن عبارات الجرح فيه قوية.

ورواه أيضاً عن أنس الطبراني في «الدعاء» برقم (٥٠٦، في ٢/١٠٣٤) من طريق: محمود بن محمد الواسطي، ثنا زكريا بن يحيى رحمويه، ثنا الفضل ابن موسى السيناتي ـ والشيباني تحريف كما بينه الألباني في «الإرواء»، ويتبين من النظر أيضاً ـ، عن حُميد الطويل به.

قال الألباني حفظه الله: هٰذا إسناد صحيح، وقد صَرَّح من قَبْلُ بذٰلك الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث قال في «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» (١/١٢٩): وهٰذه متابعة جيدة لرواية أبي خالد الأحمر، والله أعلم. اهـ.

وكذا رواه الطبراني أيضاً في «الدعاء» برقم (٥٠٥)، وكذا في «الأوسط» (١ / ١٧١ـ ب) كما عزاه محقق كتاب «الدعاء» من طريق أنس بن مسلم الخولاني، ثنا أبو الأصبغ عبدالعزيز بن يحيى، ثنا مخلد بن يزيد، عن عائذ بن شريح، عن أنسٍ رضي الله عنه به.

قلت: مقولة ابن حجر السابقة إنما قالها بعد ذكره لهٰذا الإسناد والذي قبله ـ أي: إسنادي الطبراني ـ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/١١٠): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله موثقون. قال محقق «الدعاء»: عائذ بن شريح؛ لم أقف على من وثقه.

نقول: نعم، حيث ذكره الحافظ ابن أبي حاتم رحمه الله في «الجرح والتعديل» (٧/١٦)، وقال: في حديثه مَنْعَة (أي: يتصرف فيه)، ولا يأتي به على =

وقيل: زيدت الميم للتعظيم والتفخيم؛ كزيادتها في: زُرْقُمٌ لشديد الزُّرقة، وابْنُم في الابن.

قال ابن القيم: وهٰذا القول صحيح، لٰكنه يحتاج إلى تتمة، وقائله لَحَظَ معنىً صحيحاً لا بد عن بيانه، وهو أن الميم تدل على الجمع وتقتضيه، ومَخْرَجُها يقتضي ذٰلك، وهٰذا مُطَّرِد على أصلِ مَنْ أَثْبَتَ المناسبة بين اللفظ والمعنى؛ كما هو مذهب أساطين العربية[18]، وعَقَدَ له أبو الفتح ابن جِنِّي[19] باباً في «الخصائص»[20]، وذكره عن

= وجهه. وهٰذا من ألفاظ التجريح، ذكر المعلِّمي رحمه الله في سفره الفذ «التنكيل»، وقد فسر الذهبي ذٰلك في «الميزان» (٢/٣٦٣) عند ذكره للرجل بالضعف. وقال أيضاً: قال أبو الطاهر: ليس بشيء. وكذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «لسان الميزان» (٣/٢٢٦).

والعجب أن الحافظ العلامة الذهبي رحمه الله ذكر في كتابه «المغني في الضعفاء» (١/٣٢٤) قوله: لم أر فيه تضعيفاً ولا توثيقاً. وذكر قول الحافظ الرازي السابق، ثم قال: وما هو بحجةٍ، قال العلامة الألباني حفظه الله في «الإرواء» (٢/٥٣): فللحديث أصل أصيل عن أنس رضي الله عنه.

(١٨) يقال: أساطين العلم والأدب: الثقات المبرِّزون فيه. «المعجم الوسيط» (ص ١٨).

(١٩) هو أبو الفتح عثمان بن جنِّي الموصلي، إمام العربية، وصاحب التصانيف، لزم أبا علي الفارسي دهراً، وسافر معه حتى برع، وصنَّف، وتخرَّج به الكبار، كان أبوه مملوكاً روميّاً لسليمان بن فهد الموصلي، وفي ذٰلك قال ابن جني:

فإن أُصْبِحْ بلا نسبٍ فعلمي في الورى نسبي =

التناسب بين حروف اللفظ ومعناه

سيبويه، واستدل بأنواع؛ منها: تناسب اللفظ والمعنى، ثم قال: ولقد مكثتُ بُرْهَةً يَرِدُ عليَّ اللفظ لا أعلم موضوعَه، فآخذ معناه من قوة لفظه ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى، ثم أكشفه، فأجده كما فهمتُهُ أو قريباً منه.

مطلب

قال الإمام ابن القيم[1]: فحكيتُ لشيخ الإسلام (يعني: شيخه الإمام ابن تيمية طيب الله ثراه)، فقال: وأنا كثيراً ما يجري لي ذلك، ثم ذكر لي فصلاً عظيمَ النَّفْعِ في التناسب بين اللفظ والمعنى، ومناسبة الحركات لمعنى اللفظ، وأنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى، والفتحة الخفيفة للمعنى الخفيف، والكسر المتوسط للمتوسط، فيقولون: عز يعَز: إذا صلب، وأرض عزيزة: صلبة، ويقولون: عز يعِز بالكسر: إذا امتنع، والممتنع فوق الصُّلب؛ فقد يكون الشيء صَلْباً ولا يمتنع على كاسره، ثم يقولون: عزه يَعُزُّه: إذا غلبه؛ قال تعالى في قصة داود عليه السلام: ﴿وَعَزَّنِي

= إلى آخر الأبيات التي ذكرها صاحب «وفيات الأعيان» و«إنباه الرواة».

له كتاب «سر الصناعة» و«الخصائص» و«المقصور والممدود» و«إعراب الحماسة»، وله رحمه الله نظم جيد، وغيرها من المؤلَّفات، توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة للهجرة.

(٢٠) «الخصائص» (١/ ٢٦٥).

(١) والكلام ما زال من «جلاء الأفهام».

في الخِطاب﴾[٢]، والغلبة أقوى من الامتناع؛ إذ قد يكون الشيء ممتنعاً في أصله متحصناً عن عدوه، ولا يغلب غيره؛ فالغالب أقوى من الممتنع، (فأعطوه أقوى الحركات، والصَّلْبُ أُضعف من الممتنع)[٣]، فأعطوه أضعف الحركات، والممتنع والمتوسط بين المرتبتين، فأعطوه الحركة الوسطى... إلى ما لا يُحْصى عَدّاً.

والحاصل أن الميم حرف شفهي، يَجْمَعُ الناطق به شفتيه[٤]، فوضعته العرب عَلَماً على الجمع، فقالوا للواحد، فإذا جاوزوه إلى الجمع؛ قالوا: أنتم، وكذا هُوَ وَهُمْ، وضَرَبْتَ وضَرَبْتُمْ، وإياهُ وإياهُمْ، ونظائر ذلك.

وتأمل: لَمَّ الشيء يَلُمُّهُ بمعنى: جَمَعَهُ، ومنه: لَمَّ اللهُ شَعْثَهُ؛ أي: جمع ما تَفَرَّقَ من أموره، ومنه: دارٌ لَمُومَةٌ؛ أي: تلم الناس وتجمعهم، ومنه: بَدْرُ التَمِّ: إذا كَمُلَ، والتَّوْأَمُ للولدين المجتمعين في بطن، ومنه: الأم، وأم الشيء أصله الذي تفرع منه؛ فهو الجامع له، وبه سميت مكة: أم القرى، والفاتحة: أم القرآن، واللوح المحفوظ: أم الكتاب، وفي «الصحاح»: أم الشيء أصله[٥]، وأم مثواك: صاحبة منزلك؛ يعني: التي تأوي إليها وتجتمع معها، وأم الدماغ: الجلدة

---

(٢) صٓ: ٢٣.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ز).

(٤) في (ك): سفته! ولعله سقط قلم وسهو؛ حيث إن المعنى يقتضي التثنية.

(٥) أي: «مختار الصحاح» للجوهري (٥/١٨٦٣، مادة: أَمَمَ).

التي تجمع الدماغ، ويقال لها: أم الرأس، والأُمَّةُ: الجماعة المتساوية في الخِلْقَة والزمان؛ قال تعالى: ﴿وما مِنْ دابَّةٍ في الأرْضِ ولا طائِرٍ يَطيرُ بِجَناحَيْهِ إلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ. . .﴾[٦]، وفي الحديث المرفوع: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم؛ لأمرت بقتلها»[٧].

فإذا عُلِمَ هٰذا من شأن الميم؛ فُهِمَ لُحُوقُها في آخر هٰذا الاسم الـذي يُسْـأَلُ الله سبحـانه به في كل حاجة وكل حال؛ إيذاناً بجمع أسمائه وصفاته؛ فالسائل إذا قال: اللهم! إني أسألك. كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا بأسمائه كلها.

---

(٦) الأنعام: ٣٨.

(٧) لفظ الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها؛ فاقتلوا منها كل أسود بهيم». رواه أبو داود في «السنن» برقم (٢٨٤٥، في كتاب الصيد، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره)، ورواه الترمذي في «السنن» برقم (١٤٨٦، في كتاب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب إلا كلب صيد أو زرع)، ورواه ابن ماجه في «السنن» برقم (٣٢٠٥، في كتاب الصيد، باب قتل الكلاب إلا كلب صيد أو زرع)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٥٦ و٥٧)، والدارمي برقم (٢٠٠٨، في كتاب الصيد، باب في قتل الكلاب)، جميعهم من طُرُق عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عبدالله بن مُغَفَّل رضي الله تعالى عنه به، وقد عنعن الحسن رحمه الله في هٰذا الإسناد.

ورواه أبو يعلى (٤/ ٣٣٠ و٣٣١)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٤٩، برقم ١١٩٧٩)، وفي «الأوسط» (٣/ ٣٤٨)، كلاهـا من طريق عبـد الـرحمٰن العـلاَّف؛ قال: حدثنا عبدالملك بن الخطاب بن عبيدالله بن أبي بكرة، عن عمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه بزيادة: =

ولهٰذا قال الحسن(٨): اللهم: مجمع الدعاء.

وقال أبو رجاء العُطَاردي(٩): إن الميم في قوله: «اللهم»: فيها تسعة وتسعون اسماً من أسمائه.

= «... فاقتلوا المُعَيَّنة من الكلاب؛ فإنها الملعونة من الجن».

قال الهيثمي في «المجمع» (٤/٤٣): وإسناده حسن. وقد وجدت الحديث بعدة طرق وروايات في «صحيح ابن حبان»، ومن ضمنها حديث رقم (٥٦٥٦، في ١٢/٤٧١ و٤٧٢ ـ التقاسيم والأنواع)، وقد رواه باللفظ السابق؛ قال رحمه الله: أخبرنا أبو خليفة، حدثنا محمد بن سلام الجمحي، حدثنا سعيد ابن عبيدٍ؛ قال: كنا في جنازة أبي سفيان بن العلاء ومعنا شعبة، فلما دفن؛ قال شعبة: حدثني هٰذا ـ وأشار إلى قبر أبي سفيان بن العلاء ـ قال: قلت للحسن ـ أي: البصري حيث رواه ابن حبان من طريقه ـ: من حدثك أن النبي ﷺ قال (وذكر الحديث بلفظه)؟ فقال: عبدالله بن المغفل، والله الذي لا إلٰه إلا الله؛ حدثني في هٰذا المسجد (وأومأ إلى مسجد الجامع). ورجال الإسناد ثقات منصوص عليهم، ورواه بهٰذه الطريق الإمام أحمد (٥/٥٤) بنحو إسناده وبلفظه.

(٨) هو الحسن بن يَسَار، البصري، العَلَمُ، المشهور، والمتوفى سنة عشرٍ ومئة رحمه الله تعالى.

(٩) الإمام، شيخ الإسلام، عِمْران بن مِلْحان، التميمي، البصريّ، أبو رجاء العُطَاردي، أسلمَ بعد فتح مكة، ولم يَر النبي ﷺ، وقيل: إنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، كان خيِّراً تلَّاءً لكتاب الله عز وجل، تلقن القرآن على أبي موسى الأشعري ثم عَرَضه على ابن عباس، وهو أسن من ابن عباس، وهو ممن أدركَ الجاهلية، وكان رحمه الله عابداً، كثير الصلاة وتلاوة القرآن، كان يقول: ما آسى على شيء من الدنيا؛ إلا أن أُعَفِّر في التراب وجهي كل يوم خمس مرات. توفي رضي الله عنه سنة سبعٍ ومئة للهجرة.

وقال النضر بن شميل(١٠): من قال: اللهم؛ فقد دعا الله بجميع أسمائه.

وقد وَجَّه طائفة هٰذا القول بأن الميم هنا بمنزلة الواو، والدالة على الجمع من مخرجها؛ فكأن الداعي بها يقول: يا الله! الذي اجتمعت له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

قال: ولذٰلك شُدِّدَتْ؛ لتكون عوضاً عن علامتي الجمع، وهي الواو والنون في مسلمون ونحوه، وعلى الطريقة الأولى نفس الميم دالة على الجمع؛ فلا تحتاج إلى هٰذا(١١).

وقد عَلِمْتَ أن المذهب المنصوص ما عليه الخليل وسيبويه من البصريين.

---

(١٠) النَّضِرُ بن شُمَيل بن خَرَشَة بن زيد، العلاَّمة، الإمام، الحافظ، أبو الحسن المازني، البصري، النَّحْوي، قال أبو حاتم: ثقة، صاحب سنَّة، من فصحاء الناس وعلمائهم بالأدب وأيام الناس. توفي سنة ثلاث ومئتين للهجرة.

(١١) إلى هنا انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى من «جلاء الأفهام» (ص ٦٤ ـ ٧٢) بتصرُّف يسير جدّاً من المؤلف رحمه الله، وقال رحمه الله في أثناء كلامه على هٰذه المسألة اللُّغوية: ومثل هٰذه المعاني يستدعي لطافة ذهن ورِقَّة طبعٍ، ولا تتأتَّى مع غِلَظ القلوبِ، والرضى بأوائل مسائل النحو والتصريف، دون تأملها وتدبرها، والنظر إلى حكمة الواضع، ومطالعة ما في هٰذه اللغة الباهرة من الأسرار التي تدق على أكثر العقول، وهٰذا باب يُنبِّهُ الفاضل على ما وراءه ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾. انتهى كلامه رحمه الله وغفر له.

تنبيهان:

الأول: قد تُحْذَفُ (الـ)؛ كقوله: لَاهُمَّ إن كنت قبلت حجتي، وهو كثير في الشعر؛ كقوله:

لاهُــمَّ لَوْلا أَنْــتَ ما اهْــتَــدَيْنــا
ولا تَصَــدَّقْــنــا ولا صَلَّيْنــا(١٢)

---

(١٢) هٰذا البيت من مقولة الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة رضي الله تعالى عنه؛ كما روى ذٰلك الإمام أبو عبدالله البخاري رحمه الله في «صحيحه» في غير موضع، قال رحمه الله في (كتاب الجهاد والسِّير، باب الرَّجز في الحَرْب ورفع الصوت في حفر الخَنْدَق. . .): حدثنا مسدَّد، حدثنا أبو الأحوص، حدثنا أبو إسحاق، عن البَرَاء رضي الله عنه؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ يومَ الخندق، وهــو ينقل التراب حتى وارى التراب شَعْر صدره ـ وكان رجلاً كثير الشعر ـ وهو يرتجز بِرَجَز عبدالله:

الـلـهــمَّ لولا أنــت ما اهــتــديـنــا ... ولا تصــدقــنــا ولا صلينــا
فأنــزلــنْ سكــيـنــةً علينــا ... وثـبِّــت الأقــدام إنْ لاقــينــا
إنَّ الأعــدا قد بغــوا علينــا ... إذا أرادوا فتــنــة أبــينــا

ورواه في (كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب) من طريق: مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه به. وفي الآخر كرَّر ﷺ: أبَيْنا أَبَيْنا.

وورد من قول عامر بن الأكوع رضي الله عنه، قال البخاري رحمه الله تعالى في (كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٧/٥٣٠): حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عُبيد، عن سَلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فَسِرْنا ليلاً؛ فقال رجل من =

. . . .

= القوم لعامر: يا عامر! ألا تسمعنا من هُنياتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً؛ فَنَزَل يحدو بالقوم ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما اتقينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا
وألْقِيَنْ سكينة علينا إنا إذا صِيح بنا أتينا
وبالصياح عوَّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: من السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع. قال: «يرحمه الله». قال رجل من القوم: وجبت يا نبيَّ الله، لولا أمْتَعْتَنا به . . . إلخ.

قلت: وعامر بن الأكوع ـ كما ذكر الحافظ ابن حجر وغيره ـ هو عم سلمة ابن الأكوع، وقال الحافظ أيضاً: وعند ابن إسحاق منْ حديث نصر بن دهر الأسلمي أنه سمع رسول الله ﷺ يأمر عامر بن الأكوع بالارتجاز. . . الحديث اهـ. فظهر ورود هٰذه الأبيات عن عامر بن الأكوع وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهما، سيما وقد قال الحافظ رحمه الله: فيُحتَمل أن يكون هو ـ أي: ابن رواحة ـ وعامر تواردا على ما تواردا منه بدليل ما ورد لكلٍّ منهما مما ليس عند الآخر، أو استعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة. انتهى من «فتح الباري».

ومعنى هُنياتك: وهي جمع هُنيَّة تصغير هنَّة كما ذكر أهل اللغة؛ أي: أخبارك، وأمورك، وأشعارك، ويُكنى بها عن كل شيء لا يُعرف اسمه، وقد وردت روايات كثيرة بشأن هٰذه الأبيات في كتب السِّيَر وكتب السنن أعرضتُ عن ذكرها خشية الإطالة، ومن باب نافلة القول نورد مقولة ابن منظور في «لسان العرب» (باب: لَهُمَّ)، وقول العجَّاج:

لا همَّ لا أدري وأنت الداري كل امرىء منك على مقدار

يريد: اللَّهُمَّ، والميم المشددة في آخره عوض من ياء النداء، لأن معناه: يا ألله. انتهى.

الثاني: قال في «النهاية»: تستعمل (اللهم) على ثلاثة أنحاء:

أحدها: النداء المَحْض.

ثانيها: أن يَذْكُرَهُ المجيب تمكيناً للجواب في نَفْسِ السامع؛ كأن يقول لك القائل: أزيد قائم؟ فتقول: اللهم نعم، أو: اللهم لا.

ثالثها: أن تُسْتَعْمَلَ دليلاً على النُّدْرة وقلة وقوع المذكور؛ نحو قوله: أنا أزورك، اللهم إذا لم تَدْعُنِي. ألا ترى أن وقوع الزيارة مقروناً بعدم الدعاء قليل. انتهى[١٣].

* «**أنت**»: ضمير خطاب منفصل مبني، وهو أَعْرَفُ المَعَارِف بعد اسم الجلالة تعالى وتقدس.

* «**ربي**»: يا الله، لا غيرك، واسْتُفِيدَ الحصرُ من تعريف الطَّرَفَيْنِ. **معنى: (أنت ربي)**

والرب من أسمائه تعالى، وهو في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وُصِفَ بهِ للمبالغة، وقيل: هو من رَبَّهُ يَرُبُّهُ فهو رَبٌّ؛ كَنَمَّ يَنُمُّ فهو نَمٌّ، ثم سُمِّيَ بِهِ المَلِكُ؛ لأنه يحفظ ما يَمْلِكُهُ ويُرَبِّيه، ولا يُطْلَقُ على غيره تعالى إلا مقيداً؛ كقوله: «ارجع إلى ربك»[١٤].

---

(١٣) لم نجده مع البحث في جميع كتب الغريب الموسومة بـ «النهاية» المطبوعة ككتاب ابن الأثير، والحربي، ولكن انظر: «اللسان» (مادة: أَلَهَ، ١/١١٥).

(١٤) «المفردات في غريب القرآن» (ص ١٨٤)، والآية في سورة يوسف آية (٥٠).

قال في «المطالع»[15]: أصل الرب المالك، ومنه رب العالمين، وقيل: القائم بأمورهم والمصلح لهم، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن يَرُبّني بنو عمي - بضم الراء - أَحَبُّ إلي من أن يَرُبّني غيرهم»[16]؛ أي: يَملِكُني ويدبر أمري ويَصِيروا لي أرباباً؛ أي: سادة وملوكاً.

معنى: لا إله إلا أنت

* «**لا إلٰه**»: معبود بحق في الوجود «**إلا أنت**» يا الله؛ لأن كل معبود سواه باطل، وكل إلٰه غيره جل شأنه عاطل.

والإلٰه: كفعال بمعنى مألوه، وكل مُتَّخَذٍ معبوداً إلٰه عند متَّخِذِه: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ**﴾[17].

والتألُّه: التعبُّد والتنسُّك، والتأليه: التعبيد، وأَلِهَ: كَفَرِحَ: تَحَيَّر[18]، وسُمِّيَ به المعبود بحق؛ لأن الخلقَ تحيَّروا في كُنْهِ ذاته

(١٥) لعله «مطالع الأنوار» لابن قرقول، لم يطبع.

(١٦) هٰذا الأثر لم نجد من خرجه، ولٰكن انظر ابن منظور في «لسان العرب» (مادة: رَبَبَ)، قال: والمقصود ببني عمه رضي الله عنه بني أمية؛ فإنهم أقرب نسباً من ابن الزبير، والأثر بين ابن عباس وابن الزبير. وقال ابن منظور: والعرب تقول: لأن يَرُبُّني فلانٌ، أحب إلي من أن يَرُبُّني فلان. اهـ. والشاهد: قوله «يَرُبُّني».

وللفائدة انظر: «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري» للزيلعي (١/ ٢٥)؛ ففيه كلام نفيس عن هٰذا الأثر، حيث رواه عن صفوان بن أمية من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن أبيه أيضاً.

(١٧) الجاثية: ٢٣.

(١٨) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني (ص ٢١).

سبحانه وتعالى.

وكَفُّ عَنَان اللسان عن الكلام في اشتقاقه واشتقاق الاسم الكريم الذي هو الجلالة أليق بالأدب.

تنبيه: في قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم! انت ربي لا إلٰه إلا أنت»: إثبات لتوحيد الربوبية وتوحيد الإلٰهية؛ لأن قوله: «اللهم! أنت ربي»؛ أي: لا غيرك؛ فليس لي رب ولا خالق سواك: توحيد الربوبية، ولهٰذا أعْقَبَهُ بقوله: «خلقتني...» إلخ، وقوله: «لا إلٰه إلا أنت»: توحيدٌ للإلٰهيَّة؛ أي: ليس لي معبود ولا مألوه إلا أنت.

مطلب
في الكلام على أنواع التوحيد

والكلام في التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات من كونه تعالى حيّاً، موجوداً، عالماً بجميع المعلومات، متكلماً، سميعاً، بصيراً، قادراً، مريداً... إلخ ما ورد في الكتاب والسنة من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، والحديث يدل على ثبوت الصفات بطريق الالتزام[1]؛ لأن الإلٰه المعبود سبحانه

---

(١) أي: إن جميع الصفات الواردة في الحديث بمعانيها ومدلولاتها ومقتضياتها تلزم دلالة على صفات إلٰه عظيم، حيث الكمال ونفي النقص والعيب عنه جل وعلا وأنها (أي: هٰذه الصفات) لازمة للكمال وللألوهية، لائقة بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى.

وكذٰلك أيضاً دل الحديث على ثبوت الصفات على سبيل المطابقة، حيث =

لا يكون إلا كاملاً حيّاً قادراً، والمتعطل عن الصفات الكمالية في غاية النقص؛ إذ هو بالجماد أليق، تعالى الله وتنزه عن كل نقص وعيب.

الثاني: توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال؛ فهٰذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام، وطائفة من الصوفية(٢).

اعتراف جميع الخلق بتوحيد الربوبية حتى القائلين بالأصلين

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ـ أعلى الله مناره، وأبقى على ممر الأيام آثاره ـ في كتابه «شرح عقيدة الأصبهاني»(٣): وهٰذا

= دلت الصفات الواردة تماماً على الله عز وجل بكمالها ونفي النقص والعيب عنها، جل الله عن ذٰلك.

قال العلامة الشيخ ابن باز متع الله به على طاعته في «تعليقاته على العقيدة الواسطية»: إذ إن دلالة الشيء على كل معناه يسمى مطابقة، ودلالته على بعضه يسمى تضمناً، وعلى ما يلزم من جهة الخارج يسمى التزاماً. انتهى كلامه حفظه الله.

(٢) وقد أطنب العلماءُ الكلامَ على هٰذا الموضوع، تجده في «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه» (ج ٢)، و«الطحاوية» شرح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله، وغيرها لا يحصى.

(٣) هو العلاَّمة محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني، أبو عبدالله، شمس الدين الأصفهاني، ويُسمى الأصبهاني، من فقهاء الشافعية بأصبهان، ولد وتعلم بها، وتنقل بين بغداد ثم دمشق؛ حيث ناظر الفقهاء واشتهَرت فضائله، ثم إلى القاهرة؛ فتوفي بها رحمه الله سنة ثمان وثمانين وست مئة للهجرة، له كتاب «القواعد» في أصول الفقه، وهو من أنفس مؤلفاته، وله =

التوحيد ـ يعني: توحيد الربوبية ـ لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، ولم يُعْرَفْ عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالَم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال.

قال: فإن الثَّنَويَّة[4] من المجوس[5] والمَانَويَّة[6] القائلين

= «العقيدة الأصفهانية» التي شرحها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وله «شرح المحصول» للرازي في أصول الفقه، وغيرها.

(٤) (الثنويَّة): عقيدة أُخذ اسمها منها، حيث إن أصحابها اعتقدوا أن النور والظلام قديمان أزليان، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، ونسبوا الصفات الأولى من هٰذه الأقسام للنور، والثانية للظُّلمة؟! قالوا بتساويهما في الأزل والقِدَم! واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيِّز والمكان والأجناسِ والأبدان والأرواح، وقالوا أيضاً: إن النور حسّاس عالِم، والظلام جاهل أعمى، والنور يتحرك حركة متساوية، والظلام ذو حركة عجرفية، إلى آخر ما ذهبوا إليه من ضلالات لا نستنكرها من بني آدم إذا صارت طريقته مجانبة لطريقة السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم؛ إذ هم في هٰذه الحالة من الضلال، إذ الشيطان الرجيم أعاذنا الله منه يزيد سلطانه عليهم ويزيدهم ضلالاً وبعداً.

نسأل الله العافية والسلامة.

(٥) (المجوس): أخذوا ما أخذ منه الثنويَّة؛ فقالوا بأزل النور والظلام، واعتقدوا فيهما مثل ما اعتقد أصحاب الاثنين، إلا أنهم قالوا بحدوث الظلام وأنه حدث بعد النور، ثم دخلوا في الخلاف، وقالوا عن سبب حدوث الظلمة: هل أحدثها النور مع أن النور لا يحدث الشر ولو جزءً منه، زعموا؛ فكيف يُحدِث أصل الشر؟ وإن نَفَوا هٰذا القول؛ فإنهم مجبورون لأن يبحثوا عن خالق آخر للظلمة؛ فبهٰذا عرفنا منتهى التخبُّط والعقل المجرَّد من الدليل. =

. . . .

= ومسائل المجوس وضلالتهم تدور على نقطتين من نقاط التخبُّط والهمجية، وهما:

١ ـ بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

٢ ـ بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدءً، والخلاص معاداً.

(٦) (المانويَّة): وهم أتباع شخص يقال له: ماني بن فاتِك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وزعم هٰذا الضال المُضِل أن العالَم أيضاً مُركَّب من جزئين قديمين: النور والظلمة، وقال بامتزاجهما بالخبط والاتفاق، لا بالقصد والاختيار، وقالوا غير ذٰلك ـ أي: كبار القوم في هٰذه الطائفة ـ من الضلالات الكثيرة التي إذا اطلع عليها من له أدنى أثارة من علم؛ حمد الله تعالى على سلامة المعتقد وخلوصه من هٰذه الفتن، وقد فرض ماني المؤسس للطائفة على أصحابه العُشْرَ من الأموال كلها، والصلوات الأربع في اليوم والليلة إلخ. . واعتقاده في الشرائع والأنبياء أن أول مبعوث هو آدم عليه السلام ثم شيثاً بعده، ثم نوحاً، ثم إبراهيمَ، ثم بعث بالبدرة إلى أرض الهند، وزردشت إلى أرض فارس، والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب. . . إلخ، نسأل الله العافية والسلامة.

وكان من ضلاله أنه يقول بنبوة عيسى عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، مع العلم بأن المانويَّة لهم شبهة كتاب، أي مِن مَن قيل فيهم إنهم من أهل الكتاب المحقق غير المحرَّف، ولٰكن هٰذا غير ظاهر لمن درس هٰذه الفرقة بالتفصيل، ومع هٰذا؛ فالكفر ملة واحدة. . . إلى غير ذٰلك مما تجده مسطّراً في كتب أهل الكلام والمتفلسفة الضالين المضلِّين، وقد أفاد وأجاد في مناقشة هٰذه الضلالات شيخ الإسلام وعلَم الأعلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني قدس الله روحه في كتابه العظيم «بُغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة =

بالأصلين: النور والظُّلْمة، وأن العَالَم صَدر عنهما، مُتَّفِقونَ على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود عندهم، وأن الظلمة شِرِّيرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة: هل هي قديمة، أو مُحْدَثَة؟ فلم يسووا بين ربَّين متماثلين، وهم كفَّارٌ ضُلَّال.

فساد عقيدة النصارى والرد عليهم

قال: وأما النصارى القائلون بالتثليث؛ فإنهم لم يُثْبِتُوا للعالَمِ ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أن صانع العالَم واحد، ويقولون: باسم الأب والابن وروح القُدُسِ إلهٌ واحد، وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا يكتمون قولهم عن كثير من أصحابهم؛ فإنهم إذا فهموه؛ نَفَروا عنه بِفِطْرَةِ عقولهم، (وهذا دأب كل مُضِلٍّ ومُلْحِدٍ في كل شريعة ومِلَّةٍ بكَتْم الإلحاد والضلال عن أكثر أتباعه)(٧)؛ لأن المقالات الفاسدة في الهيئات قد فَطَر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام، ولهذا لا يكاد أحد من النصارى يُعَبِّرُ عن قولهم بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان منهم يتفقان على قول واحد؛ فإنهم

= والباطنية وأهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتحاد»! المسمَّى بـ «السبعينية» وغيرها.

انظر كتب الفِرَق والمِلَل ككتاب الشهرستاني، و« الفَرْق بين الفِرَق» وغيرها.

(٧) في «الأصبهانية»: وكذلك الجهمية تكتم حقيقة قولها عن أتباعهم، وكذلك الملاحدة يكتمون حقيقة قولهم عن أكثر أتباعهم، وقد وضع المؤلف رحمه الله ما بين القوسين بدلاً منه لشموله وعمومه.

يقـولـون: هو واحـد بالذات، ثلاثة بالأقنوم[8]، والأقانيم: تُفسَّر تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص، ويقولون: إن الأقانيم هي: أُقْنوم الأب، وأُقْنُوم الابن، وأُقْنومُ روح القُدُس[9]، وكلام النصارى

---

(٨) أوضحها شيخ الإسلام رحمه الله في الكلام الذي لم يذكره المؤلف رحمه الله بعد ذٰلك؛ حيث قال قدس الله روحه: ويفسرون الأب بالوجود، والابن يعبـرون عنـه بالكلمـة وبـالعلم، وروح القـدس بالحياة، وتـارة يقـولـون: هو القدرة . . .

ثم أطنب رحمه الله في توضيحها والكلام عليها.

(٩) الأقْنـوم ـ بضم الهمزة، وسكون القاف، وضم الموحدة ـ: بمعنى الأصـل، والأقـانيم الثـلاثـة عنـد النصـارى: الأب، والابن، وروح القُدُس. «المعجم الوسيط» (ص ٧٦٣).

والأقنوم لفظ يوناني، قال الجوهري في «الصحاح»: وأحسبها روميَّة.

والنصـارى فِرَق كثيرة؛ منهـا: الملكـانية أصحاب مَلْكا الذي ظهر في الروم، ويُسمَّون (الكاثوليك)، ومنها: النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرَّف في الأناجيل بحكم رأيه وعقله، وهم في بلاد ما بين النهرين، ومنها اليعقوبية أصحاب يعقوب البرادعي المتوفى سنة (٥٨٧م)، وأول من أطلق على هٰذه الفرقة هٰذا الاسم هو سعيد بن البطريق (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)، وهم منتشرون في مصر، وغير هٰذه من الفرق الأخرى.

والملكـانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم! وهٰذه الأقانيم الثلاثة شيء واحد وهو جوهر قديم، ومعناه: أب، وابن، وروح القدس؛ إلٰه واحد! قالوا: والابن اتحاد بإنسان مخلوق؛ فصار هو وما اتحد به مسيحـاً واحداً ـ تعالى الله عن ذٰلك ـ، وأن المسيح هو إلٰه العباد وربهم، ثم ساروا في كفرهم ـ والعياذ بالله ـ بهٰذا الطريق، حيث قالوا عن صفة هذا الاتحاد؛ =

. . . .

= فزعم بعضهم أنه وقع بين جوهر ناسوتي ـ أي: إنسي ـ، وجوهر لاهوتي ـ أي: إلٰهي ـ، فصـار مسيحاً واحداً، ولم يُخرج هٰذا الاتحاد كلاًّ منهما عن جوهريته وعنصره، وأن المسيح ـ زعموا ـ إلٰه معبود، وأنه ابن مريم الذي حملته وولدته، وأنه قُتل وصُلِب، وأن الصَّلب وقع من جهة الجوهر الناسوتي، وهو الذي حملت به مريم، وبقي الجـوهـر الـلاهوتي، وغير ذٰلك مما يطول المُقام بذكره تجده مبسوطاً في كتب المِلل والرد على عقيدة النصارى.

وأخيراً نورد كلاماً للشيخ العلاَّمة رحمة الله بن خليل الرحمٰن الكيرانوي العثماني الهندي، المتوفى سنة (١٣٠٨هـ ـ ١٨٩١م) رحمه الله تعالى وغفر لنا وله في كتابه العظيم «إظهار الحق» (٧١٨/٣)؛ قال رحمه الله: عقيدة التثليث ما كانت في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم إلى عهد موسى عليه السلام، وهَوَسات أهل التثليث بتمسكهم ببعض آيات سِفْر التكوين لا تتمُّ علينا؛ لأنها في الحقيقة تحريف لمعانيها، ويكون المعنى على تمسكهم من قَبيل كون المعنى في بطن الشاعر ـ أي: غير واضح ـ، ولا أدَّعي أنهم لا يتمسكون بزعمهم بآية من آيات السِّفْر المذكور، بل أدَّعي أنه لم يثبت بالنص كون هٰذه العقيدة لأمة من الأمم السالفة، وأمَّا أنها ليست بثابتة في الشريعة الموسوية وأمته؛ فغير محتاج إلى البيان لأن من طالع هٰذه التوراة المستعملة لا يخفى عليه هٰذا الأمر. . . فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة لإطاعة جميع الأنبياء إلى عهد عيسى عليه السلام خالية عن بيان هٰذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث، وأعجب منه أن عيسى عليه السلام أيضاً ما بيَّن هٰذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح، مثلاً بأن يقول: إن الله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القُدُس، وأُقنومُ الابن تعلق بجسمي بعلاقة فلانية، أو بعلاقة فهْمُها خارج عن إدراك عقولكم، فاعلموا أني أنا الله لا غير لأجل العلاقة المذكورة، أو يقول كلاماً آخر مثله في إفادة هٰذا المعنى صراحة، وليس في أيدي أهل التثليث من =

على غاية من الفَهـاهَـةِ[١٠] والبَلَادَةِ، وهم أُمَّةٌ ضالَّةٌ تائهة، حتى قال بعض الفضلاء: إنهم عارٌ على بني آدم، وقال آخر: لو اجتمع عشرةٌ من علماء النصارى؛ لافترقوا عن أحد عشر مذهباً، والحاصل أنهم لا يقولون: إن خالق الخلق ثلاثة، بل واحد بلا ذات، والله أعلم[١١].

عجز المتكلمين في باب توحيد الربوبية ولجوؤهم إلى دليل التمانع

والمقصـود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالَم صانعَيْن متماَثلين، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة تَعِبوا في بيان هٰذا المـطلوب وتقـريره، ومنهم من اعتـرف بالعجـز عن تقـريره هٰذا بالعقل، وزعم أنه يُتَلَقَّى من السمع.

والمشهور عن النُّظَّار[١٢] إثباته بدليل التمانع، وهو دليل صحيح

= أقواله إلا بعض الأقوال المتشابهة.

ثم شرح وأطال رحمه الله في بيان الرد على هٰؤلاء الضالين، ثم أتى في الرد عليهم بالأدلة العقلية أيضاً فأطال؛ فارجع إليه حتى لا يطول المُقام تجد العَجَب.

(١٠) (الفهـاهـة): بمعنى الجهـالة والسفاهة. «لسان العرب» (مادة: فَهَهَ)، وبمعنى العِيِّ والزلَّة. «المعجم الوسيط» (ص ٧٠٥).

(١١) من هنا يستأنف كلام شيخ الإسلام رحمه الله، حيث بدأ المؤلف رحمه الله يُبين خطأ هٰؤلاء القوم بإجمال، ولزيادة المنفعة المرجوَّة؛ انظر كلامه قدس الله روحـه في «الجـواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ، ولـزامـاً: (١/ ١٧٠ و١٧٤ و٢٣٥ و٢٤١ و٢/ ٩٠ و٣/ ١٩٦ و١٩٩).

(١٢) (النـظرية): قضية تُثْبَتُ ببرهان. وفي الفلسفة: طائفة من الآراء تُفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنيَّة. «المعجم الوسيط» (باب: نَظَرَ، ص ٩٣٢).

في نفسه، وهو أنه لو كان للعالَم صانعان متكافئان؛ فعند اختلافهما، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تسكينه، أو يريد إحياءه ويريد الآخر إماتته؛ فإما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يستلزم خُلُو الجسم عن الحركة والسكون، ويستلزم أيضاً عَجْزَ كل منهما، والعاجز لا يكون إلٰهاً، ولأن المانع من فِعْلِ أحدهما هو فعل الآخر؛ فلو امتنع مرادهما؛ لزم كون كل منهما مانعاً للآخر وممنوعاً للآخر، وذٰلك يستلزم كون كل منهما قادراً غير قادر؛ لأن كونه مانعاً يقتضي القدرة، وكونه ممنوعاً يقتضي العجز، وذٰلك تناقض، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر؛ كان هٰذا هو الإلٰه القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلٰهية.

وكثير من أهل النَّظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا...﴾(١٣)؛ لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلٰهية الذي بيَّنه القرآن ودعت إليه الرسل، وليس الأمر كذٰلك(١٤).

---

(١٣) الأنبياء: ٢٢.

من أول هٰذه الآية أسقط المؤلف رحمه الله ما يقارب صفحة من كلام شيخ الإسلام رحمه الله لما فيه من استطراد طويل.

وانظر للفائدة: كتاب الآمدي «غاية المرام» (ص ١٥١ ـ ١٥٢)، وكتابه «أبكار الأفكار» مخطوط (١/١٦٨ ـ ١٦٩).

(١٤) أي: كما قال تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً =

الثالث: توحيد الإلٰهية، وهٰذا هو المقصود الأعظم، وهو قطب ذٰلك التوحيد، وهو الذي دعت إليه الرسل، ونَزَلَتْ به الكتب، بل ما خَلَقَ الله سبحانه إلا لهٰذا التوحيد الذي هو توحيد الإلٰهية، المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله خالق السماوات والأرض؛ كما أخبر عنهم تعالى بقوله: **﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ﴾**(١٥)، وقوله: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤفَكُونَ﴾**(١٦).

غالب شرك الأمم من تعظيم القبور وتماثيل الصالحين

وهٰذا في القرآن كثير جدّاً، مما يُحْتَجُّ عليهم في إثبات توحيد الإلٰهية بما اعترفوا به من توحيد الربوبية؛ فإنهم لم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، تارة يعتقدون أنها تماثيل قوم صالحين من الأنبياء ونحوهم، ويتخذونهم شفعاء يتوسلون بهم إلى الله. =

= **لذهب كل إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾**.

والآية التي أوردها المؤلف رحمه الله تثبت دليل التمانع في الربوبية والإلٰهية، وأهل النظر والفلسفة أخذوها بأهوائهم وصرفوها لتوحيد الربوبية فقط، والآية هنا أعلاه في سورة الأنبياء آية (٢٢).

(١٥) لقمان: ٢٥.

(١٦) العنكبوت: ٦١.

وهٰذا كان أصل شرك العرب:

كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ: أن عَمْرو بن لُحَيٍّ بن قَمْعَةَ بن خِنْدَفَ[17] هو أولُ من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ونصب الأنصاب[18] حول البيت، وسَيَّبَ السوائب[19]، وأخبر النبيُّ ﷺ

---

(١٧) هو عمرو بن لُحَيٍّ بن حارثة الأزدي، من قحطان، وهو جد خزاعة وخِنْـدَف ـ بكسر الخاء، وسكون الموحدة، وفتح الدال ـ، وكنيته: أبو ثمامة، وكان والياً على حجابـة البيت الحرام؛ فعندما سافر إلى «مآب»، وكانت العرب تسميها «موآب» رأى أصنامهم وحالهم معها؛ فأتى بها إلى أرضه ووضعها حول الكعبة. ومن هنا استأنف رحمه الله كلام شيخ الإسلام وما زال النقل من «الأصبهانية».

وانـظر للفـائـدة المرجوة عن خبر عمرو بن لحيٍّ هٰذا: «الأصنام» لابن الكلبي (ص ٨ و٩ و٥٣)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/٧٨ ـ ٨٢)، وكذا «البداية والنهاية» (٢/١٨٤ ـ ١٩٣)، وكذا «فتح الباري» (٦/٥٤٧ ـ ٥٤٩)، و«إغاثة اللهفان» (٢/٢٠٣ و٣٠٧)، و«تلبيس إبليس» (ص ٥٣ ـ ٥٦).

(١٨) الأنصاب: الآلهة التي كانت تُعبد من الأحجار، وهي أيضاً بمعنى الأوثان والأنصاب. «لسان العرب» (مادة: نَصَبَ).

(١٩) (السوائب): جَمْع سائبة، قال ابن منظور: كان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفرٍ أو برىء؛ قال: ناقتي سائبة؛ أي: تُسَيَّبُ فلا يُنْتَفعُ بظهرها، ولا تُمنع من كلأ ولا تُركب، وقيل غير ذٰلك، والسائبة أصله من تَسَيُّب الدواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء حيث شاءت. «لسان العرب» (مادة: سَيَبَ).

والحديث رواه البخاري في «صحيحه» في عدَّة مواضع، منها ما رواه في (كتـاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، برقم ١٢١٢، ٣/٩٨ ـ فتح)، رواه ضمن حديث الكسوف وصفة صلاة الكسوف وخطبته بعد =

. . . .

= الصلاة من طريق ابن شهاب عن عروة؛ قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «خسفت الشمس» الحديث به، وقد عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢ / ٣٧١) لابن مردويه أيضاً.

وكذا رواه البخاري في (كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، برقم ٣٥٢١، ٦ / ٦٣٣ - فتح)، وكذا رواه مسلم في «صحيحه» في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء)، وكذا رواه النسائي في «الكبرى» في (كتاب التفسير، باب رقم ١٢٧، وحديث رقم ١١١٥٦)، وترجم على الباب بقوله تعالى: ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة**﴾ في (٦/٣٣٨) بنحو لفظ سابقيه، كلهم من طريق: ابن أبي صالح عن ابن شهاب؛ قال: قال ابن المسيَّب: إن البحيرة التي يمنع درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس، وأما السائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم؛ فلا يُحْمَلُ عليها شيء. وقال ابن المسيب: قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ (وذكر نص حديث عمرو بن عامر الخزاعي . . .)، ولم يرو النسائي إلا الحديث دون أثر ابن المسيَّب، وقد روى الأثر أيضاً دون الحديث ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٧ / ٩١ وكذلك ٩٢) من طريق عبدالرزاق؛ قال: أخبرنا معمر، عن الزهري به.

وكذا الطريق الأخرى عن الليث بن سعد؛ قال: ثني ابن الهاد عن ابن شهاب به. وكذا هو عند الإمام أحمد في «المسند» (٢ / ٢٧٥، وكذلك ٣٦٦) بدون أثر ابن المسيَّب، من طريقي ابن جرير الأولى والثانية أيضاً. وكذا رواه أيضاً ابن أبي عاصم في «الأوائل» برقم (٤٥) من طريق: ابن جرير، والإمام أحمد الثانية، قال رحمه الله: حدثنا ابن مسعود وعبيدالله بن فضالة؛ قالا: ثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث، حدثني ابن الهاد به (وذكره). ومن طريقه رواه أيضاً عبدالرزاق في «تفسيره» (١ / ١٩٧) في تفسير الآية من سورة المائدة من =

. . . .

= طريق ابن أبي عاصم السابقة وغيره.

وقد رواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٥/١٣٧ و١٣٨)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٤/٦٠٤ و٦٠٥)، كلاهما من طريق: عبيدالله بن عمرو، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أُبَيّ بن كعب، عن أبيه رضي الله عنه (وذكر الحديث بنحوه). والشاهد منه: «. . . ورأيت فيها ـ أي: عند وصفه ﷺ للنار ـ عمر بن لُحَي يجر قُصْبَهُ في النار، وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الخزاعي». فقال معبد: يا رسول الله! أتخشى عليَّ من شبهه؛ فإنه والدي؟ فقال: «لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام».

وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وخالفهما العلامة الألباني رعاه الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/٢٤٤) فقال: إنما هو حسن فقط للخلاف المعروف في ابن عقيل.

قلت: وقد أورد الشيخ له شاهداً، هو عند الحاكم في «المستدرك» (٤/٦٠٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/٧٠، برقم ١٧٥٨٩، في كتاب الأوائل، باب أول من فَعَلَ، ومن فَعَلَهُ)، وكذا رواه ابن جرير في «جامع البيان» (٧/٧٨)، وكذا رواه ابن أبي عاصم في «الأوائل»، جميعهم من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، واستدرك عليهما الألباني، وقال: وإنما هو حسن. وقد عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/٣٧١) لابن مردويه أيضاً.

وكذا رواه عبدالرزاق في «تفسيره» (١/١٩٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٧/٨٦)، رووه من طريق: هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم؛ أن رسول الله ﷺ (وذكر الحديث بنحوه).

ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (١/٤٤٦) من طريق: إبراهيم =

أنه رآه يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار[٢٠] (أي: أمعاؤه).

وكانت خُزاعة ولاة البيت الحرام قَبْلَ قريش، وكان عمرو هٰذا ـ فيما ذكره أهل السِّير ـ قد قَدِمَ أرض البَلْقَاء من الشام، فوجدهم يعبدون الأصنام، ويقولون: إنهم يطلبون بهم الرزق والنصر! فجلب الأصنام إلى مكة، فكان ذٰلك أول الشرك الذي غير به دين إبراهيم، وقد قال تعالى: ﴿**وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً . وقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً**﴾[٢١].

وقد ثبت في «صحيح البخاري» وكتب التفسير وقصص الأنبياء

= الهَجَري، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (فذكره أيضاً بنحوه).

وإبراهيم الهجري هٰذا: قال فيه الحافظ في «التقريب» ملخصاً حاله: لين الحديث، يرفع الموقوفات. وفيما ذكرنا من الطرق السابقة خير متابع لهٰذه الطريق، والحمد لله على إحسانه.

وكذا رواه أيضاً الإمام مسلم في «صحيحه» برقم (٩٠٤، في كتاب الكسوف، باب ما عُرِض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، ٢/٦٢٢) من طريق: إسماعيل بن عُلَيَّة، عن هشام الدستوائي؛ قال: حدثنا أبو الزبير، عن جابر بن عبدالله؛ قال. . . وذكر صلاته مع النبي عليه الصلاة والسلام الكسوف وصفة الصلاة، وحاله عليه الصلاة والسلام أثناء عرضه على الجنة والنار أعاذنا الله منها، وذكر الشاهد من الحديث أثناء عرضه على النار.

(٢٠) (قُصْبَهُ)؛ بضم القاف، وسكون الصاد، وفتح الموحدة، وقد تفتح الصاد، والقُصْب؛ أي: الأمعاء كما بين المؤلف رحمه الله.

(٢١) نوح: ٢٣ و٢٤.

التشابه بين شرك العرب وشرك قوم نوح

وغيرها عن ابن عباس وغيره من السلف؛ أن هٰذه أسماء قوم صالحين كانــوا في قوم نوح؛ فلمـا ماتـوا؛ عَكَفُـوا على قبـورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم، وأن هٰذه الأصنام بِعَيْنِها صارت إلى قبائل العرب، ذكرها(٢٢) ابن عباس رضي الله عنهما قَبِيلَةً قَبِيلَة(٢٣).

---

(٢٢) وردت كلمة ذكرها في (ز) مرتين، ولعله سهو وسقط قلم.

(٢٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما وُدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع؛ فكانت لهُـذَيل، وأمـا يغـوث؛ فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجُرْف عند سبأ، وأما يعـوق؛ فكانت لهمْدان، وأما نَسْر فكانت لِحمْيَر، لآل ذي الكِلاع أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلمـا هلكـوا؛ أوحى الشيطان إلى قومهم أن نصِّبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم. ففعلوا؛ فلم تُعْبد، حتى إذا هلك أولٰئك وتنسَّخ العلم عُبِدَت». رواه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم (٤٩٢٠، في كتاب التفسير، باب ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق)، وروى ـ أي البخـاري رحمـه الله ـ هٰذا الأثـر من طريق: إبراهيم بن موسى عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما (فذكره).

. . . قيل: إن عطاء هٰذا هو الخراساني، حيث قال الحافظ رحمه الله في «الفتح» (٨/٥٣٥): قال الإسماعيلي: أُخْبِرتُ عن علي بن المديني أنه ذكر عن تفسير «ابن جريج» كلاماً معناه أنه كان يقول: عن عطاء الخراساني، فطال على الورَّاق أن يكتب الخراساني في كل حديث فتركه؛ فرواه من روى على أنه عطاء ابن أبي رباح. انتهى.

وأخرجه عبدالرزاق كما تقدَّم ـ الكلام ما زال للحافظ ابن حجر ـ؛ فقال: الخراساني، وهٰذا مما اسْتُعْظِمَ على البخاري رحمه الله أنه يخفى عليه، ولٰكن =

فَتبيَّن أن شركَ العرب كان من جنس شركَ قوم نوح، وأن الأصنام أصلها تماثيل قوم صالحين.

وشـركُ النصـارى قريب من هٰذا الجنس؛ فإنهم يُصَوِّرونَ في كنائِسِهِم صور من يحسنون به الظن، ويتخذونه شفيعاً ووسيلة إلى الله تعالى.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي الهيَّاج الأسدي[٢٤]؛ قال: قال لي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أَبْعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أمرني: أن لا أَدَعَ قبراً مشرفاً إلا سوَّيتُهُ، ولا تمثالاً إلا طمستُهُ»[٢٥].

= إن الـذي قوي عنـدي أن هٰذا الحـديث بخصـوصه عند ابن جريج عن عطاء الخراساني، وعن عطاء بـن أبي رباح جميعاً، ولا يلزم من امتناع عطاء بن أبي رباح من التحديث بالتفسير أن لا يحدث بهٰذا الحديث في باب آخر من الأبواب، أو في المـذاكرة، وإلا؛ فكيف يخفى على البخاري ذٰلك مع تشدده في شرط الاتصال، واعتماده غالباً في العلل على ابن المديني شيخه؟ وهو الذي نبَّه على هٰذه القصة، ومما يؤيد ذٰلك أنه لم يكثر من تخريج هٰذه النسخة، وإنما ذكر بهٰذا الإسنـاد موضعين، هٰذا وآخر في النكاح، ولو كان خفي عليه ـ أي: البخاري رحمـه الله ـ لاستكثـر من إخراجها؛ لأن ظاهرها أنه على شرطه. انتهى كلام الحافظ رحمه الله تعالى وغفر له.

(٢٤) هو حيَّان بن حُصين، أبو الهياج الأسَدي الكوفي، تابعي ثقة، روى عن علي وعمار، قال ابن عبدالبر: كان كاتب عمار.

(٢٥) رواه الإمام مسلم في «صحيحه» (٣٦/٧ و٣٧ ـ نووي، في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبور والنهي عن البناء عليها والجلوس عليها)، وأبو =

وفي «الصحيحين»؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»؛ يُحذِّر ما فعلوا. قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذٰلك؛ أُبْرِزَ قبره، ولٰكن كَره أن يُتخذ مسجداً(٢٦).

= داود في «السنن» برقم (٣٢١٨، في كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر)، والنسائي في «المجتبى» برقم (٢٠٣١، في تسوية القبور إذا رُفعت)، والترمذي في «الجامع» برقم (١٠٤٩، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في تسوية القبور)، والإمام أحمد في «المسند» (١/٩٦ و١٢٩)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١/٣٦٩)، وقال: صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وإنما ذكرتُ تصحيح الحاكم له؛ لأن الرواة للحديث السابق ذِكْرُهُم رووه من طريق: سفيان ـ هو الثوري ـ عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي الهياج الأسدي به. وفي «المستدرك» رواه بهٰذا الإسناد وبإسناد آخر سقط منه أبو وائل فصار الانقطاع، وقال الحاكم بعد ما ذكر تصحيحه: وقد صح سماع أبي وائل من علي رضي الله عنه. وكذا ـ بالانقطاع ـ هو موجود عند أبي يعلى في «مسنده» (١/٢٨٥)، وفيه زيادة على الانقطاع عبدالرحمٰن بن عتبة، وقد ضعفه الحافظ وذكر اختلاطه، والله المستعان، وقال الترمذي بعدما روى الحديث: قال الشافعي رحمه الله: أكره أن يُرفع القبر إلا بقدر ما يعرف أنه قبر؛ لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه.

(٢٦) بعد هٰذا الحديث أسقط المؤلف رحمه الله ما يقارب صفحة أيضاً من كلام شيخ الإسلام رحمه الله، ثم استأنف من قوله: ومن أسباب الشرك. . .

والحديث رواه البخاري في «صحيحه» برقم (١٣٣٠، في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور)، ورواه مسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المسجد على القبور)، وكذٰلك الإمام أحمد (٦/٨٠) من =

ومن أسباب الشرك: عبادة الكواكب، واتخاذ ما يُظَنُّ أنه مناسب للكواكب من طبائِعها وغير ذٰلك، وشرك قوم إبراهيم عليه السلام ـ فيما

= طريق: شيبان ـ هو ابن عبدالرحمٰن النحوي ـ، عن هلال بن أبي حميد، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها به.

ورواه مسلم في نفس الباب من طُرُق.

وكذا رواه الإمام أحمد (٦/ ١٢١ و٢٥٥) من طريق: أبي عوانة عن هلال ابن أبي حميد به.

ورواه النسائي في «المجتبى» برقم (٢٠٤٦، ٤/ ٩٥، في كتاب الجنائز، باب اتخاذ القبور مساجد) من طريق: عمرو بن علي؛ قال: حدثنا خالد بن الحارث؛ قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة رضي الله عنها بنحوه.

ورواه في نفس الموضع برقم (٢٠٤٧) من طريق: محمد بن عبد الرحيم؛ قال: حدثنا أبو سلمة الخزاعي؛ قال: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن الهاد، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠٣ و٢٠٤) من طريق: سعيد مولى بني هاشم؛ قال: حدثنا قيس بن الربيع؛ قال: حدثنا جامع بن شداد، عن كلثوم الخزاعي، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه بنحوه.

ورواه أيضاً الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٥٧)، كلاهما من طريق: سفيان ـ هو ابن عيينة ـ، عن حمزة بن المغيرة الكوفي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

وقال أبو نعيم في «الحلية» معلَّقاً: غريب من حديث حمزة، تفرد به عن سفيان.

يقال ـ كان من هٰذا الجنس.

وكذٰلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم.

المشركون يقرون بتوحيد الربوبية ويتخذون الأصنام للشفاعة

وهٰؤلاء المشركون كانوا مقرين بالصانع سبحانه، وأنه ليس للعالَم صانِعان، ولٰكن اتخذوا هٰذه الوسائط شفعاءَ؛ كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ وَيَقولونَ هٰؤلاءِ شُفعاؤُنا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بما لا يَعْلَمُ في السَّماواتِ ولا في الأَرْضِ سُبْحانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢٧).

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهورِكُمْ وَما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُم فيكُمْ شُرَكاء لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(٢٨).

مطلب

المتصوفة جعلوا توحيد الربوبية غاية السالكين

فلو أقرَّ الرجل بتوحيد الربوبية الذي يقر به هٰؤلاء النُّظَّار، ويفنى فيه كثير من أهل التصوف، ويجعلونه غاية السالكين ـ كما ذكره صاحب «منازل السائرين»[١] وغيره ـ، وهو مع ذٰلك لم يعبد الله وحده، ويتبرأ

---

(٢٧) يونس: ١٨، ومن هنا أسقط المؤلف رحمه الله كلام شيخ الإسلام رحمه الله واستأنفه بعد ورقتين بقوله: فلو أقر الرجل...

(٢٨) الأنعام: ٩٤.

(١) هو أبو إسماعيل الأنصاري الهروي.

وانظر: «مدارج السالكين» (١/ ١٥٤ ـ ١٦٩)، وفي الأصلين: ويغتر فيه =

من عبادةِ ما سواه؛ كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين[٢].

قال شيخ الإسلام في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: وكثير من الصوفية والفقراء إنما سعيُهُم في تحقيق هٰذا الافتقار وشهود الربوبية؛ يعني: الافتقار إلى الله علماً وذوقاً وشهود الربوبية.

قال: فمن ضَمَّ إلى ذٰلك توحيد الإلٰهية، وشَهِدَ الفَرْق الثاني كالجُنَيد[٣] وأمثاله؛ فهٰؤلاء هم العارفون أولياء الله المتقون، وإن وقفوا

= كثير من أهل التصوف. والمثبت من «الأصبهانية» و«المدارج».

(٢) لأن هٰؤلاء النُّظار إنما يُقرون بتوحيد الربوبية على طريقتهم التي بيَّنها المؤلف آنفاً، وإنما هي زندقة وكفر وضلال، وفي الأصلين: وهو مع ذٰلك بعيد الله حده... والمثبت من «الأصبهانية» وهو من مقتضى السياق.

(٣) هو الجُنيد بن محمد بن الجُنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، وهو شيخ الصوفية، أتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتألَّه وتعبَّد، ونطق بالحكمة، قال فيه ابن المنادي: سمع الكثير، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورُزق الذكاء وصواب الجواب، لم يُرَ في زمانه مثله في عفَّةٍ وعزوف عن الدنيا، وأُثر عنه أنه قال ـ أي: الجُنيد ـ: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات. ثم قال الحافظ الذهبي رحمه الله معلِّقاً: هٰذا حَسَن، ومراده قطعُ أكثر المألوفات وترك فضول الدنيا وجوع بلا إفراط، أما من بالغ في الجوع كما يفعله الرُّهبان، ورفض سائر الدنيا ومألوفات النفس من الغذاء والنوم والأهل؛ فقد عرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خولِطَ في عقله، وفاته بذٰلك كثير من الحنيفية السمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، والسعادة في متابعة السُّنن، فَزِن الأمور بالعدل، وصم وأفطر، ونَم وقُم، والزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله لك، واصمت إلا من خير؛ فرحمة الله على الجُنيد، =

عنـد ذٰلك ولم يشهدوا توحيد الإلٰهية والأمر والنهي ؛ فَهُمْ المُضَارِعونَ للمشركين المحتجين بالقدر؛ بحسب ما فيه من ذٰلك الشر.

والقرآن مملوء من تقرير هٰذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له، ومن ذٰلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق غير الله، وأن ذٰلك مستلزم أن لا يُعْبَدَ إلا الله، فيَجْعَل الأول دليلاً على الثاني ؛ إذ كانوا يسلِّمون الأول الذي هو توحيد الربوبية، وينازعون في الثاني، فَيُبَيِّنُ لهم سبحانه أنه: إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وهو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذٰلك؛ فلماذا تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهةً أخرى؟!

لا سبيل لمن أقر بتوحيد الربوبية إلا أن يتبعه بتوحيد الألوهية

كقوله تعالى: ﴿قُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذينَ اصْطَفى[٤] آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ...﴾[٥] إلى قوله: ﴿وجَعَلَ الأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً . وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ

= وأين مثل الجنيد في علمه وحاله؟! انتهى كلام الذهبي من «السير» (١٤/ ٦٩ - ٧٠).

وقال أبو نعيم: حدثنا علي بن هارون وآخر؛ قالا: سمعنا الجنيد غير مرة يقول: عِلْمُنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقَّه؛ لا يقتدى به، قال الخطيب في «تاريخه»: ... وفريد عصره في علم الأحوال والكلام على لسان الصوفية وطريقة الوعظ، له رسالة «دواء الأرواح» مخطوطة وغيرها من الرسائل، توفي سنة سبع وتسعين ومئتين، وذكر الجنيد هنا لأنه من أرباب هٰذا الشأن، وإلا؛ فالعلماء أهل البصيرة غيره لا يُحصون ذِكْراً.

(٤) اصطفى: ساقطة من (ز).

(٥) النمل: ٥٩.

حَاجِزاً أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

يقـول تعالى: أإله مع الله فعلَ هٰذا؟! وهٰذا استفهام إنكاريٌّ يتضمن نفي ذٰلك، وهُمْ كانوا مقرِّين بأنه لم يَفْعَل ذٰلك غير الله؛ فاحتَجَّ بذٰلك عليهم، وليس المعنى أنه استفهام: هل مع الله إله؟ كما ظنه بعضهم؛ لأنه لا يناسب سياق الكلام.

والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى؛ كما قال تعالى عنهم: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾**[٧]، لٰكنهم ما كانوا يقولون: إن معه إلٰهاً جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً، بل هم مُقِرُّون بأن الله وحده فَعَلَ هٰذا.

وهٰكذا سائر الآيات بعد هٰذه الآية[٨].

والحـاصـل أنـه لا بد من توحيد الإلٰهية وتوحيد الربوبية، وقد نقلنا[٩] أنه ليس في أهل الأرض من أثبت للعالَم خالقَيْن متماثلَيْن في الصفات والأفعال، بل هٰذا ممتنع لذاته، وامتناعه ظاهر في العقول؛ بخلاف ما يظنه كثير من أهل الكلام والفلسفة.

---

(٦) النمل: ٦١.

(٧) صٓ: ٥.

(٨) من هنـا بدأ إسقـاط المؤلف لكلام شيخ الإسلام قدس الله روحه للإطناب الطويل.

(٩) من هنا استأنف رحمه الله كلام شيخ الإسلام بعد ورقة تقريباً؛ حيث قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد قلنا...

بعض الفرق الضالة تثبت للأشياء صانعا غير الله

نعم؛ بعض أهل الضَّلال يزعم أن ثَمَّ خالقاً لبعض العالَم؛ كالثَّنَوِيَّةِ في الظُّلْمةِ(١٠)، وكالقدرية في أفعال الحيوان(١١)، والفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية(١٢)؛

---

(١٠) سبق الكلام على ضلالات الثنوية قريباً، وقولهم بأن النور أحدث الظلمة؟!

(١١) زعمت القَدَرية أن الإنسان قد يخلق أنواعاً من الحيوانات؛ كاللحم إذا دفنه الإنسان، أو يضعه في الشمس فيُدَوِّد، فزعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان؟! وكذلك العقارب التي تظهر من التبن تحت الآجُرّ زعموا أنها من اختراع من جَمَع بين الآجرّ والتبن؟!... إلخ.

قال عنهم عبدالقاهر البغدادي في «الفَرق بين الفِرق» (ص ٢٧٩): وهؤلاء شرٌّ من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات والحشرات والسموم إلى الشيطان، ومن عدّهم من فِرَق الأمة كمن عدّ المجوس من فِرق الأمة، نسأل الله العافية والسلامة.

(١٢) (الدهرية): هم قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿**إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**...﴾؛ فقالت إحدى فرقهم: إن الخالق سبحانه خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها ـ لعنهم الله وتعالى عما يقولون ـ، وقالوا: إن الأجسام ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل؛ تكونت الأشياء مركباتها وبسائطها، من ذاتها لا من شيء آخر. وقالوا: إن العالَم لم يزل ولا يزال ولا يتغير ولا يضمحل، ولا يجوز أن يكون المبدع يفعل فعلاً يبطل ويضمحل مع فعله، وهذا العالم هو الممسك لهذه الأشياء التي فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإن مِنْ هٰؤلاء الفِرَق الضالة من يُثْبِتُ أموراً مُحْدَثَةً بدون إحداث الله تعالى إياها؛ فَهُم المشركون في بعض الربوبية، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في إلٰهية شيء من هٰذا، وأنها تنفعه وتضره بدون أن يخلق الله ذٰلك، فلما كان هٰذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس؛ بيّن القرآن بطلانَه بقوله تعالى: ﴿**ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِنْ إلٰهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلٰهٍ بما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ**﴾[١٣].

والموجود خلاف هٰذا؛ فإن العالَم مرتبط بعضه ببعض، ما من مخلوق إلا وهو متصل بغيره من المخلوقات محتاج إليه؛ فالحيوان الواحد والنبات الواحد من أصل، وذٰلك الأصلُ من غيره[١٤]، وهَلُمَّ جَرّا[١٥]، وهو أيضاً مُفْتَقِرٌ إلى الهواء والماء والتراب، بل وإلى أنواع

(١٣) المؤمنون: ٩١، ومن هنا بدأ إسقاط المؤلف رحمه الله لكلام أبي العباس رحمه الله لدخوله رحمه الله في تفاصيل عجيبة طويلة، واستأنف رحمه الله كلامه بعد عشر ورقات تقريباً بقوله: والموجود. . .

(١٤) أي: متغذياً به، ومتكملاً به، لا أنه أصله بالنسبة للخِلْقَة والتكوين.

(١٥) للفائدة المرجوَّة؛ فقد تكلَّم علاَّمة النحو وعَلَم اللغة جمال الدين أبي محمد عبدالله بن هشام الأنصاري، المتوفى سنة إحدى وستين وسبع مئة للهجرة في كتابه الماتع «المسائل السَّفَرِيَّة في النحو» كلاماً جيداً حول (هَلُمَّ جرّا)، ومعانيها الواردة، والترجيح بما يسع ذكره للفائدة.

قال ابن هشام: وأما قوله: (هَلُمَّ جرّا)؛ فكلام مستعمل في العُرْفِ كثيراً، وذكره الجوهري في «صحاحه»، فقال: فصل الجيم، من باب الراء: (وتقول: كان ذٰلك عام كذا، وهَلُمَّ جرّا إلى اليوم)، هٰذا جميع ما ذكره. . . ثم أتى على أقوال بعض اللغويين بالرد والمناقشة، ثم قال: وإذ قد أتينا على كلام الناس =

. . . .

= وشرحه وبيان ما فيه من نقل؛ فلنذكر ما ظهر لنا في توجيه هٰذا الكلام بتقدير كونه عربيّاً؛ فنقول: (هَلُمَّ) هٰذه هي القاصرة التي بمعنى: أمت وتعال، إلَّا أن فيها تجَوُّزين:

الأول: أنه ليس المراد بالإتيان هنا المجيء الحسي، بل الاستمرار على الشيء والمداومة عليه؛ كما تقول: امشِ على هٰذا الأمر، وسِرْ على هٰذا المنوال، ومنه قوله تعالى: ﴿**وانطلق الملأ منهم أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم...**﴾، المراد بالانطلاق ليس الذهاب الحسي، بل انطلاق الألسنة بالكلام، ولهٰذا أعربوا (أنْ): تفسيرية، وهي إنما تأتي بعد جملةٍ فيها معنى القول دون خروجه؛ كقوله تعالى: ﴿**فأوحينا إليه أن اصنع الفلك...**﴾، والمراد ليس المشي بالأقدام، بل الاستمرار والدوام؛ أي: دوموا على عبادة أصنامكم واحبسوا أنفسكم على ذٰلك.

الثاني: أنه ليس المراد الطلب حقيقة، وإنما المراد الخبر، وعبَّر عنه بصيغة الطلب كما في قوله تعالى: ﴿**ولنحمل خطاياكم**﴾، ﴿**فليمدد له الرحمٰن مدّاً**﴾، و(جَرًّا): مصدر جرَّه يجرُّه إذا سحبه، ولٰكن ليس المراد الجرّ الحسي، بل المراد التعميم، كما استعمل السحب بهٰذا المعنى؛ إلا أنه يُقال: هٰذا الحكم منسحب على كذا، أي: شاملٌ له، فإذا قيل: (كان ذاك عام كذا وهَلُمَّ جرّا)؛ فكأنه قيل: واستمر ذٰلك في بقية الأعوام استمراراً؛ فهو مصدر، أو استمر مسمّراً فهو حال مؤكدة، وذٰلك ماشٍ في جميع الصور، وهٰذا هو الذي يفهمه الناس من هٰذا الكلام، وبهٰذا التأويل ارتفع إشكال العطف؛ فإنَّ (هَلُمَّ) حينئذٍ خبر، وإشكال التزام إفراد الضمير إذ فاعل (هلم) هٰذه مفرد أبداً، كما تقول: واستمرّ ذٰلك؛ أي: واستمر ما ذكرته، فإن قلتَ: قد اشتملت هٰذه التوجيهات التي وجهت بها هٰذه المسائل على تقديرات كثيرة، وتأويلات متعقدة، ولم يُعهد في كلام النَحْويين مثل ذٰلك؛ قلتُ: ذٰلك لأنك لم تقف لهم على كلام على مسائل =

النباتات والحيوانات، ومفتقر إلى أثر الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذٰلك، والفَلَك مرتبط بعضه ببعض، والأفلاك مفتقر بعضها إلى بعض، والعالم العلوي مرتبط[16] بالعالم السفلي؛ فلو قُدِّرَ أن صانع الأرض غير صانع السماء، وأنه مستغن عنه[17]، لا يغيِّر أحدهما مصنوعَ الآخر؛ لزِم ذٰلك أن لا يكون ما في السماء مُؤثِّراً في الأرض؛ فلا تؤثر الشمس والقمر في الأرض، وأن يكون ما يصعد من الأبخرة والأدخنة والأغبرة[18] لا يؤثر في نور الشمس والقمر والهواء، والواقع خلافه[19]، وتقرير هٰذا يطول.

والمقصود أن الحديث النبوي في هٰذا الدعاء المأثور عن يَنْبُوع الحِكَم، وَمَعْدِنِ الفَصاحَةِ والبلاغةِ، ومن أوتي جوامع الكلم: اشتمل على التوحيد الذي هو المقصود من خلق العالم؛ توحيد الربوبية وتوحيد الإلٰهية، والله سبحانه وتعالى الموفق.

= متعقدة مشكلة اجتمعت في مكان واحد، ولو وقفت لهم على ذٰلك؛ لوجدت في كلامهم مثل ذٰلك وأمثاله كثيرة، والله تعالى أعلم. انتهى كلام ابن هشام من «المسائل السَّفريَّة في النحو» (ص ٣٢ - ٤٠) وبها تمم كتابه هٰذا.

(١٦) في (ز): «مفتقر»، وما أثبتناه من (ك).

(١٧) في (ز): «مستغنٍ عنه عنه»، ولعلها سقط قلم.

(١٨) في الأصلين: . . . الأدخنة والأَغْيِرَة! وإن كانت ذو معنى في السياق؛ فإن المثبت من «الأصبهانية».

(١٩) إلى هنا انتهى نقله رحمه الله لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من «شرح الأصبهانية» نقلاً متقطِّعاً يقتضيه اكتفاء المؤلف رحمه الله بالمطلوب بإيجاز مناسب، والذي قرأته من كلام شيخ الإسلام من الجزء المحقق =

مطلب

التفصيل في قوله عليه الصلاة والسلام: خلقتني

* وقوله عليه الصلاة والسلام: «**خلقتني**»: راجع إلى توحيد الربوبية؛ لأن الله جل ثناؤه هو الخالق العالِمُ وحده لا شريك له ولا وزير له، سبحانه وتعالى.

ولقد امتن الله على عباده بخَلْقه لهم في عدة آيات؛ قال جلَّ ثناؤه: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكينٍ . ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[1]. **أحوال ابن ادم من نشأته إلى بعثه**

فاستوعب الله ذكر أحوال ابن آدم قبل كونه نطفة، بل تراباً وماءً، إلى حين بعثه يوم القيامة؛ فأول مراتب خَلْقِهِ أنه سلالة من طين، ثم سلالة من ماء مهين، وهي النطفة التي استُلَّت من جميع البدن، فتمكث كذلك أربعين يوماً، ثم يقلب الله سبحانه تلك النطفة علقة سوداء من دم، فتمكث أربعين يوماً أخرى، ثم يُصَيِّرُها الله تعالى مضغة

= في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض (١/٩٨ - ١٢٧)، وهي أطروحة لنيل درجة العالمية للدكتور محمد بن عودة السعوي، جزاه الله خيراً، وهذا الجزء غير متوفر بالمطبوع المتداول حالياً.

(١) المؤمنون: ١١ - ١٦.

ـ وهي قطعة لحم ـ أربعين يوماً، وفي هٰذا الطَّوْر تقدَّر أعضاؤه وصورته وشكله[2].

واختُلِفَ في أول ما يتشكل ويخلق من أعضائه؛ فقيل: القلب، وقيل: الدماغ، وقيل: الكبد، وقيل: فِقَارُ الظهر. ودليل كل قول وترجيحه على ما سواه مما يطول ذكره؛ فلا يناسب ما نحن بصدده.

وحاصل ما شاهده أرباب التشريح ـ حتى إنهم متفقون عليه ـ أن أول ما يتبين في خلق جثة الحيوان ثلاث نقط متقاربة بعضها من بعض، يُتَوَهَّمُ أنها رسم الكبد والقلب والدماغ، ثم يزداد بعضها من بعض بعد امتداد أيام الحمل؛ فهٰذا القَدْرُ هو الذي عند المُشَرِّحين؛ فأما أي هٰذه النقط أسبق وأقدم؛ فليس عندهم عليه دليل. أحوال النشأة

قال الإمام، المحقق، ابن القيم، في كتابه «تحفة الودود في أحكام المولود»[3]: ألا إن الأخْلَقَ والأولى والأقْيَس تقدم القلب، والله

---

(٢) ويدل على ذٰلك حديث عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه؛ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق والمصدوق: «إن أحدَكم يُجمع خَلْقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة. . .» الحديث بطوله، وهو عند البخاري في «صحيحه» برقم (٧٤٥٤، في كتاب التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)، وكذا رواه مسلم برقم (٢٦٤٣، في كتاب القَدَر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه)، وغيرهما، وورد في ذٰلك عدة أحاديث وآثار؛ فلتراجع في مصادرها ومظانِّها.

(٣) كذا في النسختين، وقال مؤلفه رحمه الله وغفر لنا وله في مقدمته للكتاب: «وسميته تحفة المودود في أحكام المولود».

أعلم[٤].

وقال في «مفتاح دار السعادة» بعد أن حكى اختلاف المقالات وحججها في ذلك: الصحيح أنه ـ يعني القلب ـ أول الأعضاء تكوناً[٥].

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ...﴾[٦] الآية.

---

(٤) «تحفة المودود» (ص ١٤٩ ـ ١٥٠)، ثم قال في كلامه على تقدُّم القلب: بأنه هو العضو والأساس، الذي هو معدِنُ الحرارة الغريزية الذي هو مركب الحياة؛ فوجب أن يكون هو المقدَّم في الخلق، قالوا: وقد أخبر المشرِّحون أنهم وجدوا في النطفة عند كمال انعقادها نقطة سوداء. انتهى.

وقال رحمه الله في كتابه الماتع المفيد «التبيان في أقسام القرآن» (٢ / ١٨٠): إنه القلب، وهو قول الأكثرين... قالوا: ولأن أفعال القوى إنما تتم بالروح، وهي لا بد لها من متعلق تتعلق به، ولا بد أن يتقدم متعلقها عليها، وهو القلب؛ فإن القلب ملك الأعضاء، والأعضاء جنود له وخدم؛ فإذا صلح القلب؛ صلحت جنوده، وإذا فسد؛ فسدت... وذكر حديث ابن مسعود، ثم قال: فما أولى هٰذه المضغة بأن تكون متقدمة في وجودها على سائر الأعضاء، وسائرها تبع لها في الوجود، كما هي تبع لها في الصلاح والفساد... وأولى هٰذه الأقوال القول الأول؛ فإن القلب ومنزلته وشرفه ومحله الذي وضعه الله به يقتضي أنه المبدوء به قبل سائر الأعضاء المتقدم عليها بالوجود.

والله أعلم. انتهى.

(٥) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (ص ٢٤٣).

(٦) الطارق: ٥ ـ ٦.

وقال: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ في الأَرْحامِ ما نشاءُ إلى أجَلٍ مُسَمّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغوا أشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾(٧).

وقال جل ثناؤه: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى . ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثى . أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقادِرٍ على أنْ يُحْيِيَ المَوْتى﴾(٨).

وقال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهينٍ . فَجَعَلْناهُ في قَرارٍ مَكينٍ . إلى قَدَرٍ مَعْلومٍ . فَقَدَرْنا فَنِعْمَ القادِرونَ﴾(٩).

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنْسانُ أنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإذا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ﴾(١٠).

(هٰـذا في كتاب الله كثير، يدعو العبد إلى النظر والتفكر في مبدأ خَلْقِهِ ووسطه وآخره؛ إذ خلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمال في الوقوف على بعضه)(١١)؛ فلهٰـذا قال المصطفى في هٰذا الدعاء العظيم:

(٧) الحج: ٥.

(٨) القيامة: ٣٦ ـ ٤٠.

(٩) المرسَلات: ٢٠ ـ ٢٣.

(١٠) يٓس: ٧٧.

(١١) ما بين المعكوفتين من «مفتاح دار السعادة» (١ / ٢٣٧).

«اللهم! أنت ربي لا إلٰه إلا أنت، خلقتني . . . » إلخ :

وهٰـذا من أعـظم أسباب الإجابة : أن يقول الإنسان في صَدْرِ دعـائه أمام حاجته ؛ من الثناء، والتوحيد، والعظمة لربه، والاعتراف بالعجز والانكسار، وأن يرجع على نفسه بذنبه ما يليق ويَحْسُن، ثم يذكر حاجته .

وعلى كل حال ؛ من أعظم ما منَّ الله به على عبده : أن أَبْرَزَهُ من العدم إلى الوجود، وجعل له سمعاً وبصراً وعقلاً وفَهْماً، وركَّب فيه من القوى الظاهرة والباطنة ما يُبْهِرُ به عقول العقلاء، وإذا كان الحق جل ثناؤه أنشأنا من العدم إلى الوجود ؛ فلا يحسن منا عدم طاعته في كل لَحْظٍ ولَفْظٍ(١٢) .

---

(١٢) ذكر العلماء رحمهم الله تعالى وكل من تكلم على درجات فَقْر العبد لربه وحاجته إليه، ومنهم العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه العظيم «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، درجات فقر العبد إلى ربه وحاجته إليه، ذكر الدرجة الأولى، وهي فقر الزهاد، وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطاً أو طلباً، وإسكات اللسان عنها ذمّاً أو مدحاً، والسلامة منها طلباً أو تركاً، وهٰذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه .

والـدرجـة الثـانية : الـرجـوع إلى السبق بمـطالعـة الفضل، وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، ويقطع شهود الأحوال، ويمحِّص من أدناس مطالعة المقامات .

والـدرجـة الثـالثة : صحة الاضطرار والوقوع في يد التقطع الوحداني، والاحتباس في بيداء قيد التجريد، وهٰذا فقر الصوفية .

وكـل درجـة أعلى وأفضل من التي سبقتها ؛ فالأولى فقر عن الأعراض =

ولهذا يقول سبحانه: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ . ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ﴾(١٣).

مطلب

مبدأ الخلق وعجائب التكوين

فانظر رحمك الله إلى مبدأ خلْقك، وإلى ما أُودِعَ فيك من القوى، وما رُكِّبَ فيك من العروق والمفاصل؛ تجد أمراً يُبْهِرُ الألباب، ويحيِّرُ العقول؛ فانظر بعين البصيرة إلى النطفة، وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذَر، لو مرَّ بها ساعة من النهار؛ فَسَدَتْ وأَنْتَنَتْ:

كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصُّلب والترائب؛ منقادة لِقدرته، مطيعة لمشيئته، مذلَّلة الانقياد على ضيق طريقها واختلاف مجاريها، إلى أن ساقها إلى مستقرها(١)؟!

= الدنيوية، والثانية فقر عن رؤية المقامات والأحوال، والثالثة فقر عن ملاحظة الموجود الساتر للعبد عن مشاهدة الوجود - أي: عدم مشاهدة الإخلاص، والزهد في النفس لما يفضي إليه من عجب وبلايا -. انتهى باختصار وتصرف قليل (ص ٣٩ - ٥٥).

(١٣) عَبَسَ: ١٧ - ٢٢.

(١) إذا نظر الإنسان خلقه وتصويره بهذه الدقة وبهذا الشكل؛ طال تعجبه وانبهاره من هذا الخلق العجيب.

قال العلامة، الإمام، الأعجوبة ابن القيم رحمه الله تعالى في سِفْرِهِ الفذ النافع «مفتاح دار السعادة» (ص ٢٧٦): فأعد النظر فيك وفي نَفْسِك... من الذي دبَّرك بألطف التدبير وأنت جنين في بطن أمك، وفي موضع لا تنالك يد، =

. . . .

= ولا يدركك بصر، ولا لك حيلة في التماس الغذاء ولا في دفع الضرر؛ فمن الذي أجرى إليك من دم الأم ما يغذيك كما يغذي الماء النبات، وقَلَبَ ذلك الدم لَبَناً، ولم يزل يغذيك به في أضيق المواضع وأبعدها من حيلة التكسب والطلب، حتى إذا كَمُل خَلْقُك، واستحكم وقوي أديمك ـ أي: أطرافك ـ على مباشرة الهواء، وبصرك على ملاقاة الضياء، وصلبت عظامك على مباشرة الأيدي والتقلب على الغبراء؛ هاج الطَّلْقُ بأمك، فأزعجك إلى الخروج أيما إزعاج إلى عالم الابتلاء، فركضك الرحم ركضة من مكانك كأنه لم يضمك قط، ولم يشتمل عليك، فيا بُعْدَ ما بين ذلك القبول والاشتمال حين وُضِعْتَ نُطفة، وبين هذا الدفع والطَّرْد والإخراج، وكان مبتهجاً بحملك؛ فصار يستغيث ويعج إلى ربك من ثقلك؛ فمن الذي فتح لك بابه حتى وَلَجْت، ثم ضَمَّه عليك حتى حُفِظْتَ وكملت، ثم فتح لك ذلك الباب ووسَّعه حتى خرجت منه لمح البصر؛ لم يخنقك ضيقه، ولم تحبسك صعوبة طريقك فيه؟! فلو تأملت حالك في دخولك من ذلك الباب، وخروجك منه؛ لذهب بك العجب كل مَذْهَب. . .

ثم إنه اقتضت حكمته سبحانه أن أخرجك من بطن أمك لا تعلم شيئاً، بل غبياً لا عقل ولا فهم ولا علم، وذلك من رحمته بك؛ فإنك على ضعفك لا تحتمل العقل والفهم والمعرفة، بل كنت تتمزق وتتصدع، بل جعل ذلك ينتقل فيك بالتدريج شيئاً فشيئاً. . .

فمن ذا الذي هو قيم عليك بالمرصاد؟ سبحانه وتعالى يرصدك حتى يوافيك بكل شيء من المنافع والآداب والآلات في وقت حاجتك، لا يُقَدِّمها عن وقتها ولا يؤخرها عنه!

ثم أطال وأطنب رحمه الله في سرد مثل ذلك وأعجب مما يطول له العجب والتفكر؛ فارجع إليه لتمام الفائدة.

وسبحان الله رب العالمين.

وكيف جمع سبحانه بين الذَّكر والأنثى، وألقى المحبة بينهما؟!

وكيف قادهما سلسلة المحبة والاجتماع، الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه؟!

وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بُعْدِ كل منهما عن صاحبه، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء، وجمعهما في موضع واحد، جعل لهما قراراً مكيناً لا يناله هواء يفسده، ولا بْرد يجمِّده، ولا عارض يصل إليه، ولا آفة تَسَلَّطُ عليه، ثم قَلَبَ تلك النُّطفة البيضاء عَلَقَةً حمراء تَضْرِبُ إلى سواد، ثم جعلها مُضْغَةَ لحم مخالفة للعَلَقَة في لونها وحقيقتها وشَكْلِها، ثم جعلها عظاماً مجردة لا كسوة عليها، مباينة للمُضغة في شكلها، وهيئتها، وقَدْرِها، وملمسها، ولونها؟!

النظر في جسم الإنسان وتقسيمه

وانظر كيف قسم تلك الأجزاء المتساوية المتشابهة إلى الأعصاب والعظام بالعروق والأوتار، واليابس واللّيِّن، وبَين ذٰلك؟!

ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشدَّه وأبعده عن الانحلال؟!

وكيف كساها لحماً ركبه عليها، وجعله وعاءً لها، وغشاءً وحافظاً، وجعلها حاملة له، مُقيمةً له؛ فاللحم قائم بها، وهي محفوظة به؟!

وكيف صوَّرها، فأحسن صورها، وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ، ومد اليدين والرجلين وبسطهما، وقسَمَ رؤوسها بالأصابع، ثم قسم الأصابع بالأنامل، وركَّب الأعضاء الباطنة من

القلب والمعِـدَة والكَبِد والطُّحال والرِّئة والرَّحم والمثانة والأمعاء، كل واحد منها له قَدْر يخصه، ومنفعة تخصه؟!

ثم انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قواماً للبدن، وعماداً له، وكيف قدَّرها ربُّها وخالقُها بمقادير مختلفة وأشكال متباينة؛ فمنها الـصـغير، والكبير، والـطويل، والقصير، والمنحني، والمستـدير، والدقيق، والعريض، والمُصْمَت، والمجوَّف.

وكيف ركَّب بعضها في بعض؛ فمنها ما تركيبه تركيب الذكر في الأنثى، ومنها ما تركيبه تركيب اتصال فقط؟!

وكيف اختلفت أشكـالها باختلاف منافعها؛ كالأضراس؛ فإنها لما كانت آلة للطحن؛ جُعِلَتْ عريضة، ولما كانت الأسنان آلة للقطع فقط؛ جعلت مستدقة محددة؟!

ولمـا كان الإنسـان محتـاجـاً إلى الحـركة بجملة بدنه وبعض أعضـائـه للتردُّد؛ لم يجعل عظامه عظماً واحداً، بل عظاماً متعددة، وجعل بينها مفاصل حتى يستدير بها، وكان قدر كل واحد منها وشكله على حسب الحـركـة المـطلوبـة منه، وكيف شد أزر تلك المفاصل والأعضاء، وربط بعضها ببعض بأوتار ورباطات أَثْبَتَها من أحد طرفي العـظم وألْصَقَ العـظم بالطَرَف الآخر كالرِّباط له، ثم جعل في أحد طرفي العـظم زوائد خارجة عنه، وفي الآخر نُقَراً غائِصة فيه، موافقة لشكل تلك الزوائد؛ لتدخل فيها، وتنطبق عليها؛ فإذا أراد العبد أن يحرِّك جزءً من بدنه؛ لم يمتنع عليه، ولولا المفاصل؛ لتعذر عليه ذلك.

وتأمل كيف خلق الرأس وكثرة ما فيه من العظام، حتى قيل: إنها خمسة وخمسون عظماً، مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع، وكيف ركبه سبحانه على البدن، وجعله عالياً عليه علوَّ الراكب على مركوبه.

ولمَّا كان عالياً على البدن؛ جعل فيه الحواس الخمس، وآلات الإدراك كلها؛ من السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

وجعل حاسة البصر في مُقَدَّمه؛ ليكون كالطليعة والحَرَس والكاشف للبدن، وركَّبَ كل عين بسبع طبقات، لكل طبقة وصف مخصوص ومنفعة مخصوصة، لو فُقِدَت طبقة من تلك السبع الطباق أو زالت عن هيئاتها ومواضعها؛ لتعطلت العين عن الإبصار.

ثم أركز سبحانه داخل تلك الطبقات السبع خَلْقاً عجيباً، وهو إنسان العين بقَدْرِ العَدَسَة، ينظر ما بين المشرق والمغرب والأرض والسماء، وجعله من العين بمنزلة القلب من الأعضاء؛ فهو مَلِكُها، وتلك الطبقات والأجفان والأهداب خَدَمٌ له وحُجَّابٌ وحُرَّاسٌ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

وشق سبحانه له السمع، وخَلَقَ له الآذانَ أحسن خلقَة وأبلغها في حصول المقصود منها؛ فجعلها مجوفة كالصَّدَفَةِ؛ لتجمع الصوت فتؤدِّيه للصِّمَاخ(٢)، وليُحِسَّ بدبيب الحيوان فيها، فيبادر إلى إخراجه،

(٢) (الصِّمَاخ)؛ بكسر الصاد المهملة وتشديدها، وفتح الميم: من الأذن الخرق أو الثقب الباطن الذي يفضي إلى الرأس. ويقال فيه: السِّماخ. «لسان العرب» (مادة: صَمَخَ)، ووردت الجملة كذا في النسختين، وفي «مفتاح دار السعادة»: فتؤديه إلى الصماخ.

وجعل فيها غُضُوناً[3] وتجاريف[4] واعوجاجات تمسك الهواء والصوت الداخل، فتكسر، ثم تؤديه إلى الصِّماخ.

ثم اقتضت حكمة الحكيم الخالق سبحانه أن جعل ماء الأذن مُرّاً في غاية المرارة؛ فلا يجاوزه الحيوان إلى باطن الأذن، بل إذا وصل إليه؛ أعْمَلَ الحيلة في رجوعه.

وجعل ماء العين مالِحاً؛ ليحفظها؛ فإنها شحمة قابلة للفساد، فكانت ملوحة مائها صيانة لها وحفظاً.

وجعل ماء الفم عذباً حلواً؛ ليدرك به طعم الأشياء على ما هي عليه؛ إذ لو كان على غير هٰذه الصفة؛ لأحالها إلى طبيعته؛ كما أن من عَرَضَ لفمه المرارة؛ استمر طعم الأشياء التي ليست مرَّة؛ كما قيل:

وَمَـنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ
يَجِـدْ مُرّاً بِهِ الـمـاءَ الـزُّلالا

خلق الأنف وتكوينه

ونصب سبحانه قَصَبة الأنف في وسط الوجه؛ فأحسن شكله وهيأته، وفتح فيه المنخرين، وحجز بينهما بحاجز، وأودع فيها حاسة الشم التي يُدْرَكُ بها أنواع الروائح الطيبة والخبيثة، والنافعة والضارة،

---

(٣) تغضَّن الشيء: تثنَّى وتكسر، وغُضُون الأُذُن: مثانيها. «المعجم الوسيط» (مادة: غضَنَ).

(٤) و(التجاريف): جمع جُرْفَة ـ بضم الجيم، وسكون الراء، وفتح الموحدة ـ، و(الجُرْفَة): وسم باللَّهزَمة تحت الأذن. و(اللَّهْزَمة): عظم ناتىء في اللَّحي تحت الحَنَك. «لسان العرب» و«المعجم الوسيط» (مادة: لَهْزَمَ).

ويستنشق منه الهواء فيوصله إلى القلب؛ فيتروح به، ويتغذى به، ولم يجعل فيه اعوجاجاً وغضوناً كالأذن؛ لئلا يمسك الرائحة فيضعفها، وجعله سبحانه مَصَبّاً تنحدر إليه فضلات الدماغ، فتجتمع فيه ثم تخرج منه.

واقتضت حكمته تعالى أن جعل أعلاه أدق من أسفله؛ لأن أسفله إذا كان واسعاً؛ اجتمعت فيه تلك الفضلات، فتخرج بسهولة، ولأنه يأخذ من الهواء مِلأَهُ، ثم يتصاعد في مجراه قليلاً قليلاً حتى يصل إلى القلب وصولاً لا يُفْتِرهُ ولا يُزْعِجهُ.

ثم فصل بين المنخرين بحاجز حكمة منه ورحمة؛ فإنه لَمَّا كان قصبة ومجرى سائراً لِما ينحدر منه من فضلات الرأس ومجرى للنفس الصاعد منه؛ جعل وسطه حاجزاً؛ لئلا يَفْسد بما يجري فيه، فيمنع نشقه للنَّفس، بل إما أن تعتمد الفضلات نازلة من أحد المنفذين في الغالب، فيبقى الآخر للنفس، وأمَّا أن يجري فيهما، فينقسم، فلا يفسد الأنف جملة، بل يبقى فيه مدخل للنَّفَس.

وأيضاً؛ فإنه عضو واحد وحاسة واحدة، فجعل الحاجز بينهما لأنه ربما أُعيبَ إحداهما أو عرضت لها آفة تمنعها من كمالها، فتكون الأخرى سالمة، فلا تتعطل منفعة هٰذا الحس جملة.

ولم يجعل في الوجه أنفين؛ لأنه شين ظاهر، فنَصبَ فيه أنفاً واحداً، وجعل فيه منفذين يحجز بينهما بحاجز يجري مجرى تعدد العينين والأذنين في المنفعة، وهو واحد.

فتبارك الله أحسن الخالقين.

خلق الفم وتكوينه

وشق سبحانه للعبد الفم في أحسن موضع، وأليق به، وأودع فيه من المنافع وآلات الذوق والكلام وآلات القطع والطحن ما تُبْهِرُ العقولَ عجائبُهُ.

فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدالة عليه سبحانه، وجعله ترجماناً لمَلِكِ الأعضاء مبيِّناً عنه، كما جعل الأذن رسولاً مؤدياً ومبلغاً إليه؛ فهي رسوله وبريده.

واقتضت حكمته أن جعل هٰذا الترجمان مصوناً، محفوظاً، مستوراً، غير بارز مكشوف كالأذن والعين والأنف؛ لأنها تؤدي من الخارج إليه؛ بخلاف اللسان؛ فإنه يؤدي منه إلى الخارج، فَجُعِلَ مستوراً لعدم الفائدة في إبرازه؛ لأنه لا يأخذ من الخارج إلى القلب.

وأيضاً؛ فإنه لمَّا كان أشرف الأعضاء بعد القلب، ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره؛ ضُرِبَ عليه سُرادِقٌ(٥) يستره ويصونه؛ كالقلب في الصدر، ولأنه من ألطف الأعضاء وألينها، ولا يتصرف إلا بواسطة الرطوبة المحيطة به، فلو كان بارزاً؛ صار عُرضةً للحرارة واليبوسة والنَّشاف المانع له من التصرف.

إلى غير ذٰلك من الحِكَم.

---

(٥) (السُّرَادق)؛ بضم السين المشدَّدة، وفتح الراء، فدال مكسورة: ما يدار حول الخيمة مِنْ شُقَقٍ بلا سقف، والسُرادق أيضاً ما يُمَدُّ على صِحْنِ البيت... «المصباح المنير» (ص ٢٧٣).

خلق الأسنان

ثم زيَّن سبحانه الفم بما فيه من الأسنان التي هي جمال له وزِينة، وبها قِوَام العبد وغذاؤه، وجَعل بعضها رَحىً للطحن، وبعضها آلة للقطع؛ فأحْكَمَ أُصُولَها، وحدَّد رؤوسها، وبيَّض لونها، ورتب صفوفها؛ متساوية الرؤوس، متناسقة الترتيب، كأنها الدُّر النظيم بياضاً وصفاءً وحُسْناً.

خلق الشفتين

وأحاط سبحانه على ذٰلك كله حائطَين، أودعهما من المنافع والحِكَم ما أودعهما، وهما الشفتان؛ فحسَّن لونهما وشكلهما، وجعلهما غِطاءً للفم؛ إتماماً لمخارج حروف الكلام، ونهاية له، لمَّا جَعَلَ أقصى الحلق بداية له، واللسان وما جاوره وَسَطاً، ولهٰذا كان أكثر العمل فيما له؛ إذ هو الواسطة.

واقتضت حكمته سبحانه أن جعل الشفتين لحماً صِرْفاً لا عظم فيه ولا عصب؛ ليتمكن بهما من مص الشراب، ويسهل فتحهما وطَبْقهما، وخص الفكَّ الأسفل بالتحريك؛ لأنه الأخف، وتحريك الأخف أحسن، ولأن الأعلى يشتمل على الأعضاء السريعة؛ فلم يخاطر بها في الحركة.

خلق الحنجرة وقبول شهادة الأعمى

وخَلَق سبحانه الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة، والخشونة والملاسة، والصلابة واللين، والطول والعرض والقصر؛ فاختلفت بذٰلك الأصوات أعظم اختلاف؛ فلا يكاد يشتبه صوتان إلا نادراً.

ولهٰذا كان الصحيح قبول شهادة الأعمى لتمييزه بين الأشخاص

بأصـواتهم، كما يميز البصير بينهم بصورهم، والاشتباه العارض بين الأصوات كالاشتباه العارض بين الصور.

وزين سبحانه الرأس بالشعر، وجعله لباساً له؛ لاحتياجه إليه.

وزين الـوجـه بمـا أنبت فيه من الشعـور المختلفـة الأشكـال والمقادير؛ فزينهُ بالحاجبين، وجعلهما وقاية لما ينحدر من بشرة الرأس إلى العينين، وقـوسهمـا، وأحسن خطهمـا، وزين أجفـان العينين بالأهداب، وزين الوجه باللحية، وجعلها كمالاً ووقاراً ومهابة للرجل، وزين الشفتين بما أنبت فوقهما من الشارب وتحتهما من العَنْفَقَة[٦].

خلق اليدين

وكذلك خَلْقه سبحانه لليدين اللتين هما آلة العبد وسلاحه ورأس مالـه ومعاشه، فَطَوَّلَهما بحيث يصلان إلى ما شاء من بدنه، وعرض الكف ليتمكن به من القبض والبسط، وقَسَم فيه الأصـابع الخمس، وقسم كل أصبع بثلاث أنامل، والإبهام باثنتين، ووضع الأصابع الأربعة في جانب والإبهام في جانب؛ ليدور الإبهام على الجميع، فجاءت على أحسن وضع صلحت به للقبض والبسط ومباشرة الأعمال.

ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق أفكارهم وضعاً آخر للأصابع سوى ما وضعت عليه؛ لم يجدوا إليه سبيلاً؛ فتبارك

---

(٦) (العَنْفَقَة)؛ بفتح العين، وسكون الموحدة، وفتح الأخرى والمثناة: هي ما بين الشَّفة السفلى والذَّقَن منه لِخفَّة شعرها، وقيل: العنفقة، ما بين الذقَن وطرف الشفـة السُّفلى، كان عليها شَعْرٌ أو لم يكن، وقيل: العنفقة: ما نبت على الشَفة السُّفْلى من الشعر. . . «لسان العرب» (مادة: عنفق).

من لو شاء لسـواها وجعلها طَبَقاً واحداً كالصَفْحة، فلم يتمكن العبد بذٰلك من مصالِحِهِ، وأنواع تصرفاته، ودقيق الصنائع، والخط، وغير ذٰلك؛ فإنْ بَسَط أصابعه؛ كانت طبقاً يضع عليه ما يريده، وإن ضمها وقبضها؛ كانت دبوساً وآلة للضرب، وإن جعلها بين الضم والبسط؛ كانت مغرفة له يتناول بها ويمسك فيها ما يتناوله.

خلق الأظفار

وركب الأظفـار على رؤوسهـا؛ زينـة لها، واعتماداً، ووقاية، ويلتقط بهـا الأشياء الـدقيقة التي لا يتناولها جسم الأصابع، وجعلها سلاحاً لغيره من الحيوان والطير وآلة لمعاشه، وليحُكَّ الإنسان بها بدنه عنـد الحـاجـة؛ فالـظفـر الـذي هو أقل الأعضاء وأحقرها؛ لو عُدِمَه الإنسـان، ثم ظهرت به حَكَّةٌ؛ لاشتدت حاجته إليه، ولم يَقُمْ مقامه شيء في حك بدنه.

ثم يهدي اليد إلى مواضع الحَكِّ حتى تمتد إليه، ولو في النوم والغَفْلة، من غير حاجـة إلى طلب، ولو استعان بغيره؛ لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب ومشقة.

ثم انظر إلى الحكمة البالغة في جعل عظام أسفل البدن غليظة قوية؛ لأنها أساس له، وعظام أعاليه دونها في الثخانة والصلابة؛ لأنها محمولة.

ثم انظر كيف جعل الرقبة مَرْكَباً للرأس، وركَّبها من سبع خرزات مجـوفات مستديرات، ثم طَبَّقَ بعضها على بعض، وركب كل خَرْزَةٍ على صاحبتها تركيباً مُحْكَماً مُتْقَناً، حتى صارت كأنها خَرْزَةً واحدة، ثم

ركب الرقبة على الظهر والصدر، ثم ركب الظهر من أعلاه إلى منتهى عظم العَجْزِ من أربعٍ وعشرين خرزة مركبة بعضها في بعض هي مَجْمَع أضلاعه، والتي تُمْسِكُها أن تَنْحَلَّ وَتَنْفَصِل، ثم وَصَلَ تلك العظام بعضها ببعض؛ فوصل عظام الظهر بعضام الصدر، وعظام الكتفين بعظام العَضُدَين، والعَضُدَين بالذراعين، والذراعين بالكَف والأصابع.

عظام البدن وحكمته سبحانه فيها

وانظر كيف كسا العظام العريضة كعظام الظهر والرأس كِسْوَةً من اللحم تناسبها، والعظام الدقيقة كسوة تناسبها؛ كالأصابع، والمتوسطة كذلك؛ كعظام الذراعين والعضدين؛ فهو مركب على ثلاث مئة وستين عظماً، منها مئتان وثمانية وأربعون مفاصل، وباقيها صغار حشت خلال المفاصل؛ فلو زادت عظماً واحداً؛ لكانت مُضِرَّةً على الإنسان، يحتاج إلى قَلْعِهِ، ولو نقصت عظماً واحداً؛ كان نقصاناً يحتاج إلى جبره.

فالطبيب ينظر في هٰذه العظام وكيفية تركيبها ليعرف وجه العلاج في جبرها، والعارف ينظر فيها ليستدل بها على عَظَمَةِ بارئها وخالقها، وحكمته وعلمه ولطفه، وما أبعد ما بين النظرين!

ثم إنه سبحانه ربط تلك الأعضاء والأجزاء بالرباطات، فَشَدَّ بها أَسْرَهَا، وجعلها كالأوتاد تمسكها وتحفظُها، حتى بلغ عددها إلى خمس مئة وتسعة وعشرين رباطاً، وهي مختلفة في الغِلظِ والرِّقَّةِ، والطُول والقِصَر، والاستقامة والانحناء؛ بحسب اختلاف مواضعها ومجالها.

فَجَعَلَ منها أربعة وعشرين رباطاً آلة لتحريك العين وفتحها وضمها وإبصارها، لو نقص منها رباطاً؛ اختل أمر العين.

وهٰكذا لكل عضو من الأعضاء رباطات هي له كالآلات التي بها يتحرك ويتصرف ويفعل.

كل ذٰلك صنع الرب الحكيم، وتقدير العزيز العليم، في قطرة ماء مهين؛ فويل للمكذبين، وبُعداً للجاحدين.

باطن الجسم

ثم إنه سبحانه ودَع في الرأس ثلاث خزائن، نافذاً بعضها إلى بعض، في مُقَـدَّمِـهِ ووسطه وآخره، وأودعها من أسراره ما أودعها من الذِّكْر والفِكْر والتعقُّلِ، وأودع في باطن خلق الإنسان ما فيه من القلب والكَبِدِ والطُّحال والرئة والأمعاء والمثانة وسائر ما في بطنه من الآلات العجيبة والقوى المتعددة المختلفة المنافع.

القلب وتكوينه وعجائبه

فأمـا القلب؛ فهـو المَلِكُ المُشَغِّـل لجميع آلات البـدن، المستخـدِم لهـا؛ فهـو محفـوف بهـا، محشود، مخدوم، مستقر في الوسط، وهو أشرف أعضاء البدن، وبه قِوَام الحياة، وهو منبع الروح الروحاني والحرارة الغريزيَّة، وهو مَعْدِنُ العقل، والحلم، والشجاعة، والكرم، والصبر، والاحتمال، والحب، والإرادة، والرضى، والغضب، وسائر صفات الكمال؛ فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جُنْدٌ من أجناد القلب:

فالعين طليعته ورائده الذي يكشف له المرئيات؛ فإن رأت شيئاً؛ أدَّته إليه، ولشدة الارتباط بينها وبينه، إذا استقر فيه شيء؛ ظهر منها؛ فهي مرآتـه المتـرجمة للناظر ما فيه؛ كما أن اللسان ترجمانه المؤدي للسمعِ ما فيه.

ولهٰذا كثيراً ما يقرن سبحانه في كتابه بين هٰذه الثلاثة؛ كقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾[7].

وبالجملة؛ فجميع الأعضاء خَدَمُ القلب وجنوده.

ومن ثَمَّ قال ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة: إذا صلَحت؛ صَلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[8].

---

(٧) الإسراء: ٣٦.

(٨) هٰذا الحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٠)، وكذا رواه البخاري في «صحيحه» (١/١٥٣ ـ فتح، في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه)، وكذا رواه مسلم في «صحيحه» برقم (١٥٩٩، في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات)، وابن ماجه برقم (٣٩٨٤، في كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٣١٩، في كتاب البيوع، باب في الحلال بيِّن والحرام بيِّن)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٦٤)، وأبو نُعيم في «الحِلْيَة» (٤/ ٣٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٨/ ١٢، باب الاتقاء عن الشبهات)، كلهم من طُرُقٍ عن زكريا ـ هو ابن أبي زائدة ـ، عن عامر ـ هو ابن شراحيل الشَّعبي ـ؛ قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن...»، وذكر الحديث بطوله حيث إن حديثنا جزؤه الأخير.

ورواه البخاري أيضاً برقم (٢٠٥١، في كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين) من ثلاث طرق عن النعمان بن بشير رضي الله عنه به من طريق ابن عون عن الشعبي به.

وكذا من طريق علي بن عبدالله، حدثنا ابن عيينة، حدثنا أبو فروة، عن الشعبي به.

=

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «القلب مَلِكٌ، والأعضاء جنوده؛ فإن طاب المَلِكُ؛ طابت جنوده، وإن خبث الملك؛ خبثت جنوده»(٩).

= وكذا من طريق عبدالله بن محمد عن ابن عيينة به.

وكذا من طريق محمد بن كثير، أخبرنا سفيان ـ هو ابن عيينة ـ، عن أبي فروة به، ومشايخ البخاري كلهم عن راوٍ واحد في هٰذه الأسانيد.

وللحديث طرق كثيرة نستغني بشهرته عن ذكرها، وقد ورد بأسانيد أُخَر عن ابن عمر رضي الله عنهما وابن عباس رضي الله عنهما.

(٩) هٰذا الأثر رواه الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٢/١، برقم ١٠٩)؛ قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد المنصور، حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه، ولفظه: «القلب مَلِكٌ، وله جنود، فإذا صلح الملك صلُحت جنوده، وإذا فَسد الملك فسدت جنوده، والأذنان قَمْعٌ، والعينان مسلحة، واللسان ترجمان، واليدان جناحان، والرجلان بريد، والكبد رحمة، والطِّحال ضحك، والكليتان مكر، والرئة نَفَس».

وقد أورده أبو حامد الغزالي في «الإحياء» (٩/٣) قال: قال كعب الأحبار: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها فقلتُ: الإنسان عيناه هادٍ، وأذناه قَمْعٌ، ولسانه ترجمان، ويداه جناحان، ورجلاه بريد، والقلب مَلِك، فإذا طاب الملك طابت جنوده؟ فقالت: هٰكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول.

ثم قال الحافظ العراقي في «تخريجه» عليه: رواه أبو نُعيم في «الطب النبوي»، والطبراني في «مسند الشاميين»، والبيهقي في «الشُّعَب» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وله لأحمد من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، أما الأذن فقمعٌ، وأما العين فمقرَّة لما يوعى القلب، ولا يصح منها شيء. انتهى.

قلت: وقد ذكر لفظ البيهقي السابق العلامة الشيخ الألباني رعاه الله ومتع =

وجُعِلَت الرئة كالمروحة، تُرَوِّحُ عليه دائماً؛ لأنه أشد الأعضاء حرارة، بل هو منبع الحرارة.

وأما الدماغ ـ وهو المخ ـ؛ فإنه جُعِلَ بارداً، واخْتُلِفَ في حِكْمَةِ ذٰلك:

فقالت طائفة: لأجل تبريد الحرارة التي في القلب لِيَرُدَّها عن الإفراط إلى الاعتدال.

وقالت طائفة: بل المخ حار، لٰكنه فاتر الحرارة، وفيه تبريد بالخاصيَّة؛ فإنه مبدأ للذهن، ولهٰذا كان الذهن يحتاج إلى موضع ساكن قارٍّ، صافٍ عن الأقذار والكَدَرِ، خال من الجَلَبَةِ[10] والدَّخَلِ، ولذٰلك تكون جَوْدَةُ الفِكْرِ والتَّذكُّرِ واستخراج الصَّوابِ عند سكون البدن وفتور حركته وقلة شواغله ومزعجاته، وكذٰلك لم يصلح لها القلب، أفضل أحوال الذهن

= به في «ضعيف الجامع» في (٣/١٣١) وضَعَّفه، وأحال حفظه الله ومتع به على «سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيىء في الأمة» برقم (٤٠٧٤) حيث المجلد التاسع يسر الله إخراجها كاملاً، آمين.

ثم قال البيهقي بعد روايته للحديث: وورد في معنى القلب حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

قلت: وقد سبق تخريجه كاملاً والحمد لله.

(١٠) (الجَلَبة)؛ بفتح الجيم واللام والموحدة التحتانية: الأصوات، وهو من أجْلَب وجَلَّب، من الصياح ورفع الصوت، الزَّجَل اللعب والجَلَبة ورفع الصوت، وأناس لهم زَجَلَ؛ أي: صوت مرتفع عالٍ، والمعنيات متقاربة. «لسان العرب» (مادة: جَلَبَ وزَجَلَ).

وكان الدماغ معتدلاً ؛ لأن ذٰلك صالحاً له ، ولذٰلك تجود هٰذه الأفعال في الليل وفي المواضع الخالية ، وتَفْسُدُ عند التهاب نار الغضب والشهوة ، وعند الهَمِّ الشديد، ومع التَّعب والحركات القوية البدنية والنفسانية .

مبدأ الحواس والعقل من القلب أو الدماغ

وهٰـذا البحث متصل بقاعدة أخرى، وهي أن الحواس والعقل مبتـدأها القلب أو الدماغ ؛ فعند طائفة أن مبدأها كلها القلب، وهي مرتبطة به ، وبينه وبين الحواس منافذ وطرق.

قالوا: وكل واحد من هٰذه الأعضاء ـ التي هي آلات الحواس ـ له اتصـال بالقلب بأعصـاب وغير ذٰلـك، وهٰذه الأعصاب تخرج من القلب، إلى أن تأتي إلى كل واحـد من هٰذه الأجسـام، التي فيهـا الحواس، منشأ هٰذه الأعضاء من القلب، وهو مركب من أشياء تُشاكِلُ جميع(١١) هٰذه الأقسام التي فيها الحواس؛ فالعين إذا أَبْصَرَتْ شيئاً ؛ أدته بالآلة التي فيها إلى القلب؛ لأن هٰذه الآلة متصلة منها إلى القلب، وكذا السمع وغيره؛ فكل العروق التي في البدن متصلة بالقلب: إمَّا بأنفُسِها، وإمَّا بواسطة؛ فما مِنْ عِرْق ولا عضو إلا وله اتصال بالقلب اتصالاً قريباً أو بعيداً، وينبعث منه في تلك العروق والمجاري إلى كل عضـو ما يناسبه ويشاكله، فينبعث منه إلى العين ما يكون منه حسن البَصَـر، وإلى الأذنين ما يدرك به المسموعات، واللحم ما يكون منه حسن اللمس، وإلى الأنف ما يكون منه حسن الشم، وإلى اللسان ما يكون منه حسن الذوق، وإلى كل قوة ما تمد قوته وتحفظها؛ فهو المُمِدُّ

---

(١١) في (ك): تُشاكل هٰذه الأقسام . . . والمُثبت من (ز).

القلب أول الأعضاء تكونا والرد على المخالف

لهٰذه الأعضاء والحواس والقوى، ولهٰذا؛ كان الصحيح أنه أول الأعضاء تَكَوُّناً.

ومن قال: إن العقل في الرأس؛ كالحنفية؛ فلعله بحسب الاتصال(١٢).

---

(١٢) هٰذا تأويل حسن جدّاً من المؤلف رحمه الله، حيث تحولت الخطرة أو الفِكرة من القلب إلى الرأس؛ فصار محل تنفيذ الفكرة من الرأس والمخ.

قال فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين ـ متع الله به ـ في جواب لسؤال حول هٰذا الموضوع ما نصه: والجواب عليه أن الناس قد اختلفوا قديماً وحديثاً أين محل العقل؟ نُقل عن بعض العلماء أن محله الدماغ، ونُقل ذٰلك عن الإمام أحمد رحمه الله، وقال آخرون: محله القلب، وله اتصال بالدماغ؛ فالقلب كالمولِّد للطاقة، والدماغ كالشمعة يضيء ويكشف الحقائق، ولو احترقت لم نستفد من المولد شيئاً، وهٰذا القول جامع بين الدليل الشرعي والدليل الحسي.

فمن الأدلة الشرعية قوله تعالى: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولٰكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾، وغيرها من الكتاب والسنة.

وأما الدليل الحسي؛ فقد قام الدليل على أن للدماغ تأثيراً كبيراً في إحساس الإنسان وتصوراته، وأنه إذا اختل الدماغ اختل التصور والإحساس.

وأما قول من زعم أن العلم الحديث دل على أن المخ هو الذي يتحكم في تصرف الإنسان؛ فيقال فيه: إن العقل قوة معنوية، لا يمكن أن يدرك بواسطة الحس، فمن الجائز من حيث التصور أن يكون الله أودعه ـ أعني العقل ـ في أي جزء أو عضو من البدن، ونحن لا نشعر إلا عن طريق الوحي، والوحي قد دل على أن محله القلب؛ فوجب اتباعه في ذٰلك، ويقال أيضاً: العلم الحديث علم =

. . . .

= مخلوق بُنِيَ على استنتاجات قد تخطىء وقد تصيب، وعلم الوحي علم خالق يعلم ما خلق، وأين يقع علم مخلوق من علم خالق؟! ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾.

ثم أطنب حفظه الله وأطال في الكلام والتفصيل الماتع في ذلك، وقال في آخر كلامه حفظه الله: والذي ترجح عندي الآن أن التصور والإدراك للمعاني محله الدماغ، ثم يبعث بذلك إلى القلب، والقلب يأمر ويدبر، فيبعث بأوامره إلى الدماغ، والدماغ يحرك الأعضاء. نقلاً عن كتاب «إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار لعدة مسائل في العقيدة تمس الواقع».

ثم نقل كلاماً عن شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله وغفر له في «مجموع الفتاوى» (**٩/٣٠٣**)؛ فنقلناه من مصدره بنصه حيث قال قدس الله روحه ونور ضريحه: فالعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل، وأما من البدن؛ فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض**. . .﴾ الآية، وقيل لابن عباس: بماذا نلت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول.

لكن لفظ «القلب» قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها علقة سوداء، وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً؛ فإن قلب الشيء باطنه، كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك، ومنه سمي القَليب قَليباً؛ لأنه أخرج قلبه وهو باطنه، وعلى هذا؛ فإذا أريد بالقلب هذا؛ فالعقل متعلق بدماغه أيضاً، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ كما يقول كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: إن أصل العقل في القلب، فإذا كَمُل انتهى إلى الدماغ.

والتحقيق أن الروح التي هي النَّفْس لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به فيتعلق بهذا وهذا، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة من القلب، والعقل يراد به العلم ويراد به العمل؛ فالعلم والعمل الاختياري أصله =

قال الإمام المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: الصواب أن مبدأ العقل ومنشأه من القلب، وفروعه وثمرته في الرأس، والقرآن قد دل على هٰذا بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلوبٌ يَعْقِلُونَ بِها﴾[13]، ﴿إِنَّ في ذٰلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[14]، ولم يُرِدْ بالقلب هنا مضغة اللحم المشتَرَكَةِ بين الحيوانات، بل المراد ما فيه من العقل واللُّبِّ.

وزعَم قوم أن مبدأ الحواس الدماغ، وأنكروا أن يكون بين القلب والعين والأذن والأنف أعصاب أو عروق، وقالوا: هٰذا كذب على الخِلْقَة.

قال ابن القيم: والصواب التوسط بين الفريقين، وهو أن القلب ينبعث منه قوة إلى هٰذه الحواس، وهي قوة معنوية، لا تحتاج في

= الإرادة، وأصل الإرادة القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد؛ فلا بد أن يكون القلب متصوِّراً؛ فيكون منه هٰذا وهٰذا، ويبتدىء ذٰلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ؛ فمنه المبتدأ وإليه المنتهى، وكلا القولين له وجه صحيح، وهٰذا مقدار ما وسعته هٰذه الأوراق والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله وغفر له وجعله من المهديين وعوض الأمة عنه خيراً، آمين.

ومن باب الفائدة نذكر أثراً رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٥٤٧، باب العقل في القلب) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: «إن العقل في القلب، والرحمة في الكبد، والرأفة في الطحال، والنَفَس في الرئة» بإسناد رجاله ثقات ومقبولون.

(١٣) الحج: ٤٦.

(١٤) قٓ: ٣٧.

وصولها إليها إلى مجاري مخصوصة وأعصاب تكون حاملة لها؛ فإن وصول القوى إلى هٰذه الحواس والأعضاء لا تتوقف إلا على قبولها واستعدادها وإمداد القلب، لا على مجاري وأعصاب، وبهٰذا يزول الالتباس في هٰذا المقام الذي طال فيه الكلام، وكثر فيه النزاع والخصام، والله ولي الإنعام.

ولا يخفى أن الذي ذكرناه من حِكْمَةِ خلْق الإنسان أقل القليل، والأمر أضعاف أضعاف؛ كما يخطر بالبال، أو ليتوهمه الخيال، أو يجري به المقال، ولٰكنا قصدنا الإشارة إلى قوله ﷺ في هٰذا الدعاء: «اللهم! أنت ربي، لا إلٰه إلا أنت، خلقتني».

وإلا؛ فلو نظر الإنسان إلى غذائه فقط، ومدخله ومستقرِّه ومخرجه؛ رأى منه العِبَر والعجائب:

فقد جعل الله له آلة يتناوله بها، ثم باباً يدخل منه، ثم آلة تُقَطِّعُهُ صِغاراً، ثم طاحوناً تطحنه، ثم أُعِينَ بماءٍ تَعْجِنُهُ.

ثم جعل له مجرى وطريقاً إلى جانب مجرى النَّفَس، ينزل هٰذا ويصعد هٰذا؛ فلا يلتقيان، مع غاية القُرْب.

ثم جعل له حَواياً وطُرُقاً تُوصِلُهُ إلى المعدة؛ فهي خزانته، وموضع اجتماعه، ولها بابان: باب أعلى يدخل منه الطعام، وهو أوسع، وباب أسفل يخرج منه ثَفْلُهُ، وهو أضيق من الأعلى؛ لأن الأعلى مدخل للحاصل، والأسفل مصرف للضار منه، والأسفل منطبق دائماً ليستقر الطعام في موضعه؛ فإذا انتهى الهضم؛ فإن ذٰلك الباب

ينفتح إلى انقضاء الدفع، ويسمى البواب لذٰلك، والأعلى يسمى فمُ المَعِدة، ينزل إلى المعدة مُتَلَمِّساً؛ فإذا استقر فيها؛ انماع وذاب.

ويحيط بالمعدة من داخلها وخارجها حرارة نارية، بل ربما تزيد على حرارة النار، يَنْضُجُ بها الطعام فيها كما ينضج الطعام في القِدْر بالنار المُحيطة به، ولذٰلك يذيب ما هو مُسْتَحْجِرٌ؛ كالحصا وغيره؛ حتى تتركه مائعاً؛ فإذا أذابته؛ علا صَفْوُهُ إلى فوق، ورَسَى كَدَرُهُ إلى أسفل.

ومن المعدة عروق مُتَّصلة بسائر البدن، تنبعث فيها مَعْلُومُ(١٥) كل عُضْوٍ وقِوامُهُ، بِحَسَب استعداده وقَبُوله، فينبعث أشرف ما في ذٰلك وألطفه وأحبُّه إلى الأرواح؛ فينبعث إلى البصر بصراً، وإلى السمع سمعاً، وإلى الشمِّ شمّاً، وإلى كل حاسَّةٍ بَحَسَبِها؛ فهٰذا ألطف ما يتولَّد عن الغذاء، ثم ينبعث منه إلى الدماغ ما يناسبه من اللَّطافة والاعتدال، ثم ينبعث من الباقي إلى الأعضاء في تلك المجاري بحسبها، وينبعث منه إلى العظام والشعور والأظفار ما يغذيها ويحفظها، فيكون الغذاء داخلاً المعدة من طُرُقٍ ومَجَارٍ، هٰذا وارد إليها، وهٰذا صادر عنها، حكمةٌ بالغة، ونعمة سابغة.

ولمَّا كان الغذاء إذا استحال في المعدة استحال دَماً ومِرَّةً سوداء ومِرَّةً صفراء وبَلْغَماً(١٦)؛ اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل واحد من هٰذه الأخلاط مَصْرفاً ينصبُّ إليه ويجتمع فيه، ولا ينبعث إلى الأعضاء

---

(١٥) أي: نصيبه وجزؤه المستحِقُّ له، والمقوِّي لهٰذا العضو والقائم به.

(١٦) (البلغم): اللُّعاب المختلط بالمخاط، الخارج من المسالك التنفُّسية.

الشـريفـة إلا أَكْمَلُهُ؛ فَوَضَـعَ البـراز مَصَبّاً للمِرَّة[17] الصفراء، وَوَضَعَ الطِّحال مصبّاً للمِرَّة السوداء، وجعلَ الكَبِدَ يمتص أشرف ما في ذٰلك، وهو الدم؛ فهو بيته، ثم يبعثه إلى جميع البدن من عِرْق واحد، ينقسم على مجـاري كثيرة، يوصِـل إلى كل واحـد من الشعـور والأعصاب والعظام والعروق ما يكون به قوامه، وأما البلغم؛ فبيته الصَّدر، وهو بارد رطب، لونه أبيض، وطعمه مالح.

ثم إذا نظرتَ إلى ما في الإنسـان من القـوى الباطنة والظاهرة المختلفة في أنفُسِها ومنافعها؛ رأيتَ العجب العُجاب؛ كقوة سمعه، وبصـره، وشمـه، وذوقه، ولَمْسِهِ، وحُبه وبُغْضه، ورضاه وغضبه... وغير ذٰلـك من القـوى المتعلقـة بالإدراك والإرادة، وكـذٰلـك القـوى المتصرِّفة في غذائه؛ كالقوة المنضِّجَةِ له، والقوة الماسِكَة له، والرافعة له إلى الأعضاء، والقوى الهاضمة له بعد أخذ الأعضاء حاجتها منه.

فهٰذا آثار صُنْعِ الله تعالى في قطرةٍ من ماء مهين؛ فلو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا لتلك النُّطفة سمعاً، أو بصراً، أو عقلاً أو قُدْرة، أو عِلْماً، أو رُوحاً، بل عظماً واحداً من أصغر عظامها، بل عِرْقاً واحداً من أدقِّ عروقها، بل شعرة واحدة؛ لعجزوا عن ذٰلك!!

---

(17) أي: المَرارة، وهي كيس لاصق بالكبد تُخْتَزنُ فيه الصفراء، وهي تساعد على هضم المواد الدهنيَّة، والمِرَّة ـ بكسر الميم، وفتح الراء المشددة ـ: خَلْطٌ من أخلاط البدن، وهو المسمى بالمزاج، ومِزَاجُ الجسم: ما أُسِّس عليه البدن من الدم والمِرَّتين والبلغم. «اللسان»، و«المعجم الوسيط».

فمن هٰذا صُنْعُه في قطرة ماء؛ فكيف صنعه في ملكوت السماوات والأرض[18]؟!

فسبحان من بَهَرَتْ قدرته العقول، وتضاءلت لعظيم حكمته الفحول، ودلَّت مصنوعاته على حكمته وقدرته وإرادته، لا إلٰه إلى هو، انفرد بِخَلْق المخلوقات، وأحاط بكل شيء عِلْماً.

مطلب
بيان قوله عليه الصلاة والسلام: وأنا عبدك

* قوله ﷺ: «**وأنا عبدك**»؛ أي: تألُّهاً وخَلْقاً، وهٰذا معطوف على قوله: «اللهم! أنت ربي»؛ كأنه قال: اللهم! أنت ربي وأنا عبدك.

وقوله: «لا إلٰه إلا أنت، خلقتني»: إذعانٌ واعتراف بتوحيد الإلٰهية وتوحيد الربوبية، وإقرارٌ بكل واحد منهما؛ كما أشرنا إليه سابقاً؛ أي: لا خالق لي ومربي ولا إلٰه ولا معبود سواك يا الله!

تعريف العبادة ومستلزماتها

فالعبادة لله اسم جامع لما أمر الله به ورسوله[1]، وأول ذٰلك إقرار

---

(١٨) كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**لَخَلْقُ السماوات والأرض أكبر من خَلْق الناس ولٰكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [غافر: ٥٧]، وإلى هنا انتهى كلام العلاَّمة ابن القيم رحمه الله من «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٣٧ ـ ٢٤٧).

(١) العبادة قد عُرِّفت بتعاريف كثيرة، من أجمعها تعريف شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية قدس الله روحه في أكثر من موضع، وهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، والكلام في =

العبد بأن الله ربه وخالقه، وأنه مفتقر إليه في كل نَفَسٍ، وأن وجوده ووجود قدرته وأفعاله به مِنْه[٢]، وأن وجود كل ما يوجد وكل ما وُجِدَ؛ فمنه سبحانه؛ فإنه خالق ذٰلك، وخالق كل شيء وربه ومليكه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

فلا يكون العبد عابداً لله ولا مؤمناً به حتى يُقِرَّ بهٰذا كله.

ما صرف لغير الله تعالى من العبادة شرك

ثم لا بد أن يكون عمله لله؛ فبذٰلك يكون عابداً، وإلا؛ فلو أقر بربوبيته، وعبد غيره؛ كان من جنس المشركين الذين يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره؛ كما أشار إلى ذٰلك شيخ الإسلام في بعض كتبه[٣].

= العبودية ودرجاتها قد تكلم عليه العلماء بالعَجَب؛ فليُنظر مثلاً «مدارج السالكين» وغيره كثير.

(٢) قوله رحمه الله: إن وجوده ووجود أفعاله به مِنْهُ...؛ أي: الإنسان، حيث إن وجوده وقدرته بمشيئة الله وقدرته، بخلاف «الجبريَّة» الذين يقولون: إنهم مجبورون على أفعالهم وإنها واقعة بغير قدرتهم، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتَّة، وقالوا: إن أفعال العباد كأفعال المرتعش، وإضافة الفعل إلى العبد مجاز، وكذا بخلاف وعكس هٰؤلاء القدريَّة الذين غلو في إثبات أفعال العباد، فقالوا: إن العبد يخلق فعل نفسه وبدون مشيئة الله وإرادته؛ فالله لم يُقدِّرها ولم يُردها، فما ذهب المؤلف إليه هو مذهب أهل السنة والجماعة في ذٰلك، وهم وسط بين من ابتعد وحاد عن الصراط المستقيم.

(٣) وقد أشار أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه إلى ذٰلك في مواضع كثيرة، انظر على سبيل المثال: «مجموع الفتاوى» الأجزاء (١ و٢ و٣)، وكذا «الرد على الأخنائي»، وكذا «شرح الأصبهانية»، وكذا «بغية المرتاد»، وغيرها أكثر =

مطلب

درجة العبودية وشرفها وعلو مكانة أهلها

ودرجة العبودية أفضل الدرجات وأرقى المنزلات، ولهٰذا فضَّل الله تعالى بني آدم بها، ودعاهم إليها.

والمراد: العبودية الاختيارية، التي يأتون بها طَوْعاً واختياراً، لا إكراهاً واضطراراً.

وقد ثَبَتَ أنه سبحانه أرسل إسرافيل إلى النبي ﷺ يخيره بين أنْ يكون ملَكاً نبيّاً أو عبداً نبيّاً، فنظر إلى جبريل كالمُستشير؛ فأشار إليه أن تواضع، فقال: «بل أكون عبداً نبيّاً»[1]. رواه الإمام أحمد وأبو

= مما ذُكِر.

ولِزاماً انظر: «مجموع الفتاوى» (١٨/١٦٢) وما بعدها.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٣١)، وكذا أبو يعلى في «مسنده» برقم (٦١٠٥)، كلاهما من طريق: محمد بن فضيل، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر في السماء؛ فإذا مَلَكٌ ينزل، فقال له جبريل: إن هٰذا الملك ما نزل مُذْ خُلِقَ قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد! أرسلني إليك ربك: أمَلِكاً أجعلك أم عبداً رسولاً؟ قال له جبريل: تواضع لربك يا محمد. فقال: «لا، بل عبداً رسولاً».

وقد رواه غير من ذكر المؤلف رحمه الله: ابن حبان (٢١٣٧ ـ موارد، في كتاب علامات نبوة نبينا محمد ﷺ، باب في زهده وتواضعه وما عُرِض عليه ﷺ) من طريق أبي يعلى، وذكر الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١ =

يعلى[٢] وابن عساكر[٣] عن أبي هريرة، وابن عساكر من حديث عائشة، وأبو نعيم عن ابن عمر، وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد ذكر حبيبه ونبيه ﷺ باسم عبوديته في أشرف مقاماته؛ في مقام الإسراء، ومقام الدعوة، ومقام التحدي:

فقال في مقام الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[٤]، ولم

= و٢٢) الحديث ثم قال: رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، ورجال الأولين رجال الصحيح.

وكذا رواه أبو يعلى في «مسنده» برقم (٤٩٢٠)، وكذا أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص ١٧٠، باب ذكر تواضعه في أكله ﷺ)، وكذا رواه البغوي في «شرح السنة» برقم (٣٦٨٣، في ١٣/٢٤٧، باب تواضعه ﷺ)، كلهم من طريق: أبي يعلى؛ قال: حدثنا محمد بن بكار، حدثنا أبو معشر ـ هو نجيح بن عبدالرحمن السندي ـ، عن سعيد المقبري، عن عائشة رضي الله عنها بنحوه.

وفيه أبو معشر، قال الحافظ في «التقريب»: مشهور بكنيته، ضعيف، أسنَّ واختلط. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/٢٢): رواه أبو يعلى وإسناده حسن. وقد رُوي الحديث من طريقين آخرين لم يثبتا، وقد ثبت الحديث بالطريق الأولى التي ذكرنا، والحمد لله رب العالمين.

(٢) الإمام، الحافظ، أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، محدِّث الموصل، وصاحب «المسند» ـ وموجود منه الصغير وأصله الكبير مفقود ـ، و«المعجم»، لَقي الكبار، وارتحل في حداثته إلى الأمصار، توفي سنة سبعٍ وثلاث مئة للهجرة.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) الإسراء: ١.

يَقُلْ: برسوله، ولا: نبيه، أشار إلى أنه نال هٰذا المقام الأعظم بكمال عبوديته لربه[٥].

وقال في مقام الدعوة: ﴿وأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكونونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾[٦].

وقال في مقام التحدِّي: ﴿وإِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا على عَبْدِنا فَأْتوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[٧].

وفي «الصحيحين» في حديث الشفاعة وتَراجُعِ الأنبياء فيها وقول المسيح عليه السلام: «اذهبوا إلى محمد؛ عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٨]؛ فدل ذٰلك على أنه نال ذٰلك المقام العظيم بكمال عبوديته لله وكمال مغفرة الله له.

---

(٥) قال أبو عبدالله القرطبي رحمه الله في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (ص ٣٨٣١): قال القُشيري: لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السَّنية، وأرقاه فوق الكواكب العُلوية؛ ألزمه اسم العبودية تواضعاً للأمة ﷺ. انتهى.

(٦) الجن: ١٩.

(٧) البقرة: ٢٣.

(٨) حديث الشفاعة رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٥١٠، في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل مع الأنبياء يوم القيامة وغيرهم)، وكذا رواه مسلم برقم (٣٢٦، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/٤٢، في كتاب الإيمان، وباب ما جاء في الحلف بصفات الله تعالى)؛ كلهم من طريق: حماد بن زيد، ثنا معبد بن هلال العنزي، ثنا الحسن، ثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، به.

ورواه البخاري أيضاً في «الصحيح» برقم (٦٥٦٥، في كتاب الرقاق، =

ولمـا كانت العبـودية عنـد الله بهٰـذه المنـزلـة الرفيعة والدرجة الشامخة المنيعة؛ اقتضت حكمة العليم الحكيم أن أسكن آدم وذريته داراً ينـالون فيها هٰذه الدرجة؛ بكمال طاعتهم وتقرُّبِهم إليه بِمَحَابِّه،

= باب صفـة الجنة والنار)، ورواه مسلم في «الصحيح» برقم (٣٢٢، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة)، كلاهما من طريق: أبي عوانة، ثنا قتادة، عن أنس به.

وكذٰلك رواه أبو داود الطيالسي في «المسند» برقم (٢٠١٠)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٣٣/٣)، كلاهما من طريق: همام، عن قتادة، عن أنس به.

ورواه البخاري أيضاً برقم (٤٤٧٦، في كتاب التفسير، باب وعلم آدم الأسمـاء كلهـا)، وكـذا مسلم في «صحيحـه» برقم (٣٢٥) في نفس موضعيه السابقين، والإمام أحمد (١١٦/٣)، وكذا ابن ماجه في «السنن» (٤٣١٢، في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة)، من طرق عن سعيد ـ هو ابن أبي عروبة ـ عن قتادة عن أنس بنحوه.

ورواه البخـاري برقم (٤٤، في كتـاب الإيمـان، باب زيادة الإيمـان ونقصـانـه)، وكـذا رواه في (التـوحيد، برقم ٧٥١٦، في باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليماً**﴾، وكذا برقم ٧٤١٠، في باب ﴿**لما خلقت بيدي**﴾)، وكذا رواه مسلم برقم (٣٢٥) بإسناد آخر، كلاهما من طرق عن هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه بنحوه.

وكذا رواه أحمد (١٤٤/٣ و١٤٥)، والدارمي في «المقدمة» (٤١/١، برقم ٥٢، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل)، كلاهما من طريق: الليث، حدثنا يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن أنس رضي الله عنه بنحوه، وأكتفي بذٰلك لتمام المقصود، والحمد لله.

وتَرْك مألوفاتهم من أجله؛ فكان ذٰلك من تمام نعمته عليهم وإحسانه إليهم[٩].

العبد لغة: المملوك من نوع من يعقل.

وقال في «المُحكَم»[١٠]: العبد: الإنسان؛ حرّاً كان أو رقيقاً؛ لأنه مملوك لبارئه.

وقال سيبويه: إنه في الأصل صفة، ولٰكنه اسْتُعْمِل استعمال الأسماء[١١]، وأجمع المسلمون على أن المراد بالعبد في الآيات المذكورة: محمد ﷺ[١٢].

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق[١٣]: ليس للمؤمنين صفة أتم ولا أشرف من العبودية، ولهٰذا أطلقها الله تعالى على نبيه في أشرف

---

(٩) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (ص ٨ و٩).

(١٠) اسمه «المُحْكَم والمحيط الأعظم»، وهو كتاب كبير مشتمل على أنواع اللغة، وقد رتبه مؤلفه رحمه الله على حروف المعجم، وذكر «ياقوت» أنه اثنا عشر مجلداً، وقد طُبع منه أربعة مجلدات، وهو لإمام اللغة علي ابن إسماعيل المُرسي، المعرف بابن سِيْدَه.

(١١) «لسان العرب» (مادة: عَبَد).

(١٢) وذٰلك باستقراء جميع التفاسير، ومن تكلم على العبودية لله، وعبودية الأنبياء وبخاصة نبينا محمد ﷺ.

(١٣) الحسن بن علي بن محمد الأستاذ، أبو علي الدَّقاق، شيخ أبي القاسم القشيري، نيسابوري الأصل، تعلم العربية وعِلْمَ الأصول، وبرع في الفقه وسلك طريق التصوف، توفي سنة خمس وأربع مئة للهجرة.

المواطن؛ كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرْقانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[١٤]، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ ما أَوْحَى﴾[١٥].

ويقال: إنه لما وصل ﷺ إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج؛ أوحى الله تعالى إليه: يا محمد! بِمَ أُشَرِّفُكَ؟ قال: يا رب! بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية. فأنزل الله سبحانه: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

ولهٰذا قال القاضي عياض[١٦] رحمه الله:

وَمِمَّا زادَني عُجْباً وَتِيهاً
وَكِدْتُ بِأَخْمَصي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخولي تَحْتَ قَوْلِكَ يا عِبادي
وأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لي نَبِيّا[١٧]

---

(١٤) الفرقان: ١.

(١٥) النجم: ١٠.

(١٦) هو عياض بن موسى بن عياض، الإمام، العلَّامة، الحافظ، شيخ الإسلام القاضي اليحصُبي المالكي، استبحر من العلوم وجمع وألَّف، وسارت بتصانيفه الركبان، ومنها «الإكمال في شرح صحيح مسلم»، و«مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث»، و«الشفا في أحوال المصطفى»، وكتابه الفذ «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، توفي رحمه الله سنة أربع وأربعين وخمس مئة للهجرة.

(١٧) البيتان لم نجد لهما مصدراً يثبتهما للقاضي ألبتة، وأحسن من ترجم للقاضي عياض هو المقَّري في كتابه «أزهار الرياض في ترجمة القاضي =

ومن هٰذا قول بعضهم:

لا تَدْعُني إلَّا بيا عَبْدِها
فإنَّهُ أشْرَفُ أسْمائِيا

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحَهُ يقول: من أراد السعادة الأبدية؛ فليلزم عَتَبة العبودية[18].

وقال بعض العارفين: لا طريق أقرب إلى الله من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى، ولا ينفع مع الإعجاب والكِبْر عمل واجتهاد، ولا يضر مع الذل والافتقار بطالة (يعني: بعد فعل الفرائض)، والقَصْدُ أن الفقر والذل والانكسار تُدْخِلُ على الحليم الغفار، وترميه على طريق المحبة والوَلَه[19]؛ لأنه نَفَضَ يديه مما سواه مما عليه وله؛ فينفتح له من هٰذا باب لا يُفْتَح له من غير هٰذا الطريق، وإن كانت طُرُقُ سائر الأعمال والطاعات تَفْتَحُ للعبد باباً من المحبة على التحقيق، لٰكن الذي يُفْتَحُ منها من هٰذا الطريق قريب بلا تعويق؛ فالذل والانكسار، والعجز والافتقار، وازدراء النفس ورؤيتها بعين العيب والذم والنقص والضعف واللؤم؛ بحيث يشاهدها متصفة بكل عيب وذنب، وكل تفريط وخَطْب، نوع آخر وفتح آخر.

مرتبة العبودية العظمى

= عياض» في ثلاث مجلدات، ولم نجد فيه هٰذين البيتين؛ فالله أعلم.

(١٨) نقلاً عن ابن القيم رحمه الله من «المدارج» (١/٤٣١)؛ فإنه رحمه الله ينقل عن شيخه مشافهة ما لا يوجد عنه كتابة.

(١٩) (الوَلَه)؛ بفتح الواو واللام: الحُزن، وقيل: هو ذهاب العقل، والتحيُّر من شدة الوجد، أو الحزن، أو الخوف. «اللسان» (مادة: وَلَه).

والسـالك بهٰذا الطريق غريب في الناس، هم في وادٍ وهو في واد، وتُسَمَّى طريقـة الـطَّيْر، يَسْبِقُ النـائمُ فيها على فراشه السعادة، فيُصبـح وقد قطع الرَّكبَ بينما هو يحدِّثُك، وإذا هو قد سبق الطَّرْفَ وفات السعادة[٢٠]، وذٰلك لأنه رأى نفسه أعجز شيء؛ لأنه لا قوة له ولا حول إلا بربه، قد سلَّم الأمر لذي النَّهي والأمر، فيشهد قلبه كريشة

(٢٠) هنيئـاً لمن بلغ هٰذه المرتبة العليا من مراتب العبـودية، والدرجة الكبرى من درجات الذل والانكسار للعزيز الجبار؛ فهو الذي نال السعادة الأبدية لا غير، ومـا أتاه من الفتن ومضلاتها فلا ضير؛ فهٰذه حال من تخلى عن الدنيا بقلبه، واتجه إلى الآخرة بكليته، وعرف أنه صائر إلى المُقام الأبدي، وأنه مقيم الآن في المُقام الزائل الزائف، الذي عرف وطبق مقولة: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، ظاهِره كباطنه، بلغ مرتبة الإحسان؛ فهـو يعبـد الله كأنه يراه وينظر إليه، نظرته عبرة وتفكر، وكلامه حكمة وتعقُّل، حركاته وسكناته كلها لله تعالى، تيقن بأنه في أي لحظة راحل عن هٰذه الدنيا؛ فعمل وجد، وشمَّر، وبإذن الله سيسرُه ما يجد.

وانـظر وصف المؤلف رحمه الله لحال العبد هنا بأنه يعيش بين الناس ـ وذٰلك في وقت المخالطة ـ، ويحادثهم ويجلس بينهم، بل قد يكون أفقرهم، بل أصغرهم . . . ومع ذٰلك؛ فإنه في عالم آخر مما وجده وعاشه من نعيمٍ لتذوقه طعم العبودية، وطعم تلاوته لكتاب الله تعالى . . . قد طار قلبه عن هٰذه الدنيا إلى السمـاء العُليا لشغفـه بمحبوبه الأول وخالقه الأعظم عز وجل، كما قد سماها المؤلف رحمه الله طريقة الطير، زاهداً ورعاً صالحاً مصلحاً ـ ولا نزكي أحداً على الله تعالى ـ؛ حتى حصلت له السعادة الدنيوية والأخروية، نسأل الله من فضله وجوده وكرمه، آمين . . .

فلنُكْمِل ذٰلك مع المؤلف رحمه الله.

ملقاة بأرض فَلاة[21]، تُسيِّرُها الرياح يميناً وشمالاً، وتَعْصِفُ بها الأقدار إدباراً وإقبالاً، ويَشْهَدُ نَفْسَه كراكبٍ سفينة في البحر يهيج بها الريح، وتتلاعب الأمواج بتلك الألواح؛ فترفعها تارة، وتخفضها أخرى، فتجري عليه أحكام القَدَر، وهو كالآلة طريحاً بين يدي من هو أولى به وأحرى، قد ألقى نفسه ببابه[22]، ووضع خدّه على ثرى أعتابه، لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا وصلاً ولا قطعاً؛ فما له من نفسه سوى الجهل والظلم وآثارهما ومقتضياتهما؛ فالهلاك أولى إليه من شراك نعله؛ كشاة ملقاة بين الذئاب والسباع، لا يَرُدها عنها إلا الراعي؛ فلو تخلى عنها طَرْفَة عين؛ لتقاسمتها أعضاءً؛ فهٰكذا حال العبد ملقى بين يدي الله، وبين أعدائه من شياطين الإنس والجن؛ فإن حَمَاهُ منهم، وكفهم عنه؛ نجا ولم يجدوا إليه سبيلاً، وإلا؛ بأن تخلى عنه، وَوَكَلَهُ إلى نفسه طرفة عين؛ صار أُكْلَةً لمن ظفر به منهم وسبق غيره إليه، حينئذٍ يعرف نفسه حقاً، ويعرف ربه، وهٰذا أحد التأويلات للكلام المشهور: «من عرف نفسه عرف ربه»، وليس هو حديثاً عن رسول الله ﷺ؛ كما قد توهمه جماعة، وسألنا عنه بعض طلبة العلم، وإنما هو أثر إسرائيلي بغير هٰذا اللفظ، ولفظه: «يا إنسان! اعرف نفسك تعرف ربك»[23].

---

(٢١) (فَلَاة)؛ أي: أرض فضاء واسع. عند كتب اللغة و«القاموس».

(٢٢) وذٰلك يتعيَّن حال المصائب والبلايا؛ فيُحِسُّ العبد أنه مخلوق مُلْكٌ لغيره قد خُلِقَ لحاجة، وهٰذا الذي أصابه ضمن هٰذه الحاجة؛ فهو يحمد الله ويشكره حتى حال المصيبة، نسأل العظيم من فضله، آمين.

(٢٣) من باب الفائدة ذكر السيوطي رحمه الله في مجموعهِ الفذ الرائع =

. . . .

= «الحاوي للفتاوي» رسالة مُفيدة سماها «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه»، ومما قاله رحمه الله بعدما تكلم كلاماً طويلاً وأتى بالنقولات التي دلَّت على عدم ثبوته مرفوعاً نقلاً عن النووي وابن السمعاني في الأحاديث المشتهرة»، ونقل عن ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله.

ثم بعدما أكثر النقل؛ قال غفر الله له ورحمه: وفي هٰذا الحديث تفسير آخر، وهو أنك تعرف أن صفات نفسك على الضد من صفات ربك. . . واعلم أنه لا سبيل لك إلى معرفة إياك كما إياك؛ فكيف لك سبيل إلى معرفة إياه ـ أي: الله عز وجل ـ كما إياه؟ فكأنه بهٰذه المقولة: من عرف نفسه. . . علَّق المستحيل على مستحيل. . . وفي ذٰلك أقول (أي: السيوطي):

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قَصُر القول فذا شرحٌ يطول
هو سرٌّ غامضٌ من دونه ... ضُربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا ... تدرِ من أنت ولا كيف الوصول

ثم بعد أبيات قال:

فإذا طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها خلول
كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقلْ كيف استوى كيف النزول

إلى آخر الأبيات.

فنقول إتماماً للفائدة: إن من عرف نفسه بالضعف والتقصير؛ عرف ربه جل وعلا بالعظمة والربوبية، كما ذكر في أول كلامه، وكما سيأتي عن الإمام ابن القيم رحمه الله.

وللفائدة المرجوة انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه في بداية المجلد الثاني، ولِزاماً انظر: كلام المحشي رحمه الله في أول المُجَلَّد.

كما قاله الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «شرح منازل السائرين»[٢٤]؛ قال:

معنى: (من عرف نفسه عرف ربه)

وفيه ثلاث تأويلات:

أحدها: أن من عرف نفسه بالضعف؛ عرف ربه بالقوة، ومن عرفها بالعجز؛ عرف ربه بالقدرة، ومن عرفها بالذُّل؛ عرف ربه بالعز، ومن عرفها بالجهل؛ عرف ربه بالعلم؛ فإن الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق والحمد، والثناء والمجد، والغِنَى، والعبد الفقير ناقص محتاج، وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه وجهله؛ ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله.

الثاني: أن من نظر إلى نفسه وما فيها من الصفات الممدوحة؛ من القوة، والإرادة، والكلام، والمشيئة، والحياة؛ عرف أن من أعطاه ذلك وخلَقه فيه أولى به؛ فمعطي الكمال أحق بالكمال؛ فكيف يكون العبد حيّاً، متكلماً، سميعاً، بصيراً، مريداً، عالماً، يفعل باختياره، ومن خلقه وأوجده لا يكون أحق بذلك منه؟! فهذا من أعظم المحال، بل من جعل العبد متكلماً أولى أن يكون هو متكلماً[٢٥]، ومن جعله حيّاً قادراً سميعاً بصيراً أولى بذلك؛ فالتأوُّل الأول من باب الضِّد، وهذا من باب الأولوية.

---

(٢٤) وقد ذكر ابن القيم رحمه الله قبل ذلك أثراً إسرائيليّاً وليس بحديث مرفوع.

(٢٥) في النسختين: ... أولى أن يكون متكلماً، والمثبت من «المدارج».

الثالث: أن هٰذا من باب النفي ؛ أي : كما أنك لا تعرف نفسك التي هي أقــرب الأشياء إليك ؛ فلا تعـرف حقيقتهـا ولا ماهيتهـا ولا كيفيتها ؛ فكيف تعرف حقيقة ربك وكيفية صفاته؟!

والمقصود أن العبد يعرف بقلبه معرفة حقيقية أنه عاجز ضعيف، فتزول عنه رعونات الدعاوى والإضافات إلى نفسه، ويعلم أنه ليس له من الأمر شيء، بل هو ضعيف عاجز، وفقير منكسر القلب.

وأحب القلوب إلى الله تعـالى قلب تَمَكَّنَتْ منه هٰذه الكسرة، ومَلَكَتْهُ هٰذه الذِّلَّة والعجز؛ فهو ناكس الرأس بين يدي ربه، لا يرفع رأسه إليه حياءً منه وخجلاً.

قيل لبعض العارفين : أيسجد القلب؟ قال : نعم ؛ يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة.

فهٰذا سجود القلب ؛ فقلب لا تباشره هٰذه الكسرة ؛ فهو غير ساجد السجود المراد منه(٢٦).

---

(٢٦) والعَجَب أنك ترى الخَلْق قد صرفوا قلوبهم وعباداتهم إلى الظاهر دون الباطن، وهٰذا هو السبب الذي يجعل العبادة على القلب تتحول إلى عادة، بل قد يزداد القلب قسوة مع الأيام حتى عند ممارسة هٰذه العبادة ؛ لأنه أصبح يؤديها كعادةٍ أو رياءٍ أو نحو ذٰلك من الأحوال الخالية من الإخلاص، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فمقصود الشارع سبحانه بأمر عباده استجابة القلب وخضوعه قبل استجابة الجوارح، لذا ؛ فإننا نجد أن بعض الناس قد يُكثر من العبادة، ولا يصل إلى بعض ما وصل إليه من لم يتعب جوارحه بالعبادة ؛ لفارق الباطن بينهما، نسأل الله من فضله.

وإذا سجد القلب لله هٰذه السجدة العظمى؛ سجدت معه جميع الجوارح، وعنا الوجه حينئذٍ للحي القيوم، وخشعت الأصوات والجوارح كلها، وذَل العبد، وخَضع واستكان، ووضع خَدَّه على عَتَبَةِ العبودية ناظراً بقلبه إلى ربه ووليه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم؛ فلا يرى إلا مُتَمَلِّقاً لربه خاضعاً له، ذليلاً مستكيناً متعطفاً له، يسأله عطفه ورحمته؛ فهو ملاذه وبه معاذه...

يا مَنْ أَلُـوذُ بِهِ فيمـا أُؤَمِّـلُهُ
وَمَـنْ أَعُـوذُ بِهِ فيمـا أُحـاذِرُهُ
لَا يَجْبُـرُ النَّـاسُ عَظْمـاً أَنْتَ كاسِـرُهُ
ولا يُهِيضُـونَ عَظْمـاً أَنْتَ جَابِـرُهُ(٢٧)

فإذا تمكنت المسكنة والذلة والانكسار من القلب، وعرف نفسه بالعجز والتقصير، وأنها متصفة بكل عيب ووصف حقير، وأنه لا حول له ولا قوة، ولا دفـع ولا منع، ولا ضرر ولا نفع؛ إلا بالله، وأنه لولا عنايته؛ لمزَّقَتْه الرياح، واحتوشته الشياطين، وتناهبته السباع، وغَرَّقَتْهُ البحار؛ أدى حينئذٍ العبوديةَ حقها، فتصير خطرة المحبة مكان خطرات

(٢٧) هٰذان البيتان للمتنبي أحمد بن الحسين، الشاعر المشهور، وهما ليسا في «ديوانه»، وقد أوردهما الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله في «البداية والنهاية» (١١/٢٧٥)، وعزاهما له، ثم قال ـ أي: ابن كثير ـ: وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ المذكور ـ أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله ـ يقـول: ربما قلت هٰذين البيتين في السجود، أدعو الله بما تضمناه من الذُّل والخضوع. اهـ.

المصيبة، وإرادة التقرب إليه ومرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطه، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي؛ قد امتلأ قلبه من محبته، ولهج لسانه بذكره، وانقادت الجوارح لطاعته؛ فإن هذه الكسرة الخالصة لها تأثير عجيب.

حُكِيَ في «شرح منازل السائرين» عن بعض العارفين؛ قال: دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها؛ فما دخلت من باب؛ إلا رأيت عليه الزحام، فلم أتمكن من الدخول، حتى جئت باب الذل والافتقار؛ فإذا هو أقرب باب إليه وأوسعه، ولا مزاحم فيه ولا معوق؛ فما هو إلا أن وضعتُ قدمي في عَتَبَتِهِ؛ فإذا قد أخذ بيدي وأدخلني عليه.

وفي «مسند الإمام أحمد» رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يُغْرِقَ بني آدم، والملائكة تستأذن أن تعاجله وتهلكه، والرب تعالى يقول: دَعُوا عبدي؛ فأنا أعلم به إذ أنشأته من الأرض، إن كان عبدكُم؛ فشأنكم به، وإن كان عبدي؛ فمِنِّي إلى عبدي، وعزتي وجلالي؛ إن أتاني ليلاً؛ قبلته، وإن أتاني نهاراً؛ قبلته، وإن تقرب مني شبراً؛ تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً؛ تقربت منه باعاً، وإن مشى إليَّ؛ هرولتُ إليه، وإن استغفرني؛ غفرت له، وإن استقالني؛ أقلتُه، وإن تاب إليَّ؛ تُبْتُ عليه، مَنْ أَعْظَمُ مني جوداً وكَرَماً؛ وأنا الجواد الكريم؟ عبيدي يبيتون يُبارِزُونني بالعظائم، وأنا أكْلؤهم في مضاجعهم، وأحرسهم على فرشهم، مَنْ أقبَلَ إليَّ؛ تلقيته من بعيد، ومن ترك لأجلي؛ أعطيته فوق المزيد، ومن تصرف بحولي وقوتي؛ ألنت له الحديد، ومن أراد مرادي؛ أردت ما يريد، أهل ذكري

سعة رحمة الله وعفوه

أهل مُجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقْنِطُهُم من رحمتي: إن تابوا؛ فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا؛ فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب»(٢٨).

---

(٢٨) إلى هنا انتهى كلام الإمام ابن القيم رحمه الله من «مدارج السالكين» (١/٤٢٧ ـ ٤٣٣)، والذي بدأ معنا في هٰذا الكتاب من صحيفة (٢٧٩).

والحديث روى بعضه الإمام أحمد في «المسند» (١/٤٣) بلفظ: «ليس من ليلةٍ إلا والبحر يُشرف فيها ثلاث مرات على الأرض، يستأذن الله أن ينفضخ عليهم؛ فيكفه الله عز وجل».

و (ينفضخ)؛ أي: ينفتح عليهم ويغرقهم، رواه من طريق: يزيد ـ هو ابن هارون ـ، أنبأنا العوَّام ـ هو ابن حوشب ـ، حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل، قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وذكر الحديث مرفوعاً باللفظ السابق، والزيادة التي ذكرها المؤلف وردت صحيحة في أحاديث أخر متفرِّقة.

قال ابن الجوزي رحمه الله نقلاً عن «الفتح الرباني»: فيه العوام عن شيخ كان مرابطاً بالساحل، والعوام ضعيف، والشيخ مجهول.

قلت: وكذلك أبو صالح مولى عمر رضي الله عنه ذكره الحافظ في «التهذيب» ممن روى عن العوام بن حوشب، وعرَّفه بأبي محمد، وقال رحمه الله في «التقريب»: قيل: محمد بن أبي محمد مجهول، والعوام وثَّقه غير واحد، قال الإمام أحمد: ثقة ثقة، وقال ابن معين وأبو زرعة: ثقة، وقال أبو حاتم: ليس به بأس، وقال العجلي في «الثقات»: كوفي ثقة، رجل صالح. وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه «للمسند» (١/ ٢٨٦): إسناده ضعيف، وأعله رحمه الله بجهالة الشيخ، وكذا بجهالة أبي صالح المولى، ولوسط الحديث وآخر شواهد تقويه معناه، وردت معنا في هٰذا الكتاب.

مطلب

كيف ينال العبد درجة العبودية

تنبيه: قد كثرت أقوال علماء الصوفية وأرباب المعارف والأحوال في العبارة في العبد والعبودية، وكل واحد تكلم بلسان قالِهِ على قدر مقامه وحاله.

قال ابن عطاء الله(١): العبد الذي لا مُلْكَ له.

وقال رُوَيْم(٢): يتحقق العبد بالعبودية إذا أَسْلَمَ القيادة من نفسه إلى ربه، وتبرأ من حوله وقوته، وعَلِم أن الكل له وبه(٣).

وقال عبد الله بن محمد(٤): حِزْتَ درجة العبودية: إنْ كنتَ لا ترى لنفسك مُلْكاً، وتعلَمُ أنك لا تملك لها نفعاً ولا ضرّاً.

وما أحسن ما قيل في هٰذا القبيل:

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبدالكريم، أبو الفضل، تاج الدين بن عطاء الله، متصوف من العلماء، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه، له تصانيف؛ منها: «الحِكَم العطائية» في التصوف، و«تاج العروس» في الوصايا والعظات، و«لطائف المِنن في مناقب المرسي وأبي الحسن»، وهو اسكندري الأصل، توفي بالقاهرة سنة تسع وسبع مئة للهجرة.

(٢) رُوَيْم بن أحمد بن يزيد، أبو الحسن الصوفي، أبو نُعيم، كان من أفاضل البغداديين، وكان عالماً بالقرآن ومعانيه، وقال جعفر الرازي: أحمد أئمة أهل زمانه. توفي سنة ثلاثٍ وثلاث مئة للهجرة.

(٣) الضميران الأخيران المقصود بهما ـ لفظ الجلالة ـ الله عز وجل.

(٤) لعله عبدالله بن محمد المعروف بأبي إسماعيل الهروي صاحب «منازل السائرين»، وقد تقدمت ترجمته.

وكُنْتُ قَديمـاً أطْلُبُ الـوَصْـلَ مِنْهُمُ
فَلَمَّـا أتـاني العِلْمُ وارْتَفَـعَ الجَهْـلُ
تَيَقَّـنْـتُ أنَّ الـعَـبْـدَ لا طَلَبٌ لَهُ
فَإنْ قُرِّبـوا فَضْـلٌ وإنْ بُعِّـدُوا عَدْلُ
وإنْ أظْهَـروا لَمْ يُظْهِـروا غَيْرَ وَصْفِهِمْ
وإنْ سَتَـروا فالسَّتْـرُ مِنْ أجْلِهِمْ يَحْلُ[٥]

وفي «تـاريخ ابن خِلِّكَـان»[٦] في ترجمـة أبي الفتوح أحمد بن محمـد الطوسي الغزالي[٧] أخي الإمام أبي حامد الغزالي[٨] صاحب

---

(٥) هذه الأبيات لا نعلم من قالها مع طول البحث، والله أعلم.

(٦) تقدمت ترجمة ابن خِلِّكان في أول الكتاب.

(٧) هو أحمـد بن محمـد بن محمد الغزالي الطوسي، أخو أبي حامد الغزالي، كان واعظاً حسن المنظر، وكان من الفقهاء، غير أنه مال إلى الوعظ، فانقلب إليه، وقد اختصر كتاب أخيه «إحياء علوم الدين» في مجلد، كنيته أبو الفتوح، وزهد أخوه في التدريس بالمدرسة النظامية، فتولى بدل أخيه أبي حامد، وذكر بعض أهل العلم أنه بتشديد الزاي يدعى نسبةً إلى غَزْل الصوف؛ فتكون غزالاً للمبالغة، كالخوارزمي ونحوها، وذكر آخرون تخفيفها، وذكر صاحب «لباب الآداب» أن التخفيف خلاف المشهور، والله أعلم، له مختصر لـ «إحياء علوم الدين» سماه «لباب الإحياء»، وله «التجريد في كلمة التوحيد»، و«الذخيرة في علم البصيرة»، و«بـوارق الإلماع في الرد على من يحرِّم السماع»، توفي سنة عشرين وخمس مئة للهجرة.

(٨) هو الشيخ محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، أبو حامد، ذكروا أنه فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنَّف، وقد حصل له ما حصل لأخيه =

كتاب «الإحياء»[٩] عن ابن النجار[١٠]؛ قال: قرأ القارىء بحضرة أحمد

= من النسبة لغزل الصوف بالتشديد، ومن النسبة لقرية بطوس اسمها غزالة لمن خَفَّف، ومن مصنفاته بل على رأسها: «إحياء علوم الدين»، و«الاقتصاد في الاعتقاد»، و«التِّبْر المسبوك في نصيحة الملوك»، و«الإملاء عن إشكالات الإحياء»، و«المستصفى» في علم أصول الفقه، و«الولدية» أكثر فيها من النصيحة بيا أيها الولد، و«ياقوت التأويل في تفسير التنزيل»، وغيره لا يُحصر، توفي رحمه الله سنة خمس وخمس مئة للهجرة.

(٩) كَثُر الكلام على كتاب «الإحياء» من حيث فسادٍ فيه وضلال، وقد كثرت أقوال العلماء فيه قديماً وحديثاً، ومن آخر من تكلم عنه بعض علماء الدعوة السلفية في نجد الجزيرة رحمهم الله تعالى، وهي موجودة في «مجموع رسائلهم»، وقد أحببنا ذكر كلام الحافظ شمس الدين الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٣٩) قال: أما الإحياء؛ ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير، لولا ما فيه من آداب ورسوم وزُهْد من طرائق الحكماء ومُنْحرفي الصوفية، نسأل الله علماً نافعاً، تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسَّره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً... إلى أن قال معرِّضاً: وإياك وآراء عباد الفلاسفة ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرُّهبان، وخطاب طَيْشِ أصحاب الخَلوات؛ فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة؛ فوا غوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم.

وقال رحمه الله أيضاً في «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٣١) في ترجمة الحارث المحاسبي بعد أن نقل عن أبي زُرعة نَهْيَه عن قراءة كتب الحارث، قال: ... كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في «الإحياء» من الموضوعات...

وممن تكلم في ذلك شيخ الإسلام وعَلَم الأعلام أبو العباس ابن تيميَّة ـ قدَّس الله روحه ـ في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٥) حينما سُئل رحمه الله عنه؛ =

. . . .

= قال: « . . . وأما ما في «الإحياء» من المُهْلكات، مثل الكلام على الكِبْر والعجب والرياء والحسد ونحو ذٰلك؛ فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في «الرعاية»، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود، ومنه ما هو متنازع فيه، والإحياء فيه فوائد كثيرة، لٰكن فيه مواد مذمومة؛ فإنه فيه موادُّ فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلَّق بالتوحيد، والنبوَّة، والمعاد. . . وفيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وتُرَّهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذٰلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يُرَدُّ منه؛ فلهٰذا اختلف فيها اجتهاد الناس وتنازعوا فيه. انتهى.

وتكلم عنه رحمه الله أيضاً في «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٤٧) وما بعدها كلاماً نفيساً، وممن تكلم كما أسلفنا من علماء الدعوة النجدية عن هٰذا الكتاب الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمٰن ابن الشيخ حسن ابن الشيخ المجدد رحمهم الله جميعاً في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/ ١٢٩)، حيث قال غفر الله له وطيب ثراه في رسالة إلى أخٍ له ينصحه بعدم الانشغال بهٰذا الكتاب لتأثيره عليه وعلى غيره؛ قال رحمه الله: فلقد بلغني عنك ما يشغل كل من له حمية إسلامية، وغيرة دينية على الملة الحنيفية، وذٰلك أنك اشتغلت بالقراءة في كتاب «الإحياء» للغزالي، وجمعت عليه من لديك من الضعفاء والعامة الذين لا تمييز لهم بين مسائل الهداية والسعادة ووسائل الكفر والشقاوة، وأسمَعْتَهُم ما في «الإحياء» من التحريفات الجائرة والتأويلات الضالة الخاسرة والشقاشق التي اشتملت على الداء الدفين والفلسفة في أصل الدين، وقد أمر الله تعالى وأوجب على عباده أن يتبعوا الرسول، وأن يلتزموا سبيل المؤمنين. . .

وقد سلك في «الإحياء» طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من الإلٰهيات =

. . . .

= وأصول الدين، وكسا الفلسفة لِحَاء الشريعة، حتى ظنها الأغمار ـ وهو الذي لا يفقـه من الأمـر شيئاً ـ، والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ودخل به الناس في الإسلام، وهي في الحقيقة محض فلسفة منتنةٍ يعرفها أولو الأبصار، قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها ومطالعة خافيها وباديها، بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عُرِفَ بالسنة، وسماها كثير منهم: إماتة علوم الدين، وقام ابن عقيل أعظم قيام في الذم والتشنيع، وزيَّف ما فيه من التمويه والترقيع، وجزم بأن كثيراً من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل. . .

ثم أطنب رحمـه الله تعـالى في ذكـر النقـولات والتحقيقات العجيبات النيرات.

قلت: وكذٰلك تعامل جميع الكتابات التي على منوال «الإحياء»، والله المستعان.

وقد كتب فضيلة الشيخ علي الحلبي حفظه الله رسالة قيِّمة سماها «كتاب إحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين» أكثر فيها من النقل عن علماء السلف ومن أتى بعدهم في الكلام على حال هٰذا الكتاب وما حواه، ومما يحسُن ذكـره أن أحاديث «الإحياء» قد خرَّجها الحافظ زين الدين العراقي رحمه الله، المتوفى سنة ست وثمان مئة للهجرة في كتاب سماه «المغني عن حمل الأسفار في الأسفـار في تخـريج ما في الإحياء من الأخبـار»، وهـو مطبـوع غالبـاً مع «الإحياء»، وقـد جمـع الحـدَّاد له مجموعاً في تخريج أحاديث «الإحياء» أتى بتخريج العراقي، وأضاف إليه تخاريج ابن السبكي المتوفى سنة إحدى وسبعين وسبـع مئـة للهجرة، وتخريج الزُّبيدي المتوفى في السنة الخامسة بعد المئتين والألف للهجرة.

(١٠) الإمام، البارع، الحافظ، محدِّث العراق، مؤرخ العصر، محبِّ =

الغزالي: ﴿يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفوا على أَنْفُسِهِمْ...﴾(١١) الآية، فقال: شرَّفهم بياء الإضافة إلى نفسه بقوله: ﴿يا عِبادِيَ﴾، ثم أنشد:

وهانَ عَلَيَّ اللَّوْمُ في جَنْبِ حُبِّها
وَقَوْلُ الأعادي إِنَّهُ لَخَليعُ
أَصَمُّ إذا نُودِيْتُ باسْمي وَإِنَّني
إذا قيلَ لي يا عَبْدَها لَسَميعُ(١٢)

وفي كتاب الإمام الحافظ ابن رجب في «الذل والانكسار للعزيز الجبار»: قال بعض العارفين: من ادعى العبودية، وله مراد باق؛ فهو كاذب في دعواه، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته، وقام بمراد سيده، يكون اسمه ما يُسمَّى به، ونعته ما حُلِّي به، إذا دُعِيَ باسمه؛ أجاب عن العبودية؛ فلا اسم له ولا رسم ولا يجيب إلا لمن يدعوه لعبودية سيده. ثم أنشأ يقول:

= الدين، أبو عبدالله، محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي، ابن النجار، ساد في علم التاريخ، وقد برع وأجاد في «ذيله» ـ الموجود بعضه الآن ـ على تاريخ الخطيب البغدادي، واسم الكتاب «التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام»، قال الحافظ الذهبي فيه: اشتهر وكتب عمن دبَّ ودَرَجَ من عال ونازل، ومرفوع وأثر، ونظم ونثر، وبرع وتقدَّم، وصار المشار إليه ببلده، ومن مشايخه الذين أخذ عنهم الحافظ ابن الجوزي، له مؤلفات عِدَّة، توفي رحمه الله في خامس شعبان سنة ثلاثٍ وأربعين وست مئة للهجرة.

(١١) الزُّمَر: ٥٣.

(١٢) «وفيات الأعيان» (١/ ٩٧).

يا عَمْـرُو ثَأْري عِنْـدَ زَهْـرَاءَ
يَعْـرِفُـهُ الـسَّـامِـعُ والـرَّائـي
لا تَدْعُـنـي إلَّا بيا عَبْـدَهـا
فَإنَّـهُ[13] أَصْـدَقُ أسـمـائِـي

وقال غيره:

مالـي ولـلفُـقَـراءِ إنِّي عاجِـزٌ مِثْـلِيَ لا يَمْـلِكُ إغْـنـائِـي
وإنَّـمـا يَحْـسُـنُ فَقْـرِي إلى مالِـكِ إسْعـادي وإشْـقـائـي
أَتِـيهُ عُجْـبـاً بانْـتِـمـائـي إلـى أَبْـوابِـه إذا قلتُ مولائـي
لا تَدْعُـنِـي إلا بيا عَبْـدَهـا فَإنَّـهُ[13] أَشْـرَفُ أسـمـائـي

وقال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «روضة المحبين»: لا يصلح التعبد لأحد غير الله عز وجل، ولا يغفر سبحانه لمن أشرك به في عبادته، ويغفر ما دون ذٰلك لمن يشاء؛ فمحبة العبودية أشرف أنواع المحبة، وهي خالص حق الله على عباده.

ثم ذكر حديث معاذ[14] في «الصحيح»: «أتدري ما حق الله على عباده؟». قال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقه عليهم

---

(١٣) في النسختين «فإني»، والتصويب من كتاب ابن رجب «الذل والانكسار» (ص ٨٩).

(١٤) الصحابي الجليل، معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب الخزرجي، ورد في تفضيله: «خذوا القرآن من أربعة. . . منهم: معاذ بن جبل» مرفوعاً، أسلم وله ثمانية عشر سنة، و«بعثه قاضياً على اليمن»، =

أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذٰلك؟ أن لا يعذبهم بالنار»[15].

وأنه «أعلم الناس بالحلال والحرام»، له سيرة عَطِرةٌ ـ رضي الله تعالى عنه ـ وجمعنا به في الجنان، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ثمان عشرة للهجرة.

(15) رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٥٠٠، في ١١/٣٤٥ ـ فتح، كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله)، وكذا رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٤٨، ١/٢٢٩ ـ نووي، في كتاب الإيمان، باب حق الله على العباد وحق العباد على الله)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٣٠) بنحو روايتهما، روياه من طريق هُدْبة ـ وقيل: هدَّاب، كلاهما ورد ـ بن خالد الأزدي، حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، عن معاذٍ رضي الله عنه به.

والإمام أحمد رواه من طريقه عن بهز ـ بن حكيم ـ ثنا همام به بنحوه.

ورواه البخاري في «صحيحه» برقم (٧٣٧٣، في ١٣/٣٥٩ ـ فتح، في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى)، وكذا رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٥٠، ١/٢٣٢ ـ نووي) نفس الموضع السابق، روياه من طريق: محمد بن المثنى عند مسلم فقط، وعندهما: محمد ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر ـ غُنْدر ـ، حدثنا شعبة، عن أبي حَصينٍ، والأشعث بن سليم، سمعا الأسود بن هلال، عن معاذٍ بن جبل رضي الله عنه (فذكره بنحوه باللفظ المشهور).

ورواه مسلم في «صحيحه» برقم (٤٩) نفس الموضع السابق، وكذا رواه الترمذي في «الجامع» برقم (٢٦٤٣، ٥/٢٦، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هٰذه الأمة)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٢٨) ـ وفي غير موضع ـ عن أبي إسحاق ـ هو السبيعي ـ، عن عمرو بن ميمون، عن معاذٍ رضي =

ثم قال: أشرف صفات العبد وأحب أسمائه إلى الله اسم العبودية؛ كما ثبت عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن»[16].

= الله عنه؛ باختلاف قليل في اللفظ، وفي ذلك كفاية، والحمد لله.

(١٦) من «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص ٥٢ و٥٣).

والحديث رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢١٣٢، في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء)، وكذا رواه أبو داود في «السنن» برقم (٤٩٤٩، في كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء)، ورواه الترمذي في «الجامع» برقم (٢٨٣٥ و٢٨٣٦، في كتاب الأدب، باب رقم ٦٤)، ورواه ابن ماجه برقم (٣٧٢٨، في كتاب الأدب، باب ما يستحب من الأسماء)، ورواه أيضاً البغوي في «شرح السنة» برقم (٣٣٦٧، في ١٢/٣٣٣، في كتاب الاستئذان، باب التسمية باسم النبي ﷺ وأسماء الأنبياء عليهم السلام)، وكذا رواه البيهقي في «الكبرى» (٩/٣٠٦، في كتاب الضحايا، باب ما يستحب أن يسمى به)، رووه كلهم من طرق عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وللفائدة؛ فقد رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٨١٤، باب أحب الأسماء إلى...) من طريق محمد بن مهاجر؛ قال: حدثني عقيل بن شبيب، عن أبي وهب ـ هو الكلاعي وكانت له صحبة ـ، عن النبي ﷺ، به.

ورواه أحمد (٤/٣٤٥)، وكذا النسائي في «الصغرى» برقم (٣٥٦٥، في كتاب الخيل، باب ما يستحب من شِية الخيل) ـ من نفس طريق البخاري ـ بنحوه.

وفيه عَقيل بن شبيب، قال فيه الحافظ: مجهول. ورأيت العلامة الألباني متع الله به في «إرواء الغليل» ينقل عن الذهبي أنه قال: عقيل بن شبيب لا يعرف =

مدار العبودية على قاعدتين

وقال في كتابه «الكَلِمُ الطيب والعمل الصالح»: مدار العبودية على قاعدتين هما أصلها: حبٌّ كامل وذلٌّ تام، ومنشأ هٰذين الأصلين مشاهدة المِنَّة التي تورث المحبة، ومطالعة[17] عيب النفس والعمل الذي يورث الذل التام»[18]. والله أعلم.

مطلب

تتمة: للعبد أحد عشر [وجهاً] جمعها[1] ابن مالك في قوله:

عِبادٌ عَبيدٌ جَمْعُ عَبْد وأعْبُد
أَعابِدُ معبوداً معبد عبد
كذٰلك عبدان وعبدان أثْبتا
كذاك العبد أو امدد إن شئت أن تمدّا[2]

= هو ولا الصحابي إلا بهٰذا الحديث.

ورواه أبو يعلى برقم (٢٧٧٨) من طريقه عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن أنس رضي الله عنه به، وفيه: إسماعيل بن مسلم.

(١٧) في النسختين: ومطلعة عيب النفس، ولعله سهو.

(١٨) «الكَلِم الطيِّب والعمل الصالح» (ص ١١).

(١) ما بين المعكوفتين لم يرد في الأصلين، وأثبتناه للسياق. انظر: «المطلع على أبواب المقنع» (ص ٨٠)، ولها تصريف آخر، انظر: «كشاف القناع عن متن الإقناع» (١ / ١٦).

(٢) هٰذان البيتان كما ذكر المؤلف رحمه الله لابن مالك؛ لم نجدهما في المطبوع من نظمه؛ كـ«الألفيَّة»، «المختصر» (الأرجوزة)، ولا في الأصل وهو «الكافية الشافية»؛ فلعلها في أحد كتبه غير المطبوعة أو نحو ذٰلك.

مطلب

معنى: (وأنا على عهدك)

* قوله: «**وأنا على عهدك**»؛ أي: ما عاهدتك عليه من الإيمان بك والإقرار بوحدانيتك، لا أزول عنه، وأنا على وعدك الذي وعدتك عليه من الاعتراف بعبوديتي لك ولربوبيتك.

* ثم استثنى بقوله: «**ما استطعت**»؛ أي: مدة دوام استطاعتي موضع القدر السابق في أمره؛ أي: إن كان قد جرى القضاء أن أنقض العهد يوماً ما؛ فإني أَخْلُدُ(٣) عند ذلك إلى التَّنصُّلِ(٤) والاعتذار؛ لعدم الاستطاعة في دفع ما قضيتُه عليَّ، قاله في «النهاية»(٥).

وقيل: معناه أني متمسك بما عَهِدْتَه إليَّ من أمرك ونهيك، ومُبْلي العذر(٦) في الوفاء به قدر الوسع والطاقة، وإن كنتُ لا أَقْدِرُ أَبْلُغُ كُنْهَ الواجب فيه(٧).

---

(٣) أخلد إلى الشيء؛ أي: ركن إليه، ومال إليه، ورضي به. «الغريب» و«القاموس».

(٤) التنصُّل: يقال: تنصَّل فلان من ذنبه؛ أي: تبرَّأ، والتنصُّلُ شبه التبرُّؤ من جناية أو ذنب، وتنصل إليه من الجناية: خرج وتبرأ من ذنبه إليه، وكما مرَّ معنا في أول الكتاب.

(٥) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٢٤).

(٦) أي: ومبالغ في إيفاء العذر، ومنه قوله تعالى: ﴿**وليُبلي المؤمنين منه بلاء حسناً**﴾، وأبلاه عُذْراً: آواه إليه فقبِلَه. «القاموس»، و«اللسان» (نَصَلَ).

(٧) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٢٤).

مطلب

الفرق بين العهود والعقود

قال ابن القيم في «الهـدي»، وكـذا ابن مفلح في «الفروع»: العقود والعهود متقاربة المعنى أو متفقة؛ فإذا قال: أعاهد الله أنني أحج العام؛ فهو نذر وعهد ويمين، ولو قال: إني لا أكلم زيداً؛ فيمين وعهد لا نذر؛ فالأيمان إنْ تضمنت معنى النذر، وهو أن يلتزم لله قُرْبة؛ لزمه الوفاء، وهي عقد وعهد ومعاهدة لله؛ لأنه التزم لله ما يطلبه الله منه، وإنْ تضمنت معنى العقـود التي بين النـاس، وهـو أنْ يلتـزم كل من المتعاقدين للآخر ما اتفقا عليه؛ فمعاقدة ومعاهدة يلزم الوفاء بها، ثم إنْ كان العقد لازماً؛ لم يَجُزْ نقضه، وإلا؛ خُيِّرَ، ولا كفارة في ذٰلك؛ لِعِظَمِهِ[1].

---

(١) ولعدم ورود الدليل بالكفارة فيه، والأصل في الأيمان بأنواعها أنها مشروعة، وهي ثابتة بالكتاب لقوله تعالى: ﴿. . يوفون بالنذر. . .﴾ [الإنسان: ٧]، وغيره، والسنـة لحـديث عائشـة رضي الله عنها مرفوعاً عند البخاري في «صحيحه»: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» وغيرها.

وإجمـاع العلماء قاطبة على مشروعيتها، وقد ذهب بعض العلماء إلى تحريمها، وذهب البعض إلى أن النهي في قوله عليه الصلاة والسلام في المتفق عليه عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يأتي بخير ـ أي: النذر ـ وإنما يُستخرج به من البخيل»: نهي كراهة لمدحه تعالى الموفين بنذورهم في كتابه الكريم، ولا تصح اليمين إلا من مكلَّف بالأحكام الشرعية، وأن يكون قاصداً عَقْدَ اليمين حال تلفظه بها.

انظر كتاب الأيمان والنذور في «المغني» و«المجموع» وغيرهما.

ونقل عبد الله[٢]: قال الله: ﴿أَوْفوا بِالعُقودِ﴾[٣]؛ قال: العهود.

ونقل أبو طالب[٤]: العهد شديد في عشرة مواضع من كتاب الله[٥]، ويتقرب إلى الله إذا حَلَفَ بالعهد بكل ما استطاع، ويُكفِّر إذا أحنث بأكثر من كفارة يمين[٦].

---

(٢) هو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، حكاه عنه ابن كثير رحمه الله وغيره، والمتعارف عليه بين أهل العلم: أن عبدالله إذا أطلقت يُعنى بها ابن مسعود رضي الله عنه، وذلك لكبر سنه، ولسبقه للإسلام.

(٣) المائدة: ١.

وقد حكى الإجماع ابن جرير الطبري بأن العقود هي العهود. «جامع البيان» (٦/ ٤٦).

(٤) هو الشيخ أحمد بن حميد، أبو طالب المِشْكاني المتخصص بصحبة الإمام أحمد رحمهما الله، كان الإمام أحمد يكرمه ويعظِّمه، قال الخلال: صحب أحمد قديماً إلى أن مات. وكان رحمه الله صالحاً، فقيراً، صبوراً على الفقر، ذكر عن الإمام أحمد عدة نقولات في الزهد، والرقائق، وأكثر عنه في الفقه. قال أبو طالب: وسُئِل أحمد وأنا شاهد: ما الزهد في الدنيا؟ قال: قصر الأمل، والإياس مما في أيدي الناس. مات رحمه الله سنة أربع وأربعين ومئتين للهجرة، قلنا: لعل صحبته للإمام هي السبب في كثرة النقولات عن أبي طالب في كتب الحنابلة.

انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩).

(٥) ذكر ذلك موفق الدين ابن قدامة رحمه الله في «المغني» عن الإمام أحمد؛ فالظاهر أن أبا طالب نقل ذلك عن الإمام أحمد رحمهما الله. انظر: «المغني» (١٣/ ٤٦٣).

(٦) قال في «المغني»: ويتقرب إلى الله تعالى إذا حلف بالعهد ثم حنِث =

قال في «المَغني»: إن أجرى اليمين على مباحٍ: مباح، وإن قوله: ﴿ولا تَنْقُضوا الأَيْمانَ﴾[7]؛ أي: في العهود والمواثيق؛ لقوله: ﴿وأَوْفـوا بِعَهْدِ اللهِ...﴾[8] الآية، ﴿أَوْفُوا بِالعُقودِ﴾؛ قال: والعهد يجب الوفاء به بغير خلاف؛ فمع اليمين أولى، ونهى عن نقض اليمين، ويقتضي التحريم[9].

وقال شيخنا[10]: من جنس العهد والعقد لفظ الذِّمة، وقولهم: هٰذا في ذمة فلان: أصله من هٰذا؛ أي: فيما لزمه بعهده وعقده.

= بما استطاع، وعائشة رضي الله عنها أعتقت أربعين رقبة، ثم تبكي حتى تبل خمارها وتقول: واعهداه. (١٣/٤٦٣).

قلت: وما صح في الزيادة على الكفارة الواحدة شيء، وهي رضي الله عنها محتاطة لنفسها، والأصل الكفارة الواحدة، كذا قال سماحة شيخنا العلاّمة عبدالعزيز بن باز متع الله به على طاعته.

(٧) النحل: ٩١. ولو أجراه على مباحٍ فهو مباح؛ أي: إذا حلف على فعل مباح؛ فحلفه مباح.

(٨) النحل: ٩١.

(٩) لأن العهد في الأصل بين الإنسان ومثله، وأما اليمين؛ فهي من العبد لله عز وجل، فإذا كان الوفاء بالعهد واجباً وتاركه آثم؛ فاليمين أولى وأحرى كما سيأتي معنا، والنهي عن نقض اليمين هنا للتحريم، ذكره في «المغني» وغيره.

انظر: «المغني» (١٣/٤٤٤ و٤٤٥).

(١٠) في النسختين: «وقال شيخ الإسلام»، والمثبت من «الفروع»، وهو شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ، وابن مفلح ـ رحمه الله ـ من كبار تلامذته.

قال في «الفنون»: الذِّمَمُ هي العهود والأمانات.

وفي «الواضح»[11]: ومنه أهل الذمة وذمة فلان، قال بعض أصحابنا في طريقته: الذمة لا تُمْلَكُ؛ لأنها العهد والميثاق لغة، وفي الشرع: وَصْفٌ يصير به المكلَّف أهلاً للالتزام والإلْزام، ولهذا؛ لو اشترى من آخر في ذمته؛ صح، وإنما يَمْلِكُ الحق الثابت فيها، وقيل له: الذمة صفة، فتفوت بالموت، فلا يصح ضمان دَينه. فقال: لا نُسَلِّم أنها صفة، بل عبارة عن التزام، ولم يفُت.

الذمة لغة وشرعا

وفي «الفنون»: الذمة؛ وإنْ كانت العهد؛ فالمُلْكُ التسلُّط، فإذا بقي حكم المُلْك، ولا تَسَلُّطَ حقيقةً في الميت؛ بقي حكم الذمة، وإن كان لا عهد حقيقة للميت[12]. انتهى كلام «الفروع».

وقال في موضع آخر: العهد غير الوعد، ويكون بمعنى: اليمين، والأمان، والذمة، والحفظ، والرعاية، والوصية... وغير ذلك.

قال: وفي سيد الاستغفار: «وأنا على عهدك ووعدك ما

---

(١١) «الواضح في النحو» لأبي بكر محمد بن الحسين الزُبيدي، المتوفى سنة ثلاث مئة وتسع وسبعين للهجرة، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «أحكام أهل الذمة» (٢/٤٧٥) ما نصه: الكفار؛ إما أهل حرب، وإما أهل عهد، وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هُدْنة، وأهل أمان.. ولفظ «الذمة والعهد» يتناول هؤلاء كلهم في الأصل... فإن «الذمة» من جنس لفظ العهد والعقد... ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء «أهل الذمة» عبارة عمَّن يؤدي الجزية.

(١٢) «الفروع في الفِقه الحنبلي» لابن مفلح (٦/٣٤٩ ـ ٣٥٠).

استطعت»؛ قال ابن الجوزي: وقال المفسرون: العهد: الذي يجب الوفاء به الذي يحسن فعله، والوعد من العهد.

وقال في ﴿أَوْفُوا بِالعَهْدِ﴾: عامٌّ فيما بينه وبين ربه، وبين الناس.

ثم قال: قال الزجاج(١٣): كل ما أمر الله به ونهى عنه؛ فهو من العهد. انتهى(١٤).

فكأنه قال في هٰذا الدعاء: وأنا على عهدك من امتثال ما أمرتني به، واجتناب ما نهيتني عنه.

الميثاق المأخوذ على بني ادم

ولا يَبْعُدُ إرادة قوله تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى...﴾(١٥) الآية، وكان أَخْذُ هٰذا الميثاقِ من المَلِكِ الخلَّاقِ على خَلْقِهِ ـ كما جاء في الروايات ـ بأرض نَعْمان من عرفات(١٦).

---

(١٣) سبقت ترجمته.

(١٤) «الفروع» (باب النذر والوعد والعهد، ٦/٤١٦)، والمؤلف رحمه الله قد اكتفى بالنقل عن «الفروع»، مع العلم بأن هٰذه المسألة قد أشبعت خلافاً في «الفروع» وفي غيره.

(١٥) الأعراف: ١٧٢.

(١٦) نَعْمَان؛ بفتح الموحدة الأولى، وسكون العين: يسمى نَعْمان الأراك بمكة، وهو نَعْمان الأكبر، وهو وادي عرفة، وهو المقصود في الحديث، لا نَعْمان الآخر وهو نَعْمانُ غرقد المدينة، ويسمى نعمان الأصغر، ويقال: إن نَعْمان اسم جبل بين الطائف والمدينة، وقيل: وادٍ في طريق الطائف يخرج إلى عرفات. «لسان» (ص ٤٤٨٤، مادة: نَعَمَ).

روى الإمام ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: «أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان ـ يعني: عرفة ـ، فأخرج من صُلْبِهِ كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلَّمهم قِبَلاً؛ قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهِدْنا»(١٧). رواه الإمام أحمد في «المسند».

فهٰذا الحديث دلَّ على أن عرفات أول وطن النَّفْس، ولهٰذا تتوق النفوس إلى تلك المعاهد(١٨)؛ لأجل ذٰلك العهد.

---

(١٧) إنما ذكره ابن الجوزي رحمه الله في تفسير الآية المذكورة «زاد المسير» (٣/٢٨٣)، ولم يذكر له إسناداً.

والحديث رواه النسائي في «الكبرى» برقم (١١١٩١، في ٦/٣٤٧، كتاب التفسير، باب رقم ١٥)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/١٥١)، روياه من طريق: محمد بن عبدالرحيم ـ صاعقة ـ، أنا الحسين بن محمد المروذي، أنا جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر الديلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به.

قلت: وهٰذا إسناد صحيح، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في «المسند» (٤/١٥١)، ورجاله ثقات.

والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٣٢٣ و٣٢٤ و٣٢٥) بأسانيد أُخَر، وقال: هٰذا حديث صحيح ولم يخرجاه. وقد رَوى الحديث أئمة كُثُر بأسانيد كثيرة قد يطول المقام جدّاً بذكرها؛ فلتراجع من مظانها من كتب التفسير عند تفسير الآية الواردة في سورة الأعراف وكتب أهل الحديث، والله أعلم.

(١٨) (المعاهد): جمع مَعْهَد، محضر الناس ومشهدهم. «المعجم =

ولي من قصيدة أذكر فيها شوقي وتوقي[١٩] إلى تلك الربوع[٢٠] والمعـاهـد، أَحُنُّ إليهـا من القلق والـوُلوع[٢١]، وأذكر أن سبب الوَلَهِ والتوقان أخذ العهد والميثاق بنعمان، وهي:

قَلْبـي إلـى أَرْضِ الـحِجـازِ يَهيمُ[٢٢]
وعــلى هُيامــي شاهِــدٌ وَزَعــيمُ
أمَّــا الـشَّـهـيدُ فَعَبْــرَتي وتَــأَوُّهي[٢٣]
ونُــحــولُ جِسْــمــي والــفُـؤادُ كَليمُ
وزَعِـيمُ أَشْــواقـي إلـى تِلْكَ الـحِـمَى
عَهْــدٌ بِنَــعْــمــانِ الأراكَ قَدِيمُ

= الوسيط» (عَهَدَ).

(١٩) تاق إليه تَوْقاً، وتؤوقاً، وتِياقة، وتَوَقاناً؛ أي: اشتاق، وهما بمعنى واحد. «القاموس» (مادة: تاق).

(٢٠) (الرُّبوع): جمع رَبْع، وهو المنزل، ودار الإقامة والمحِلّة. «لسان العرب» (مادة: رَبَعَ).

(٢١) (الوَلَع): شدة التعلُّق بالشيء والحرص عليه. «المعجم الوسيط» (مادة: وَلَعَ).

(٢٢) (الـهُيام)؛ بضم المهملة: كالجنــون من العشق، وقــوم هُيام: عُشَّاق. «القاموس» (هامَ).

(٢٣) (التأوُّه): كلمة تقال عند الشكاية أو التوجُّع. «القاموس المحيط» (مادة: أوَهَ).

تِلْكَ المَعَاهِدُ والرُّبوعُ مَعاهِدي
فِيها اللِّوى[٢٤] والسَّفْحُ[٢٥] والتَّنْعيمُ[٢٦]

إلى آخر القصيدة . . .

وقد رُوِيَ أن الله سبحانه وتعالى لما أخذ العهد على الذرية ؛ كتب كتاباً عليهم فألقمه الحجر الأسود ؛ فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ، وعلى الكافر بالجحود .

قال الحافظ ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» : وهٰذا مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢٧] ؛ قال : قال العلماء : ولهٰذه

---

(٢٤) (اللِّوى) : ما التوى من الرمل أو مُسترقُّه . «القاموس» (لَوِي) .

(٢٥) (السَّفح) : عَرْض الجبل المضطجع ، أو أصله ، أو أسفله . «القاموس» (سفح) .

(٢٦) (التنعيم) : شجر ناعم الورق ، وورقه كورق السِّلْق ، ولا ينبت إلا على ماء ، ولا ثمر له ، وهو أخضر الساق ، منه غليظ . «اللسان» (نَعَم) .

(٢٧) رواه مرفوعاً الحافظ أبو بشر الدولابي في «الذرية الطاهرة النبوية» برقم (١٦٨) ، قال رحمه الله : حدثني أحمد بن يحيى ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا سعيد بن خثيم ، عن إسحاق بن أبي يحيى ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أبيها ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : «لما أخذ الله ميثاق العباد ؛ جُعِلَ في الحجر ، فمن الوفاء بالبيعة استلام الحجر» .

ورجاله ثقات ؛ غير سعيد بن خثيم ، ذكره الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٤ / ٢٢ ـ ٢٣) ، وذكر أقوال العلماء فيه ، وأوجزها في «التقريب» بقوله : صدوق ، رمي بالتشيع ، له أغاليط . قال محقق «الذرية الطاهرة» : ولم أهتد لترجمة إسحاق بن أبي يحيى . =

العلة يقول لامِسُهُ: إيماناً بك، ووفاءً بعهدك. انتهى[٢٨].

قلت: وللحديث نفسه ورد عدة آثار موقوفة بنفس اللفظ، ولكن. . . لنا غنية عنها، بما ورد من المرفوع، ويصلح شاهد؛ فمنها ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٦٦ و٣٠٧)، وكذا الترمذي في «الجامع» برقم (٩٦١، في كتاب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود)، وكذا ابن ماجه برقم (٢٩٤٤، في كتاب المناسك، باب استلام الحجر)، والدارمي في «السنن» برقم (١٨٣٩، في كتاب المناسك، باب الفضل في استلام الحجر)، وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٣٧١١ و٣٧١٢، في كتاب الحج، باب ذكر إثبات اللسان للحجر الأسود للشهادة لمستلمه بالحق، والباب الآخر: ذكر البيان بأن اللسان للحجر إنما يكون في القيامة لا في الدنيا)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٧)، ورواه البيهقي في «الكبرى» (٥/ ٧٥، في كتاب الحج، باب ما ورد في الحجر الأسود والمقام)، وكذا ابن خزيمة في «صحيحه» برقم (٢٧٣٥ و٢٧٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٤٣)؛ رووه جميعاً من طرق متعدِّدة: عن عبدالله بن عثمان بن خُثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ مرفوعاً: «والله؛ ليبعثنَّه الله (أي: الحجر) يوم القيامة له عينان يُبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بالحق».

وبعضهم رواه بنحوٍ من هٰذا اللفظ.

قال الترمذي: هٰذا حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قلنا بعون الله: والحديث رجاله ثقات، وفيهم من يخطىء، وقد توبع، وقد صحح الحديث العلامة الألباني رعاه الله وأعلى مناره في «صحيح سنن الترمذي» و«صحيح سنن ابن ماجه»، والحمد لله رب العالمين.

(٢٨) انظر: «المثير» (١ / ٣٧١).

والوعد يستعمل في الخير والشر، يقال: وعدته خيراً، ووعدته شرّاً؛ فإن أسقطوا الخير والشر؛ قالوا في الخير: الوعد والعدة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد، وقد أَوْعَدَهُ يُوعِدُهُ؛ كما في «النهاية»[29].

وفي «القاموس»[30]: وَعَدَهُ الأمر وبه يَعِدُهُ عِدَةً ووعداً وموعداً أو موعدة وموعوداً وموعودة، خيراً وشرّاً؛ فإذا أُسْقِطا؛ قيل في الخير: وعد، وفي الشر: أوعد، وقالوا: وعد الخير، والميعاد وقته، والوعيد التهديد، والتوعد التهدد؛ كالإيعاد، والاتّعاد قبول العِدَة، وأصله الاوتعاد، قلبوا الواو تاءً، وأدغموا، وناس يقولون: أُتعد يأتعد، فهو مؤتعد بالهمز، وفي الخبر: «يا من إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا»[31].

= ورد عن جمع من أهل العلم تسميته بـ «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن»، وقد طبع بهذا الاسم مع وروده بالاسم الذي ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ، وممن سماه بـ «مثير الغرام»: حاجي خليفة في «كشف الظنون»، وبروكلمان في «تاريخ الأدب العربي»، والروداني في «صلة الخلف»، والأكثر على أنه «مثير العزم الساكن. . .». انظر مقدمة محقق الكتاب.

(29) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (5/206).

(30) «القاموس المحيط» (مادة: وَعَدَ، ص 416).

(31) لذلك عندما ترد آية من كتاب الله بالجنة للمؤمنين ترد بلفظ: «وعد. . .»، والآيات وإذا وردت بالعذاب والمعذبين وردت بالوعيد، وهذا كثيرٌ أيضاً، وهما كقوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾، وقال جل ذكره بعد ذكر آيات العذاب: ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد**﴾.

والخبر الذي أورده المؤلف رحمه الله لا يثبت مرفوعاً إلى النبي ﷺ على قدر البحث الضعيف، ولعله من دعاء بعض السلف أو العبَّاد؛ فتناقلوه لنا.

معنى: (وأنا على وعدك)

وقال الشاعر:

وإنِّـــيَ إنْ أَوْعَــدْتُــهُ أَوْ وَعَــدْتُــهُ
لَمُخْلِفُ إيعــادي وَمُنْجِـزُ مَوْعِـدي[٣٢]

«وأنـا على وعـدك»: مقيم لا أحولُ ولا أزول، أفعل المأمور، وأجتنب المحظور، والله ولي الأمور.

والاستـطاعـة: القـدرة على الشيء، وقيل: هي استفعال من الطاعة؛ كما في «النهاية»[٣٣].

قال في «القاموس»: استطاع: أطاق، ويقال: اسطاع، يحذفون التاء استثقالاً لها مع الطاء، ويكْرهون إدغام التاء فيها، فتُحَرك السين، وهـي لا تُحَـرك أبـداً، وقـرأ حمـزة[٣٤] غير خلَّاد[٣٥]: «فـمـا

(٣٢) قائل البيت هو عامر بن الطُّفيل بن صعصعة العامري. «ديوان ابن عامر بن الطفيل» (ص ٥٨).

(٣٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/١٤٢).

(٣٤) حمزة بن حبيب بن عُمارة بن إسماعيل الزيَّات، التيمي، مولاهم الكوفي، مولى عكرمة بن رِبْعي، أبو عُمارة، شيخ القراء، القدوة، كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حُلوان، ثم يجلب منها الجبن والجوز، وكان إماماً قيِّماً لكتاب الله، قانتاً لله، ثخين الورَع، رفيع الذِّكر، عالماً بالحديث والفرائض، وأصله من فارس، قال سفيان الثوري: ما قرأ حمزة حرفاً إلا بأثر. وأخباره رحمه الله كثيرة، توفي سنـة ستٍّ وخمسين ومئة للهجرة؛ كما رجَّحه الحافظ شمس الدين في «السِّير» رحمه الله.

(٣٥) خلَّاد بن خالد الشيباني، مولاهم الصيرفي، من كبار القرَّاء، قال ابن الجزري: كان إماماً في القراءة، ثقة، عارفاً، محققاً، مجوِّداً، أستاذاً، توفي =

اسطاعوا»[٣٦] بالإدغام[٣٧]، فجمع بين الساكنين، وبعض العرب تقول: استاع يستيع، وبعضُ يقول: اسطاع يسطيع، يقول: بقطع الهمزة بمعنى أطاع يطيع، ويقال: تطاوع لهٰذا الأمر حتى يستطيعه[٣٨].

وعلى كُلٍّ؛ فالمراد القيام بالعهد والوعد، ما دام له طَوقٌ وقدرة وحول وقوة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

معنى: (أعوذ) * قوله: «**أعوذ**»؛ أي: التجيء إليك، يقال: أعوذ عَوذاً وعِياذاً ومَعَاذاً؛ أي: لجأت، والمَعَاذُ: المصدر والمكان والزمان، أي: لجأت إلى مَلْجَإٍ، ولذت بِملاذٍ.

وقد تكرر في الحديث ذِكْرُ التعوذ والاستعاذة وما تَصَرَّفَ منهما[٣٩]، والكل بمعنى: الالتجاء والاعتصام[٤٠].

قال في «المطلع»[٤١]: قوله: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»؛

= رحمه الله بالكوفة سنة عشرين ومئتين للهجرة.

انظر: «النشر في القراءات العشر» (١٦٦/١)، وقبله «الأعلام» للزركلي (٣٠٩/٢).

(٣٦) الكهف: ٩٧.

(٣٧) انظر كتاب «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣١٦/٢)، وكذا «الغاية في القراءات العَشْر» لابن مهران (٣١٨/٣).

(٣٨) «القاموس المحيط» (ص ٩٦٢، مادة: طاع).

(٣٩) في (ز): وما تصرّف منها. والتصويب من (ك).

(٤٠) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣١٨/٣).

(٤١) هو «المُطلع على أبواب المقنع» للإمام أبي عبدالله شمس الدين =

أي: ألجأ إليه وأعتصم به. قال أبو عثمان[٤٢] في «الأفعال»: عاذ بالله عَوْذاً وعياذاً وأعاذ: لجأ إليه[٤٣].

وفي «القاموس»: العَوْذُ: الالتجاء؛ كالعياذ، والمَعاذ، والتعوُّذ، والاستعاذة[٤٤]. انتهى.

* قوله: «بك»؛ أي: يا ألله، هٰذا هو المستعاذ به؛ لأنه الذي تلتجىء إليه وتعتصم به؛ فكل متعوِّذٍ بغيره خائب، وكل معتصم بسواه ناكب، والمعنى: أعوذ برحمتك وعفوك ورضاك ومغفرتك.

معنى: (من شر ما صنعت)

* وقوله: «من شر ما صنعت»؛ أي: من شر صنعي، على أنَّ ما مَوْصولٌ حَرْفي[٤٥]، ومن شر الذي صنعته، على أنها موصول

= محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، المتوفى سنة (٧٠٩هـ)، وهٰذا كتاب لغة في فقه الإمام أحمد بن حنبل عموماً، وفي كتاب «المُقنع» لأبي عبدالله بن قدامة المقدسي خصوصاً. وانظر: «المطلع» (ص ٧١).

(٤٢) أبو عثمان بكر بن محمد بن عدي المازني البصري، إمام العربية، قال المُبَرِّد: لم يكن أحد بعد سيبويه أعلمَ بالنحو من المازني. وذُكر عنه رحمه الله أنه كان ذا وَرَعٍ ودينٍ، وقال بكار بن قتيبة: ما رأيت نحوياً يشبه الفقهاء؛ إلا حَبان بن هلال ـ هو الباهلي ـ والمازني. توفي رحمه الله سنة سبع أو ثمان وأربعين ومئتين للهجرة، له كتاب «التصريف» و«الأفعال»، لم يطبع.

(٤٣) «المُطلع» (ص ٧١).

(٤٤) «القاموس المحيط» (ص ٤٢٨، مادة: عَوَذَ).

(٤٥) الموصول الحَرْفي: هو كل حرف أُوِّلَ مع صلته بمصدر، ولم يحتج إلى عائد من الحروف، سواءً كانت مصدرية ظرفية أم غير ظرفية، وتُوْصَلُ بالماضي والمضارع المتصرِّفين وبالجملة الإسمية. =

اسمي[٤٦]، وهٰذا المستعاذ منه، ولما كان صُنْعه يشتمل على خير وشر؛ خَصَّ الاستعاذةَ من شر صنعه دون خيره؛ لأن الخير محبوب لله، وهو مأمور بفعله عهداً وميثاقاً ووعداً؛ بخلاف الشر؛ فإنه مُعَاهَدٌ على تركه واجتنابه، على أنه قَلَّما سَلِمَ فِعْلٌ ـ وإن كان خَيْراً ـ من آفةٍ من شوائب الرياء والعُجْبِ ونحو ذٰلك، فتكون الآفات مستعاذاً منها، والمراد: أعوذ بك من غِبِّ شر ما صنعت، وعقوبته، وعدم عفوه وغفرانه، أو: ومن العَوْدِ إلى مثله من شر الأفعال وقبيح الأعمال.

معنى: (أبوء لك بنعمتك علي)

* قوله: «**أبوء لك بنعمتك عليَّ**»: من باء إليه: رجع وانقطع.

قال في «القاموس»: باء إليه: رجع وانقطع، وبُوِّئتُ به إليه وأبأتُه وبوَّأتُه[٤٧]. انتهى.

ومنه: «فليتبوأ مقعده من النار»[٤٨]؛ أي: يَنْزِلُ مَنْزِلَهُ منها

= انظر: «معجم النحو» (ص ٣٨٤) وغيره.

(٤٦) والموصول الاسمي: كل اسم افتقر إلى الوصل بجملة خبرية أو ظرف أو جار ومجرور، وهو ضربان: نص في معناه، ومشترَك، فـ «ما» من الأسماء المشتركة. «معجم النحو» (ص ٣٨٠).

(٤٧) «القاموس المحيط» (ص ٤٣، مادة: باء).

(٤٨) هٰذا جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه» برقم (١٢٩١، في كتاب الجنائز، باب ما يُكره من النياحة على الميت إلخ..)، وكذا رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٤، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ)، كلاهما من نفس الطريق عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه به.

ورواه البخاري في «الصحيح» برقم (٣٤٦١، في كتاب أحاديث الأنبياء، =

ويتخذه؛ قيل: هٰذا على طريق الدعاء؛ أي: بوأه الله ذٰلك، وخرج مخرج الأمر، وقيل: بل هو على الخبر، وإن استحق ذٰلك واستوجبه.

وفي الحديث الآخر: «فقد باء بها أحدهما»[49]، و: «تبوء بإثمي

= باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل)، ورواه الترمذي في «السنن» برقم (٢٦٦٩، في كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧١ و٢٠٢ و٢١٤)، جميعهم من طريق عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ورواه البخاري برقم (٦١٩٧، في كتاب الأدب، باب من سمي بأسماء الأنبياء)، وقال أنس: قبَّل النبي ﷺ إبراهيم (يعني: ابنه). ورواه مسلم في «الصحيح» برقم (٣) في المقدمة في الموضع السابق، وكذا ابن ماجه برقم (٣٤) في المقدمة، وأحمد (٢/ ٤١٠ و٤١٣ و٤٦٩ و٥١٩)، كلهم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد روى هٰذا الحديث غير واحد من أهل العلم، وورد في أكثر كتب السنة، ورواه قرابة مئة صحابي، وقد أفرِدَ فيه جزء خاص؛ فليراجع هناك.

(٤٩) لفظ الحديث: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء به أحدهما»، رواه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم (٦١٠٤، في كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل؛ فهو كما قال)، ورواه مسلم في «صحيحه» برقم (٦٠، في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر)، وكذا رواه الإمام مالك في «الموطأ» في (باب الكلام والغيبة والتقى، في ما يكره من الكلام برقم ١٨٤٤)، وكذا رواه الترمذي في السنن» برقم (٢٦٣٧، في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن رمى أخاه بالكفر)، ورواه البغوي في «شرح السنة» برقم (٣٥٥١، في باب وعيد من سب مسلماً أو رماه بالكفر)، وكذا الإمام أحمد (٢/ ٤٧)، كلهم عن عبدالله بن دينار، عن نافع، عن عبدالله بن عمر رضي الله =

وإثمك»[٥٠]؛ قيل: ترجع به لازماً لك، وتَلْزَمُهُ، وقيل: تحمله كَرْهاً وتُلْزَمه، وأصله من الرجوع به ومنه: ﴿**فباؤُوا بِغَضَبٍ على غَضَبٍ**﴾[٥١]، والمعنى: أعترف لك طَوْعاً بنعمتك، وكأنه من الأصل المُقدَّم في الرجوع؛ أي: رجعت إلى الإقرار والاعتراف، أو من اللُّزوم؛ أي: ألزمتُ ذلك نفسي واحتملته لك يا مولاي.

قال في «الفتح»: أصل البوء اللزوم[٥٢]، ومنه: «أبوء بنعمتك»؛ أي: أُلْزِمُها نفسي وأُقِرُّ بها، ولفظ النعمة وإن كان مفرداً، لكنَّه مضاف، فَيَعُمُّ كل نعمة من الظاهرة والباطنة من نعمة الإيمان والوجود من العدم، والذكورية[٥٣]، والسمع، والبصر، والمعرفة، والفهم، والعلم،

= عنهما به.

ورواه البخاري في «صحيحه» برقم (٦١٠٣) من طريق: يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

قال الحافظ رحمه الله في شرحه على الحديث: والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم، وقيل: الراجح هو التكفير لا الكفر. ومن تأمل كلام الشراح والعلماء؛ وجد أن من أطلق كلمة الكفر على مستحقها؛ فقد سمى صاحبها بها، وإن لم يكن مستحقها لثأرٍ في نفسه أو نحوه؛ فقد انطبق عليه الوعيد، والله أعلم.

(٥٠) المائدة: ٢٩.

(٥١) البقرة: ٩٠.

(٥٢) «فتح الباري» (١١/١٠٣).

(٥٣) أصل ذلك قوله تعالى: ﴿**الرجال قوَّامون على النساء بما فضَّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...**﴾ [النساء: ٣٤]، وذلك عندما =

والصحة، وغير ذٰلك من النعم اللاتي أنعم الله بها على عباده، ما لو أوتي العبد عُمْرَ الدنيا، وقطع ذٰلك العمر مستغرقاً في طاعة الله وعبادته، ولم يَعْصِه في لحظة ولا لفظة؛ ما أدى شكر عُشْرِ مِعْشارِ نِعَمِه سبحانه، بل لو أنفق كل عُمُرِه مُضاعفاً إلى ما لا نهاية من الأعمار؛ ما أدى شكر نعمة واحدة، كيف والشكر نعمة تحتاج إلى مثلها من الشكر؟ فلا سبيل إلى تأدية شكر عُشْر معشارِ نِعَمِهِ؛ إلا بالاعتراف بالعجز

= نزل قوله تعالى في نفس السورة قبل هٰذه بآيتين: ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض...**﴾، تكلم بعض النساء على هٰذا التفضيل؛ فذكر جل وعلا الآية التي ذكرناها آنفاً، وليس التفضيل في ذات جنس الذكورية فقط، وإنما التفضيل من عدة وجوه ذكر العلماء بعضها في ذات الجنس، وبعضها شرعية؛ فذكروا منها: العلم، والقدرة، فعقل الرجل وعلمه أكثر، وقدرته على الأعمال الشاقة وتدبيره أكمل، وكذا الرجل أكمل في حَزْمه من المرأة، وكذا الكتابة في الغالب والرمي، وأصل الرجل وجنس الذكورية خرج منه الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق، وفي الأنكحة عند الشافعي رحمه الله، وزيادة النصيب في الميراث، وفي تحمُّل الدِّية في القتل والخطأ، وفي القسامة والولاية في النكاح والطلاق والرَّجعَة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب.

وفي الجملة؛ فالرجل هو القائم بأمور المرأة عموماً، وحتى في المَهرِ حال الزواج، وهٰذا فائدته راجعة إلى المرأة، ومع ذٰلك؛ فالمرأة لم يُنْس حقها من إخراج وتدريب الأبناء ورجال الأمة، و﴿... **هٰذا خَلْقُ الله**...﴾، و﴿... **والله يحكم ما يريد**﴾.

للفائدة انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢/ ١٧٣٩)، وكذا «التفسير الكبير ومفاتيح الغيب» للرازي (١٠/ ٦١) نقلاً عنهما بتصرف وزيادة.

والتقصير.

أركان الشكر والشكر مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بالنعمة باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وتعريفها في مرضاة وليها ومسديها؛ فإذا فعل ذٰلك؛ فقد شكرها مع تقصيره في شكرها، والله الموفق(٥٤).

مطلب

نعم الله عز وجل تعم جميع الخلق وذكر الخلاف

فائدة: اختلف الناس؛ هل للباري جل شأنه وتعالى سلطانه على الكافر من نِعْمَةٍ أَوْ لا؟

والجواب: إن نعم الباري لا تحصى، ومِنَنه لا تستقصى؛ فله على عباده من دقائق النعم وجلائلها ما يُبْهِتُ العاقل، ويذهل اللبيب الفاضل؛ فقد أنشأهم من العدم إلى الوجود، ومنَّ عليهم بالحواس من السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، والمشي، والبطش، والعقل، والفهم، والمعرفة، والعلم، والفِكْر، والعافية، والحفظ... إلى غير ذٰلك من الحواس والقُوى الظاهرة والباطنة، وسخَّر لهم الليل والنهار، وأباح لهم المباحات، وأسبل عليهم الستر، ومنحهم الحياء، وكل هٰذه وأضعاف أضعافها مما يتعذر أو يتعسر حصرهُ وسَبْرُهُ من(١) نعم

(٥٤) «الوابل الصيِّب من الكَلِم الطيِّب» (ص ٥).

(١) (السَّبْرُ): من سَبَرَ الشيء سبراً، حَزَرَهُ وَخَبَرَهُ، والسَّبْر: استخراج كُنْهِ ـ أي: حقيقة ـ الأمر. وفي حديث الغار: قال له أبو بكر: لا تدخله حتى أَسْبُرَه قبلك. «لسان» (مادة: سَبَرَ).

الله تعالى على عباده؛ من جَلْبِ كل محبوب، ودفع كل مكروه، وتيسير كل ملائم، ومنع ما ليس كذٰلك.

أقسام النعم

ولٰكن النعم من حيث هي كما قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الجيوش الإسلامية»(٢): نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة:

فالمطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا الله أن نسأل في صلاتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسولَ فَأُولٰئكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالِحينَ وحَسُنَ أُولٰئكَ رَفِيقاً﴾(٣).

فهٰؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل النعمة المطلقة، وأصحابها أيضاً هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾(٤)؛ فأضاف الدين إليهم؛ إذ هم المختصون بهٰذا الدين القيِّم دون سائر الأمم، والدين تارة يضاف إلى العبد، وتارة إلى الرب، فيقال: الإسلام دين الله الذي لا يَقْبَلُ من أحد سواه، ولهٰذا يقال في الدعاء: «اللهم! انصر دينك الذي أنزلته من السماء»(٥).

ونسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة مع إضافتها إليه

(٢) اسمه: «اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المعطِّلة والجهمية».

(٣) النساء: ٦٩.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) إنما هو دعاء يقال، ولا يُعْرف أنه مرفوع أو نحو ذٰلك.

سبحـانـه؛ لأنـه هو وليُّها ومسديها إليهم، وهم مَحَلُّ مَحْضِ النِّعْمَةِ القـابلين لها، ولهٰذا في الدعاء المأثور للمسلمين: «واجعلهم مثنين عليك بها، قابليها، وأتمها عليهم»(٦).

وأمـا الدِّين؛ فلما كانوا هم القائمين(٧) به، الفاعلين له بتوفيق

---

(٦) هٰذا الدعاء الذي أورده المؤلف رحمه الله هو حديث مرفوع، رواه أبو داود في «السنن» برقم (٩٦٩، في كتاب الصلاة، باب التشهد) من طريقه عن تميم بن المنتصر، أخبرنا إسحاق ـ يعني: ابن يوسف ـ، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله ـ هو ابن مسعودٍ رضي الله عنه ـ؛ قال: كنا لا ندري ما نقول إذا جلسنا في الصلاة، وكان رسول الله ﷺ قد عُلِّم، قال شريك: وحدثنا جامع ـ يعني: ابن شداد ـ، عن أبي وائل، عن عبدالله بمثله، قال: وكان يعلمنا كلمات ولم يكن يُعَلمناهُنَّ كما يعلمنا التشهد، اللهم أَلِّف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجِّنا من الظلمات إلى النور، وجنبنـا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قابليها، وأتممها علينا».

الحديث صححه العلامة الألباني رعاه الله وأعلى مناره في «صحيح سنن أبي داود».

من لطيف الفائدة: ذكر ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٤٩ ـ الشعب) حديثاً عن ابـن جرير: حدثني يعقـوب، حدثنـا ابن علية، حدثنـا سعيد بن إياس الجُرَيري، عن أبي نضْرَة؛ قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم التحدث بها.

(٧) ورد في النسختين: «القائلين به». والتصويب من «الاجتماع»، ولعل المؤلف رحمه الله أثبتها من (باب القول والفعل)، ولأنك إذا قمت بالشيء أو =

ربهم؛ نَسَبَهُ إليهم، فقال تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وكان الكمال في جانبه، والتمام في جانب النعمة، واللفظتان، وإن تقاربتا؛ فبينهما فرق لطيف يظهر بالتأمُّل؛ فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني، ويطلق على الأعيان والذوات، وذٰلك[8] باعتبار صفاتها وخواصِّها؛ كما قال النبي ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يَكْمُلْ مِنَ النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية بنت مُزَاحم، وخديجة بنت خويلد»[9].

= فعلته؛ فالمعنى واحد.

(٨) في النسختين: على الذوات والأعيان. ولٰكن باعتبار صفاتها... والمُثْبَتُ من «الاجتماع».

(٩) وتكملته: «... وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٤١٨، في كتاب الأطعمة، باب الثريد)، وكذا رواه مسلم برقم (٢٤٣١، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها)، وابن ماجه برقم (٣٢٨٠، في كتاب الأطعمة، باب فضل الثريد على الطعام)، وكذا أبو يعلى برقم (٧٢٤٥)، كلهم من طريق شعبة، عن عمرو بن مُرَّة الجَملي، عن مُرَّة الهَمْداني، عن أبي موسى رضي الله عنه به.

ورواه البخاري أيضاً برقم (٣٤٣٣، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم...﴾)، وكذا رواه برقم (٣٧٦٩، في كتاب الفضائل، باب فضل عائشة رضي الله عنها) من طريق آدم؛ قال: حدثنا شعبة، به.

ورواه النسائي برقم (٣٩٤٧، في كتاب عشرة النساء، باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض) من طريق: إسماعيل بن مسعود؛ قال: حدثنا بشر =

وقال عمر بن عبدالعزيز[10] طيب الله روحه: إن للإيمان حدوداً،

= - يعني: ابن المفضَّل -؛ قال: حدثنا شعبة (فذكره).

ورواه مسلم برقم (٢٤٣١) في الموضع السابق من ثلاثة طرق، الأولى من طريق: ابن أبي شيبة وأبو كريب؛ قالا: حدثنا وكيع، عن شعبة به، وهي عند البخاري في «الصحيح» برقم (٣٤١١، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿**وضرب الله مثلاً للذين آمنوا**...﴾ الآية)، وهي عند الإمام أحمد في «المسند» (٤/٣٩٤).

وكذا رواه مسلم في نفس الحديث بطريق أخرى من طريق: محمد بن المثنى وابن بشار؛ قالا: حدثنا محمد بن جعفر، جميعاً عن شعبة به، وكذا رواه الترمذي في «السنن» برقم (١٨٣٥، في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في فضل الثريد) من نفس هٰذه الطريق.

وكذا في نفس الحديث رواه مسلم من طريق عبيدالله بن معاذ العنبري (قال مسلم: واللفظ له): حدثنا أبي، حدثنا شعبة به، وذكر الحديث. ورواه أيضاً أبو داود الطيالسي في «مسنده» برقم (٥٠٤) من الطريق الأولى للحديث، وقال في سياقه للإسناد... قال: حدثنا عمرو بن مرة، سمع من يحدث عن أبي موسى (وذكر الحديث)، وبوَّب الطيالسي عليه أحاديث عمرو بن مُرَّة عن أبي موسى رضي الله عنهما.

(١٠) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَي بن كِلاب، الإمام، الحافظ، العلَّامة، المجتهد، الزاهد، العابد، أمير المؤمنين حقّاً، أبو حفص، القُرشي، الأموي، المدني ثم المِصْري، خامس الخلفاء الراشدين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، حَكَمَ تسعاً وعشرين شهْراً بعد سليمان بن عبدالملك، حكوا من سيرته الشيء العجيب، توفي رضي الله عنه وقد ملأ الأرض عدلاً وصلاحاً مسموماً سنة واحد ومئة للهجرة بدير سمعان من أرض حمص، يوم الجمعة من =

وسُنَناً، وشرائع؛ فمن استكملها؛ فقد استكمل الإيمان[11].

وأما التَّمَامُ؛ فيكون في الأعيان والمعاني، ونِعمَةُ الله سبحانه أعيان وأوصاف ومعان.

وأما دِيْنُه؛ فهو شَرْعُهُ المتضمن لأمره ونهيه ومحابه.

فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة أحسن، وكانت إضافة الدين إليهم والنعمة إليه أحسن.

قال: فإذا علمتَ هٰذا؛ فالنعمة المطلقة قد اختصت بالمؤمنين.

فإذا قيل: ليس لله على كافر نعمة بهٰذا الاعتبار؛ فهو صحيح.

= رجب وعمره تسعاً وثلاثين سنة ونصف السنة، وقد ألف وأجاد ابن الجوزي رحمه الله كتاباً حافلاً بسيرته رضي الله عنه وحكاياته.

(١١) هٰذا الأثر رواه البخاري في «صحيحه» (في كتاب الإيمان، ترجمته للباب)، ورواه معلقاً، وقد وصله ابن أبي شيبة في كتاب «الإيمان» له برقم (١٣٥)؛ قال: حدثنا أبو أسامة، عن جرير بن حازم، حدثني عيسى بن عاصم، حدثني عدي بن عدي ـ هو ابن عميرة الكندي ـ؛ قال: كتب إليَّ عمر بن عبدالعزيز (وذكر الأثر). وفيه زيادة: . . . فإن أعِش؛ فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أنا مت قبل ذٰلك؛ فما أنا على صحبتكم بحريص»، والله المستعان.

وعديٌّ هٰذا قالوا: إنه عامل عمر بن عبدالعزيز على الجزيرة، ولذٰلك كتب له، وسند ابن أبي شيبة قال فيه العلامة الألباني حفظه الله في تعليقه على هٰذا الأثر: والسند إليه ـ أي: عدي ـ صحيح. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١/٦٢) في تعليقه على الأثر: . . . والتعليق المذكور وصله أحمد ابن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة في كتاب «الإيمان» لهما. . .

وأمـا النعمـة الثـانية؛ فهي المقيدة؛ كنعمة السمع، والبصر، والصحـة، والغنى، والعـافية، وبسط الجـاه، وكثـرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثالها؛ فهٰذه مُشْتَرَكة بين البَرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر.

فإذا قيل: لله على الكافر نعمة بهٰذا الاعتبار؛ فهو حق.

فلا يصح إطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد، وهو أن النعم المقيدة لمـا كانت استدراجاً للكافر، ومآلها للعذاب والشقاء؛ فكأنها لم تكن نعمة، وإنما كانت بليَّة ونِقْمة(١٢)؛ كما سمَّاها الله تعالى في كتابه كذٰلك، فقال: ﴿**فَأَمَّا الإنسانُ إذا ما ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقـولُ رَبِّي أَكْـرَمَنِ . وأمـا إذا ما ابْتَـلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلاَّ**﴾(١٣)؛ أي: ليس كل من أكرمتُهُ في الدنيا ونعَّمته فيها؛ فقد أنعمتُ عليه، وإنما ذٰلك ابتلاء مني له واختبار، ولا كل من قَدَرْتُ عليه رزقه، فجعلته بقدر حاجته، من غير فَضْلٍ، أكون قد أُهنته، بل أبتلي عبدي بالنعم كما أبتليه بالمصائب(١٤).

فإن قيل: كيف يتفق هٰذا مع قوله: ﴿**فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ**﴾؛ فأثْبَتَ له

---

(١٢) فكل شيء يعرف بنهايته وكماله . . . لذٰلك؛ فإن هٰذه النعمة لما كانت زيادة استدراجٍ وبلاءٍ للكافر في كفره وغيِّه؛ صارت نقمةً عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهي أيضاً قد تكون نقمة على المسلمين العصاة، وقد يدخل أيضاً في الكفر هنا: كفر النعمة.

(١٣) الفجر: ١٥ ـ ١٦.

(١٤) في النسختين: «كما أبتليه بالنقم»، والمثبت من «الاجتماع» (ص ٣٧).

الإكرام والنعمة، ثم أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، فقال: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس ذلك إكراماً مني، وإنما هو ابتلاء؛ فكأنه أثبت له الإكرام ونفاه[15]؟!

فالجواب: أن الإكرام المُثْبَتُ غير المنفي، وهما من جنس النعمة المطلقة والمقيدة؛ فليس هذا الإكرام المقيد بموجب لصاحبه أن يكون من أهل الإكرام المُطْلَق، وكذلك إذا قيل: إن الله أنعم على الكافر نعمة مطلقة، ولكنه رد نعمة الله وبَدَّلَها؛ فهو بمنزلة من أُعْطِيَ مالاً يعيش به، فرماه في البحر؛ كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً**﴾[16]، وقال: ﴿**وأما ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدى**﴾[17]؛ فهدايته إياهم نعمة مِنْه عليهم، فَبَدَّلوا نعمته، وآثروا عليها الضلال.

فقد ظهر فصْل الخطاب في مسألة: هل لله على الكافر نعمة أو لا؟ وأكثر اختلاف الناس من جهتين:

أحدهما: اشتراك الألفاظ وإجمالها.

---

(١٥) في النسختين: «فكأنه أثبت الإكرام ونفاه»، والزيادة المُثبتة من أصل «الاجتماع» الموجود في النسخة المصححة بتحقيق الدكتور عواد المعتق (ص ٣٧).

(١٦) إبراهيم: ٢٨.

(١٧) فُصِّلَتْ: ١٧.

والثانية: من جهة الإطلاق والتفضيل(١٨).

والله ولي الهداية والتفضيل.

مطلب

شكر النعم يديمها وكفرها يزيلها

تنبيه: في قوله: «أبوء لك بنعمتك عليَّ»: اعتراف وإذعان بعظيم نِعَمِ المنان عليه، وترادف الفضل والإحسان لديه، وفي ضمن ذلك شُكْرُ المنعِمِ سبحانه وتعالى، والتبرِّي من كفران النعم.

قال جل شأنه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١).

وروى أبو داود والترمذي وحسَّنه من حديث جابر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُبْلي بلاءً فذكره؛ فقد شكره، وإن كتمه؛ فقد كفره»(٢).

---

(١٨) انتهى كلام ابن القيم رحمه الله من «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٣٣ - ٣٨)، ويوجد في نص الأصلين سقط بعض الكلمات وتغييرها لفظاً لا معنىً، وهٰذا كله بيان من المؤلف رحمه الله في أن النعمة للكافر، وإن ظَنَّ أنها نعمة؛ فإنما هي وهو على كفره استدراج له، نسأل الله العافية.

ولزيادة البيان انظر: «التفسير الكبير ومفاتيح الغيب» (٣١/ ١٧٠ - ١٧٢)، وكذا «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (١٢/ ١٨٠ - ١٨٢)، وغيرها من التفاسير بإجمال.

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) رواه أبو داود في «السنن» برقم (٤٨١٤، في كتاب الأدب، باب في =

. . . .

= شكر المعروف)، وكذا أبو نُعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢٥٩)، كلاهما من طريق: جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه به.

قال العلامة الألباني حفظه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٨٣):

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، وله شاهد - ما زال الكلام للشيخ - من حديث ابن عمر مرفوعاً به نحوه، أخرجه ابن عساكر (١٦/ ٣٠٢/ ١)، وفيه عثمان بن فائد، وهو ضعيف، وقد وقع بياض في النسخة؛ فلم يتبين سنده كاملاً. انتهى كلامه رعاه الله.

ولفظ الترمذي: «من أُعطي عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليُثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يُعطه كان كلابس ثوبي زور»، رواه برقم (٢٠٣٤، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يُعْطَه)، رواه من طريق علي بن حُجْر، أخبرنا إسماعيل بن عياش، عن عمارة بن غَزيَّة، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنهما به، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

قلت: وقد رواه أبو داود في «السنن» - أي: بهذا اللفظ - برقم (٤٨١٣) في نفس الموضع السابق؛ إلا أنه قال: حدثنا مُسدَّد، ثنا بشر - هو ابن المفضل -، حدثنا عمارة بن غَزيَّة؛ قال: حدثني رجل من قومي، عن جابر رضي الله عنه به. وقال أبو داود بعد سياق الحديث: رواه يحيى بن أيوب، عن عمارة ابن غزية، عن شرحبيل، عن جابر. قال أبو داود: وهو شرحبيل، يعني رجلاً من قومي كأنهم كرهوه فلم يسموه.

قلت: وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٢١٥، في باب من صُنع إليه معروف فليكافئه)، وذكر الإسناد موصولاً بقوله: عن شرحبيل (مولى الأنصار) عن جابر به.

وذكر ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣١٨، برقم ٢٤٦٩) الحديث بإسناده =

وروى الإمام أحمد بإسنادٍ حسن عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً: «من لم يشكر القليل؛ لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس؛ لم يشكر الله عز وجل، والتحدُّث بنعمة الله عز وجل شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفُرقة عذاب»(٣).

= من طريق: بشر ـ هو ابن المفضَّل ـ، وقال بعد ذٰلك: قال أبي: هٰذا الرجل هو شرحبيل بن سعد. وقال أيضاً في (٢ / ٣٥٠، حديث رقم ٢٥٦٩) بعد ذكره لرواية ابن عياش هٰذه عن أبي زرعة: هٰذا خطأ، إنما هو عمارة بن غَزية عن شرحبيل عن جابر.

قلت: وإنما ذكرت ذلك لبيان أن إسناد الترمذي الأول غير صحيح اصطلاحاً، وإنما التابعي كما بدا لك هو شرحبيل بن سعد المدني، الذي قال فيه الحافظ: صدوق، اختلط بآخره. وبهٰذا أيضاً يظهر لنا أن الحديث الأول هو الأصل والشاهد للحديث الثاني، والحمد لله رب العالمين.

وقد استفدت بعض هٰذا التعليق من «السلسلة الصحيحة» حيث الموضع آنف الذكر؛ فجزى الله مؤلفها عن الإسلام خير الجزاء. ومن المرجحات أيضاً لما ذكرنا آنفاً أن الراوي في الإسناد الأول هو إسماعيل بن عياش، وقد ذكر أن الراوي بعد ابن غَزيَّة هو أبو الزبير وابن عياش رحمه الله ضعيف في الحجازيين كما هو معروف؛ فتأمل المسألة من أصلها.

(٣) رواه الإمام أحمد باللفظ الذي أورده المؤلف رحمه الله في «المسند» (٤ / ٢٧٨، و٤ / ٣٧٥) من طريق: أبي وكيع الجراح بن مَليح، عن أبي عبدالرحمٰن، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ على هٰذه الأعواد ـ أو على هٰذا المنبر ـ: (وذكر الحديث بلفظه)، وهو من زوائد عبدالله ابن الإمام أحمد.

ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في «الشكر لله عز وجل» برقم (٦٣)، وكذا رواه =

. . . .

= الخرائطي في «فضيلة الشكر» برقم (٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٤٤١٩)، رووه جميعــاً من طُرُقٍ عن أبي وكيعٍ الجـراح بن مليح، عن أبي عبدالرحمٰن ـ هو القاسم بن عبدالرحمٰن الشامي ـ، عن الشعبي، عن النعمان رضي الله عنه به.

قلت: ورجاله ثقات ومقبولون، قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٢٠): ورجاله ثقات. وقال في (٨/ ١٨٥): . . . وأبو عبدالرحمٰن راويه عن الشعبي لم أعرفه. اهـ.

قلت: هو معروف، ولٰكن عند بعض من رووه أبهموه بذكر الكنية، وهو كما قال الحافظ: صدوق يهم، وقال الشيخ الألباني رعاه الله في «الصحيحة» (٢/ ٢٧٦، برقم ٦٦٧): وحديثه لا ينزل عن الحسن، وذكر إخراج القضاعي له وهـو في «مسنـد الشهـاب» (٣/ ١)، وقـد ذكر الحديث العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٦٦، برقم ٢٦١٤) وقال: إسناده لا بأس به.

والغريب تضعيف الحافظ ابن كثير رحمه الله للحديث في «تفسيره» عند الكـلام على التحـدث بالنعمة في سورة الضحى (٨/ ٤٤٩ ـ الشعب)، وكذا ضعفه الإمام السيوطي رحمه الله في «الدر المنثور» (٦/ ٤٠٥) في نفس الموضع.

قلت: وللحديث شواهد عن أبي هريرة وأبي سعيدٍ الخدري والأشعث بن قيسٍ رضي الله عنهم أجمعين؛ فمنهـا ما رواه التـرمـذي في «الجـامع» برقم (١٩٥٥، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك) من طريقه عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ: «من لم يشكر الناس لم يشكرِ الله»، وقال: حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢) ـ من زوائد ابنه عبدالله ـ من طريق: المطلب بن زياد، ثنا ابن أبي ليلى، عن عطية العوفي، عن أبي سعيدٍ =

وروى الطبراني بسند حسن عن سَخْبَرَة[٤] ـ بمهملة ثم معجمة فموحدة وزن مَسْلَمة ـ رضي الله عنه رَفَعَهُ: «ومن أُعْطِيَ فشكر، وابْتُلِيَ فَصبر، وظَلَمَ فاستغفر، وظُلِمَ فَغَفر؛ أولٰئك لهم الأجر وهم مهتدون»[٥].

= رضي الله تعالى عنه به.

وقد ضعفوه؛ قال الحافظ في «التقريب»: صدوق يخطىء كثيراً، وكان شيعيّاً مدلِّساً، وهٰذه الطريق مشدودة بالتي قبلها، وعزاه في «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي والسُّبكي والزَّبيدي: للضياء في «المختارة»، وابن جرير في «التهذيب»، والحارث ابن أبي أسامة، كلهم من طريق أبي سعيدٍ مرفوعاً.

وقد ذكر الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة» أن الدمياطي أفرد جزءً حديثيّاً خاصّاً لهٰذا الحديث، ونكتفي بذٰلك، والحمد لله رب العالمين.

(٤) هو سَخْبَرة والد عبدالله بن سخبرة الأزدي، يقال: له صحبة، وقد أورده ابن حجر في «الإصابة» وعدَّه من الصحابة في (٢/ترجمة ٣١٠٠).

روى عنه ابنه عبدالله، وله حديث في «الترمذي» (رقم ٢٧٨٦، في العلم، باب فضل طلب العلم)، وهو «من طلب العلم؛ كان كفارة لما مضى»، قال الترمذي بعدما أورد هٰذا الحديث: هٰذا حديث ضعيف الإسناد. وأورد حديثنا هٰذا، وهناك صحابي آخر يقال له سخبرة بن عبيدة الأسدي، وهو من أقارب عبدالله بن جحش، وله هجرة، رضي الله عن الجميع.

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» في (١٣٨/٧)، وابن أبي الدنيا في «الشكر لله عز وجل» برقم (١٦٤)، وكذا الخرائطي في «فضيلة الشكر» برقم (٣٦)، ورواه أيضاً البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٤٤٣١)، رووه من طرق عن محمد بن المعلَّى ـ هو الهَمْداني ـ الكوفي، عن زياد بن خيثمة عن أبي داود =

وقال سليمان التيمي(٦) رحمه الله تعالى: إن الله عز وجل أنعم على عبـاده بقدر طاعتهم، وكلَّفهم الشكر بقدر طاقتهم؛ فكلُّ شكْرٍ ـ وإنْ قل ـ ثمن لكل نوال وإن جَلَّ؛ فإذا لم يشكر المرءُ؛ فقد عَرَّض النعمة للزوال، ووسمها بسمة الإضلال.

وفي كلام بعضهم: إن حقّاً على من لعب بنعم الله عز وجل أن يسلبه إياها.

وقد قيل: الشكر قيد للنعم الموجودة، وصيد للنعم المفقودة.

وقالوا: كفران النعم بوار، وهو وسيلة إلى الفرار.

= ـ هو نُفَيع بن الحارث ـ، عن عبدالله بن سخبرة، عن سخبرة، قال (وذكره مرفوعاً).

وعند الخرائطي: عبدالله بن شجير عن أبيه، بدل سخبرة وهو تصحيف، ووقع أيضاً عند البيهقي عبدالله بن سَمُرَة عن أبيه، وهو تصحيف عجيب، أو خطأ مطبعي؛ حيث سبق لك قراءة الحديث مُوْرَداً في ترجمة سخبرة في «الإصابة».

والحـديث فيه أبـو داود هٰذا، وقـد كذَّبـه ابن معين، وهو متروك، قال الحافظ رحمه الله في «التقريب»: قال الهيثمي في «المجمع» (١٠ / ٢٨٤): وفيه أبو داود الأعمى، وهو متروك، وقال الترمذي رحمه الله: أبو داود الأعمى واسمه نُفيع، يُضَعَّفُ في الحديث.

والحـديث معنـاه الصحة، وهٰذا جلي في منطوق ومفهوم الأدلة الواردة ونصوص الشريعة، والحمد لله رب العالمين.

(٦) هو العابد الثقة سليمان بن طرخان، أبو المعتمر، التيمي، البصري، شيخ الإسلام، توفي سنة ثلاث وأربعين ومئة (١٤٣هـ)، من العُبَّاد المجتهدين، كثير الحديث. «السير» (٦/ ١٩٥).

وفي كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا وصل إليكم أطراف النعم؛ فلا تُنَفِّرُوا أقصاها بقلة الشكر».

وفي كلام بعضهم: «استدع شَارِدَها بالشكر، واستدم راهنها بلزوم حسن الجوار[٧]، حَصِّن نعمتك من الزوال بكثرة العطايا والإفضال».

وفي كلام الجُنَيد[٨] قدس الله سره، وقد سُئِلَ عن الشكر: هو أن لا يُعْصى الله سبحانه وتعالى بِنِعَمِه.

ونحو هٰذا قول سيدنا الإمام علي رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي رواه عنه كُمَيل بن زياد النخعي[٩]؛ كما عند أبي نُعيم[١٠] وغيره في ذم بعض حملة العلم الذي يستعمل آلة الدين للدنيا؛ يستظهر بحجج الله على كتابه، وبِنِعَمِهِ على عباده[١١]؛ فهٰذا عصى الله

(٧) كلام جميل معناه أن النعم تُطْلَبُ وهي شاردة بالشكر والحمد، فإذا حصلت ورُهِنَتْ عندك؛ فأحسن جوارها والتصرف بها، والله المستعان.

قال في «القاموس» (باب: رَهَنَ)؛ أي: ثبت ودام.

(٨) سبقت ترجمته.

(٩) هو كُمَيل بن زياد بن نهيك بن الهيثم بن سعد بن مالك بن الحارث، بن النخع، قال ابن سعد: شهد مع علي صفين، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، قتله الحجاج بن يوسف جبراً سنة (٨٢هـ)، وقد تكلموا في روايته بشيء يطول ذكره ـ رحمه الله تعالى ـ.

(١٠) سبقت ترجمته.

(١١) ورد هٰذا الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته المعروفة للتابعي الكبير كُمَيل بن زياد، المعروفة المشهورة. =

. . . .

= وقد رواه: أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٩ ـ ٨٠)، وكذا رواها من طريقه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٤٩ ـ ٥٠)، وكذا الإمام الشجري في «أماليه» (١/ ٦٦)؛ رووه من طرق، عن حبيب بن الحسن بن داود القزاز، نا موسى بن إسحاق، نا أبو نعيم ضرار بن صرد، نا عاصم بن حميد الخياط، عن أبي حمزة الثمالي، عن عبدالرحمٰن بن جندب، عن كميل بن زياد؛ قال: أخذني علي رضي الله عنه ناحية الجَبَّان، وقال لي . . . (وذكر الأثر بطوله).

وقد ذكره الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١١ ـ ١٢)، وقال: ويُروى من وجه آخر عن كمَيل، وإسناده ليِّن. اهـ.

نقول بحول الله: وفيه ضرار بن صرد: هو أبو نعيم الطحان، قال فيه الإمام البخاري: متروك. وقال يحيى بن معين: كذابان بالكوفة هٰذا وأبو نعيم النخعي. انظر: «الميزان» (٢/ ٣٢٧).

وإنما ذكرنا علله الإسنادية؛ لأن رجال إسناده من الرواة المعروفين للأحاديث المرفوعة، حيث لا تجعل مرتبة الكلام في الرجال لإثبات الأثر كإثبات أحاديث رسول الله ﷺ، ومع هٰذا؛ فقد تكلم العلماء وفحول العلم على حُسْنِ معناه وجميل مبناه، وما ذٰلك إلا قبولاً له واعتماداً، خاصة وأن في السنة ما يشده ويعضده.

قال الخطيب بعد روايته للحديث: هٰذا حديث من أحسن الحديث معنى وأشرفها لفظاً. ونقل العلامة ابن القيم رحمه الله مقولة الحافظ ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» في «إعلام الموقعين» (٢/ ١٨٥): قال ابن عبدالبر: وهو حديث مشهور عند أهل العلم، يستغني عنه الإسناد لشهرته عندهم. انتهى؛ أي: قبوله عند العلماء لجبور ضعفه بما يشده من المرفوع.

انظر: «مفتاح دار السعادة» (ص ١٤٣) في تفضيل العلم على المال، وكذا انظر: «الإسعاد في الكلام على وصية أمير المؤمنين علي للكميل بن زياد» =

سبحانه بِنِعَمِهِ، فاستظهر بنعمه جل شأنه على عباده، واختال وتكبر، وتعاظم وتجَبَّر؛ فقد كفر النعمة، وخان الأمانة؛ فما أجدره بسرعة سَلْبِها عنه، ونزعها منه؛ لأنه عَرَّضها للنفور، ونِعَمُ الباري سبحانه لا تَقَرُّ عند كفور، والله ولي الأمور.

* قوله: «وأبوء»؛ أي: أرجع على نفسي بالإقرار والاعتراف.

* «بـذنبي»؛ أي: إثمي؛ فالذنب هو الإثم، والجمع ذنوب، وجمع الجمع: ذنوبات.

قال في «لسان العرب»: الذنب: الإثم، والجُرْمُ، والمعصيةُ[١٢]. انتهى.

وإنما سُمِّيَ ذَنْباً؛ لتوقع المؤاخذة عليه؛ لترتبها على فعله[١٣].

ويشمل فعل كل محظور، وترك كل واجب؛ من ترك الصلوات، ومنع الزكاة، وعدم صوم رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام مع الاستطاعة، وترك شكر النعم.

والحاصل أنه اعترف بكل ذَنْبٍ؛ من تقصير في أداء واجب، أو فعل محظور من موبقات الذنوب؛ كالزنى، وأكل الربا، وقتل النفس،

= حيث استفدنا بعض هٰذا التخريج منه جزاه الله خيراً، وكذا لمؤلفنا رحمه الله مؤلَّفاً في هٰذا الأثر يسَّر الله إخراجه.

(١٢) «لسان العرب» (٣/١٥١٩) (مادة: ذَنَبَ).

(١٣) وكما أن الذَّنب يتبع صاحبه ويعتبر تابعاً، لذا؛ فإن الإنسان إذا فعل معصية لحقت به وصارت كالذَّنب وراءه ومحسوبة عليه.

والسحر والفرار من الزحف إذا لم يزد العدو على ضعف المؤمنين قوةً[١٤] إلا متحرِّفاً لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئة[١٥]، وعقوق الوالدين، ومن فِعْل كل كبيرة وصغيرة من الذنوب المترتب عليها من الذم والحَوْب من علام الغيوب؛ إلا أن يعفو عن عبده أو يتوب العبد فيتوب الله عليه.

أقسام الذنوب

تنبيه: اعلم أن الذنوب على قسمين: ترك فريضة ـ وهي معصية إبليس ـ لعنه الله تعالى، وفِعْلُ مُحَرَّم، وهي معصية أبينا آدم عليه الصلاة والسلام[١٦]؛ فقد أُمر إبليسُ بالسجود فأبى، وآدم عليه السلام

---

(١٤) في النسختين: إذا لم يزد العدو على ضعف المؤمنين إلا متحرِّفاً... وزيدت: قوةً... لإتمام المعنى ووضوحه، ولعل ما وقع سقط قلم.

(١٥) في (ز): «أو متحيزاً وعقوق الوالدين»، والتصحيح من (ك).

أجاز الله عز وجل ورخَّص للمؤمنين المجاهدين في المعركة أن ينسحب بعضهم من وجه العدوِّ ويذهبوا للمجيء من جهة أخرى يوجد فيها المسلمون ليعاونونه ويعاونهم، أو كان في سريَّة، ففرَّ إلى الأمير أو إلى الإمام الأعظم دخل في هٰذه الرخصة كما حكاه ابن جرير وابن كثير وغيرهما، والحالة الأخرى هي أن يفرَّ من بين يدي قرينه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه؛ فيتبعه ثم ينقلب عليه فيقتله بغتة؛ فلا بأس عليه في ذٰلك، نص عليه سعيد بن جبير والسُّدي، وقال الضحَّاك: أن يتقدم عن أصحابه ليَرى غرة من العدو فيصيبها. وكلام الضحَّاك في قوله تعالى: ... ﴿**إلا متحرفاً لقتالٍ...**﴾.

(١٦) في قوله تعالى: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾ [طه: ١٢١]، قال الإمام القرطبي رحمه الله: قال الإمام ابن فُورك رحمه الله تعالى: كان هٰذا من آدم قبل النبوة، ودليل ذٰلك قوله تعالى: ﴿**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾؛ فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هٰذا قبل النبوة؛ فجائز عليهم =

نُهِيَ عن الأكل من الشجرة فأكل وما عَبِيء، ثم إن الله سبحانه تاب على أبينا آدم لتوبته، وبقي إبليس اللعين على حوبته.

ثم تنقسم من حيث أصولها إلى أربعة أقسام: ربوبية، وشيطانية، وبهيمية، وسبعية.

فالربوبية: تشبُّه العبد الذليل بصفات مولاه الجليل؛ من الرفعة، والعَظَمَةِ، والكبرياء، والعز، والغِنى، والقهر، والاستيلاء، فَمَن تَشَبَّه بشيءٍ من ذٰلك[١٧]؛ فقد نازع الربوبية حقها، وأوجب على نفسه حَرْقَها[١٨].

والشيطانية: التشبُّه بصفات[١٩] الشيطان الرجيم؛ من الحسد، والبغي، والحيلة، والخداع، والغش، والنفاق، والدعوة إلى المعاصي، والكفر، والبدَع، والضَّلال؛ فمن فعل شيئاً من ذٰلك؛ فسَلفه فيه ومقتضاه عدو الله إبليس الخسيس.

والبهيمية: التشبه بصفات البهائم؛ من الشدة، والحرص على

= الذنوب وجهاً واحداً؛ لأن قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم، فإذا بعثهم الله تعالى إلى خلقه وكانوا مأمونين في الأداء معصومين؛ لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب، وهٰذا نفيس، والله أعلم. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١١ / ١٧٠) للقرطبي.

(١٧) «من ذٰلك . . .» ساقطة من (ز).

(١٨) أي: اعتدى على صفة عظيمة من صفات الرب تعالى وهي الربوبية بمنازعته إياها، وقد سبق في أول الكتاب حديث المنازعة.

(١٩) «بصفات . . .» ساقطة من (ز).

قضاء شهوة البطن والفرْج كيف اتفق ذٰلك، ومنها يتشعب الزنى، والسرقة، والخيانة[20]، والفِرْقة، وأكل أموال الأيتام، وجمع المال الحرام، والبخل، والادخار لقضاء الأوطار، وعدم حفظ الجوار.

والسَّبعية: التشبه بصفات السِّباع؛ من العقب[21]، والحقد، ومنها يتشعب القتل، وإيذاء الخَلْق، واغتصاب أموالهم.

أول أقسام الذنوب استيلاء على الإنسان

وأوَّل ما يستولي على الإنسان البهيمية[22]؛ فإذا عَظُم وتزايدت قوته؛ دخلت عليه السَّبعيَّة؛ فإذا قَوِيَت فكرته المعكوسة، ولم يُوفَّق؛ استعملته في المكر والخداع والحيل والابتداع، ثم يدخل عليه منازعة الربوبية حقوقها، حينئذٍ تعظم البليَّة وتكبر الرَّزِيَّة[23].

---

(٢٠) في (ك): «. . . والسرقة والخناق والفرقة. . .».

(٢١) عَقَبَ الرجل في أهله: نواه بشرٍّ وبما يكره ووقع فيه من الغَضب. «اللسان» (عقب).

(٢٢) حيث إن البهيميَّة أسهـل ما على الإنسان؛ فهي قضاء شهوةٍ في نفسه بدافع من هواه بغير تكلُّفٍ غالباً.

(٢٣) انظر: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص ١٨٥ ـ ١٨٦)؛ إلا أن ابن القيم رحمه الله سمى الربوبية المَلكيَّة، وقال: ويدخل في هٰذا الشرك بالرب تعالى، وهو نوعان: شرك به في أسمائه وصفاته وجَعْل آلهة أخرى معه، وشرك به في معاملته، وهٰذا الثاني قد لا يوجب دخول النار، وإن كان قد أحبط العمل الذي أشرك فيه مع الله غيره. . . ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خَلْقه وأمره. . . ولا ينفع معه عمل. ثم قال بعد ذٰلك وعندما تكلم على آخرها وهو «البهيمية»: وهٰذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والمَلكيَّة، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام؛ فهو يجرُّهم إليها بزمام، =

أقسام الذنوب بالنسبة لضررها

ثم إن الذنوب تنقسم إلى قسمين بالنظر إلى ضررها ومَزيد العقوبة عليها إن لم يعفو العفوّ الغفور:

إلى كبيرة: وهي ما فيه حد في الدنيا ووعيد في الآخرة، وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: أو جاء وعيده بنفي إيمان أو لعن على فعله(٢٤).

وإلى صغيرة: وهي كل معصية ليس فيها ذٰلك.

والتوبة من الجميع واجبة:

خِلافاً لمن لم يوجبها من الصغائر؛ لكونها تقع مُكَفَّرَةً باجتناب الكبائر والوضوء والصلوات؛ كما في قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَريماً**﴾(٢٥)، وقوله: ﴿**الَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ والفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ**﴾(٢٦).

والصواب وجوبها مُطْلقاً؛ لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وتُوبوا إِلى اللهِ جَميعاً أَيُّها المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ**﴾(٢٧)؛ فأمر بالتوبة عَقِبَ ذكر

= فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية، ثم إلى الشيطانية، ثم إلى منازعة الربوبية والشرك في الوحدانية، ومن تأمل هٰذا حقَّ التأمل؛ تبين له أن الذنوب دهليز - أي: مَدْخَلٌ - للشرك والكفر ومنازعة الله ربوبيته. انتهى كلامه عفا الله عنه.

(٢٤) انظر: «الفتاوى الكبرى» (٥/ ١٣٠) وما بعدها.

(٢٥) النساء: ٣١.

(٢٦) النجم: ٣٢.

(٢٧) النور: ٣١.

الصغائر والكبائر.

وأمر بالتوبة من الصغائر بخصوصها في قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ولا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ولا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسوقُ بَعْدَ الإيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢٨].

قال الإمام الحافظ ابن رجب: ومن الناس من لم يوجب التوبة من الصغائر، وحُكِيَ عن طائفة من المعتزلة، ومن الناس من قال: يجب الإتيان بأحد أمرين: التوبة أو مُكَفِّرُ الذنوب من تلك الحسنات[٢٩].

والحق المُعْتَمَد وجوب التوبة مطلقاً، والله الموفق.

معنى: (فاغفر لي)

* قوله: «**فاغفر لي**»: يا ألله جميع ذنوبي، ولفظ الذنب في الدعاء، وإن كان مفرداً؛ فإنه يعم كل ذنب؛ لأنه مضاف لياء المتكلم؛ كما أشرنا إليه آنفاً.

والغفران والمغفرة والتكفير متقاربة المعاني؛ فالغفران والمغفرة مأخوذة من الغَفْر، وهو السَّتْر، فكأنها ستر الذنوب أو وقاية شرها مع سترها، ولهٰذا سُمِّي ما سَتر الرأس ووقاه في الحرب: مِغْفَرٌ، ولا يُسَمَّى كل ساتر للرأس مِغْفراً.

---

(٢٨) الحجرات: ١١.

(٢٩) «جامع العلوم والحكم» (١٥٥، ١٥٦).

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الملائكة عليهم السلام أنهم يَدْعُون للمؤمنين التائبين بالمغفرة[٣٠].

ووقاية السيئات والتكفير من هٰذا الجنس؛ لأن أصل الكفر الستر والتغطية.

الفرق بين التكفير والمغفرة

وفَرَّقَ بعض المتأخرين بين المغفرة والتكفير بأن التكفير محو أثر الذنب حتى كأنه[٣١] لم يكن، والمغفرة تتضمن من ذٰلك إفضالَ الله على العبد وإكرامه.

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النووية»: وفي هٰذا نظر.

قال: وقد يُفَسَّر بأن مغفرة الذنب بالأعمال الصالحة بقلبها حسنات وتكفيرها بالمكفرات تمحوها فقط، ثم نَظَرٌ فيه أيضاً؛ قال: لأنه قد صح أن الذنوب المُعَاقَب عليها بدخول النار تُبَدَّلُ حسنات، والمُكَفَّرة بعمل صالح تكون كفارة لها أوْلى.

قال: ويحتَمل معنيين آخرين:

أحدهما: أن المغفرة لا تحصل إلا مع عدم العقوبة والمؤاخذة؛ لأنها وقاية شر الذنب بالكلية، والتكفير قد يقع بعد العقوبة؛ فإن المصائب الدنيوية كلها مكفرات للخطايا، وهي عقوبات، وكذٰلك العفو يقع مع العقوبة وبدونها، وكذٰلك الرحمة.

---

(٣٠) غافر: ٧.

(٣١) في (ز): «كأن لم يكن».

والثاني: أن الكفَّارات التي جعلها الله لمحو الذنوب المكفرة بها، ويكون ذٰلك هو ثوابها، ليس لها ثواب غيره، والغالب عليها أن تكون من جنس مخالفة هوى النفوس، وتَجَشُّم المشاق[٣٢]؛ كاجتناب الكبائر الذي جعله الله كفارة للصغائر.

وأما الأعمال التي تُغْفَرُ بها الذنوب؛ فهٰذا ما عدا ذٰلك[٣٣]، ويجتمع فيها المغفرة والثواب عليها؛ كالذكر الذي تُكتب به الحسنات، وتُمْحَى به السيئات.

وعلى هٰذا الوجه؛ فَيُفَرَّقُ بين الكفارات من الأعمال وغيرها، وأما تكفير الذنوب ومغفرتها إذا أضيف ذٰلك إلى الله؛ كفَّر الله ذنبه وكفَّر سيئته؛ فلا فَرْقَ بينهما، وعلى الوجه الأول يكون بينهما فرق أيضاً[٣٤].

بعض ما ورد في محو السيئات

تنبيه: روى الترمذي وحسَّنه عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلُق حسن»[٣٥].

---

(٣٢) في (ز): «وتجشّم المشتاق...».

(٣٣) أي: ما عدا الكبائر.

(٣٤) «جامع العلوم والحكم» (٥٤ - ٦٦).

(٣٥) ورد هٰذا الحديث عن عدد من الصحابة؛ فمنهم أبـو ذرٍّ رضي الله عنه، وعن معاذٍ بن جبل.

فرواه عن أبي ذرٍّ: الإمام أحمد في «المسند» (٥/١٥٣ و١٥٨ و١٧٧)، والترمذي في «الجامع» برقم (١٩٨٧، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس)، والدارمي في «السنن» برقم (٢٧٩١، في باب حسن الخلق)، =

. . . .

= والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤)، وأبو نُعيمٍ في «الحلية» (٤/ ٣٧٨)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٧٦٦٣)، رووه جميعاً من طُرُقٍ عن سفيان - هو الثوري -، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله تعالى عنه مرفوعاً به.

وبنحوه قال الترمذي بعد روايته للحديث: هٰذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرطهما. ووافقه الذهبي، وقال أبو نعيم: غريب من حديث ميمون، عن أبي ذرٍّ.

والحديث حسنه الشيخ الألباني حفظه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩١).

قلت: رجاله ثقات ومقبولون.

وحديث معاذٍ رضي الله عنه؛ فرواه عنه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٦)، وكذا الترمذي أيضاً في «الجامع» برقم (١٩٨٧)، والطبراني في «الصغير» برقم (٥٣٠، ١/ ٣٢٠)، وكذا رواه وكيع في «الزهد» برقم (٩٤)، وكذا هناد بن السري في «الزهد» برقم (٩٧٧)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٥)، وكذا رواه أبو نُعيمٍ في «الحلية» (٤/ ٣٧٦)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٧٦٦٠ و٧٦٦٢)، رووه جميعاً بطرق مدارها أيضاً على حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذٍ رضي الله تعالى عنه به، وبنحوه.

وقد سبق إيراد تصحيح الحديث للترمذي، ثم قال: والصحيح حديث أبي ذر، وقد حسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٩٧)، وقال شيخنا الفاضل، الشيخ عبدالرحمٰن الفريوائي جزاه الله خيراً: إن حديث أبي ذرٍّ صحيح بمجموع طرقه. ونكتفي بهٰذا، والحمد لله رب العالمين، وحديث معاذٍ أيضاً قد حسنه الذهبي كما نقل عنه المُنَاوي في «فيض القدير» (١/ ١٢١). =

فظاهر هٰذا الحديث كظاهر قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الحَسَنات يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ**﴾(٣٦)، وما شابه ذٰلك من الآثار: أن السيئة تُمْحَى من صحف الملائكة بالحسنة إذا عُمِلَتْ بعدها.

وقـد قال عطيَّة العوفي(٣٧): «بلغني أنه من بكى على خطيئة؛ مُحِيَتْ عنه وكُتِبَتْ له حسنة».

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «من ذكر خطيئةً عَمِلَها، فوجَلَ قلبه منها، فاستغفر الله عز وجل؛ لم يَحْبِسها شيء حتى يمحوها عنه الرحمٰن».

وقال بشر بن الحارث(٣٨): بلغني عن الفضيل بن عياض؛ قال: «بكاء النهار يمحو ذنوب العلانية، وبكاء الليل يمحو ذنوب السر».

لا تمحى السيئات من الصحائف إلا بعد أن يوقف العبد عليها

وقالت طائفة: لا تُمْحى الذنوب من صحائف الأعمال بتوبة ولا غيرها، بل لا بد أن يُوقَفَ عليها صاحبها ويَقْرَأها يوم القيامة، واستدلوا بقـولـه تعـالى: ﴿**وَوُضِـعَ الكِتابُ فَتَرى المُجْرِمينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فيهِ ويَقُولونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهٰذا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغيرةً ولا كَبيرَةً إلَّا**

= انتهى من تحقيقه جزاه الله خيراً «للزهد» لوكيع (١/٣١٩ ـ ٣٢١) حيث أطنب جزاه الله خيراً وأطال الكلام، وعمت الفائدة، وشفي الغليل.

(٣٦) هود: ١١٤.

(٣٧) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي، الكوفي، من مشاهير التابعين، وهو عند المحدثين ضعيف الحديث، توفي سنة (١١١هـ).

(٣٨) بشر بن الحارث المروزي، أبو نصر الحافي، الزاهد، الجليل، المشهور، ثقة، قدوة، توفي سنة (٢٢٧هـ).

أَحْصاها﴾[39].

وفي هٰذا نظر؛ لأنـه إنمـا ذَكَرَ فيها حال المجرمين، وهم أهل الجـرائم والـذنـوب العظيمة؛ فلا يدخل فيهم المؤمنون التائبون من ذنوبهم، أو المغفورة ذنوبهم بحسناتهم.

وأظهرُ من هٰذا الاستدلال بقوله تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**[40].

وقد ذكر بعض المفسرين أن هٰذا القول هو الصحيح عند المحققين[41].

وروي عن الحسن البصري[42] وبلال بن سعد الدمشقي[43]؛ قال الحسن في العبـد يذنب ثم يتـوب ويستغفر: يُغْفَر له، ولٰكن لا يُمْحَاه من كتابه دون أن يقف عليه، ثم سأله عنه، ثم بكى الحسن بكاءً شديداً، وقال: لو لم نبكِ إلا للحياء من ذٰلك المقام؛ لكان ينبغي لنا أن نبكي.

(**٣٩**) الكهف: **٤٩**.

(**٤٠**) الزلزلة: ٧، ٨.

(**٤١**) انظر: «تفسير الطبري» في هٰذه المسألة عند قوله تعالى: **﴿ووضِعَ الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾** (آية ٤٩). (١٥/ ٢٨٤).

(**٤٢**) الحسن بن أبي الحسن الأنصاري، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، أحد العباد العلماء، توفي سنة (١١٠هـ) رحمه الله.

(**٤٣**) بلال بن سعد بن تميم، أبو عمرو الثقة، العابد، الفاضـل، توفي في خلافة هشام بن عبدالملك رحمه الله.

وقال بلال بن سعد: إن الله يغفر الذنوب، ولٰكن لا يمحوها من الصحيفة، حتى يُوقَفَ عليها يوم القيامة، وإن تاب.

وقـال أبو هريرة رضي الله عنه: «يدني اللهُ العبدَ يوم القيامةِ، فيضع عليه كَنَفَهُ(٤٤)، فَيَسْتُرُهُ من الخلائق كُلِّها، ويدفع إليه كتابه في السِّتْر، فيقول: اقرأ يا ابن آدم كتابك. فيقرأ، فيمر على الحسنة فَيَبْيَضُّ لهـا وجهـه ويُسَـرُّ بها قلبه، فيقول: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم. فيقـول: إني قبلتهـا منـك. فيسجد، فيقول: ارفع رأسك، وَعُدْ في كتابك. فيمر بالسيئة، فَيَسْوَدُّ لها وَجْهه، ويَوْجَلُ منها قلبه، وتَرْعُدُ منها فرائصـه(٤٥)، ويأخـذه من الحياء من ربـه ما لا يعلمه غيره، فيقول: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم يا رب! فيقول: إني قد غفرتُها. فيسجد، فلا يُرى من الخلائق إلا السجود، حتى يُنادِي بعضهم بعضاً: طوبى لهٰذا العبد الذي لم يعص الله قط، ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين ربه عز وجل مما قد وقفه عليه».

وأصحاب هٰذا القول يحملون أحاديث محو السيئات بالحسنات على محو عقوباتها دون محو كتابتها من الصحف(٤٦).

---

(٤٤) كَنَفُ الله سبحانه؛ أي: حِرْزه وستره. «القاموس» (مادة: كَنَفَ).

(٤٥) (فرائصه): جمع فريصة، وهي ما بين الجنب والكتف، لا تزال ترعد. «القاموس» (ص ٨٠٧، فَرَصَ).

(٤٦) «جامع العلوم والحكم» (١٥٧، ١٥٨).

مطلب

والحاصل أن الله تعالى يغفر الذنوب للعبد المؤمن بالحسنات والتوبة والمكفرات والاعتراف؛ فَمِن ثَمَّ اعترف العبد في هٰذا الدعاء بالـذنب، وأقَـرَّ به على نفسه، ثم طلب من الله الغفور الرحيم أن يغفره له بمنِّه وكرمه، ثم نَفَضَ يديه من الحول والقوة، والتَجأ إلى سعة عفو الله وغفرانه؛ معترفاً بذنوبه، وأنه لا يغفرها إلا هو بقوله.

* «**فإنه**»؛ أي: الشأن والأمر.

* «**لا يغفر الذنوب**»؛ أي: يقي شرها، ويستر ضرّها.

* «**إلا أنت**»: وحدك لا شريك لك، والاعتراف يمحو الاقتراف كما قيل؛ فإن اعتراف المرء يمحو اقترافه؛ كما أن إنكار الذنوب ذنوب.

ومنه الإقرار بالوحدانية واستجلاب المغفرة؛ فهو كقوله سبحانه وتعـالى: ﴿**والَّـذينَ إذا فَعَلُوا فاحِشَـةً أَوْ ظَلَمـوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَـروا اللهَ فَاسْتَغْفَـروا لِذُنـوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِـرُ الـذُّنـوبَ إلَّا اللهُ**﴾[1]؛ فأثنى على المستغفرين، وفي ضمن ثنائه عليهم بالاستغفار تلويح بالأمر به؛ كما قيل: إن كل شيء أثنى الله على فاعله؛ فهو آمر به، وكل شيء ذَمَّ فاعله؛ فهو ناهٍ عنهُ؛ كما في «الفتح»[2].

ولمَّـا كان العبد لا يَنْفَكُّ عن نِعْمَةٍ يَشْكُرُ عليها مولاه، ومُصيبة يَصْبِـرُ عليهـا امتثالاً لأمر الله ورضاءً بقضائه، أو معصية يستغفر الله

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) لعله «فتح الباري» لابن حجر رحمه الله.

ويتوب إليه منها، فيكون إذا أنعم الله عليه شَكَرَ، وإذا ابتلاه صبر، وإذا أذنب اعترف بذنبه واستغفر؛ اعترف في هٰذا الدعاء بالذنب، وطلب من مولاه غفرانه؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا هو سبحانه، بعد اعترافه بالنعم المترادفة عليه؛ ففي ضمن الاعتراف بالذنوب بعد الاعتراف بالنعم اعتراف بالتقصير في الشكر؛ كما نبَّهنا عليه سابقاً.

ولما كان العبد مبتلىً بالشهوة والغفلة والغضب، وكان الشيطان مسلَّطاً على الإنسان في هٰذه الدار، وله عليه أعوان من نفسه؛ كان لا بد وأن يَنال منه؛ لأن دخوله عليه من هٰذه الأبواب يَسْهُل، ولو احترز العبد؛ إذ لا بد له من غفلة ومن شهوة ومن غضب، والنفس تطلب وتتمنى.

وقد كان آدم أبو البشر ﷺ أحكمُ الخلق وأرجحهم عقلاً وأثبتهم، ومع هٰذا؛ فلم يَزَلْ به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه؛ فما الظن بفَراشة الحلم، ومَنْ عقلُهُ في جنب عقل أبيه كَتَفْلَةٍ في يَمّ؟!

غير أن عدو الله لا يَخْلُصُ إلى المؤمن إلا غيلةً على غِرَّةٍ وغفلةٍ[٣]؛ فيوقعه في الذنب، ويَظُنُّ أنه لا يَسْتَقْبِلُ ربَّه بعدها، وأن تلك الزَّلَّة قد اجتاحته وأهلكته، وعفو الله ومغفرته وراءَ ذٰلك.

فإذا أراد الله سبحانه بعبده خيراً؛ فتح له من باب التوبة والاستغفار، والندم والانكسار، والذل والافتقار، ودوام التضرع والابتهال، والدعاء والاحتفال، ما تكون تلك السيئة سبب رحمته،

---

(٣) (و) ساقطة من (ز).

حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه فيها.

السيئة التي تدخل الجنة والحسنة التي تدخل النار

وهٰذا معنى قول بعض السلف: إن العبد لَيَعْمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب؛ فلا يزال نَصْبَ عينيه؛ خائفاً منه، مُشفقاً، وجِلاً، باكياً، نادماً، مُسْتَحِياً من ربه، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب؛ فيكون ذٰلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة؛ لِمَا ترتَّب عليه من هٰذه الأمور التي بها سعادةُ العبدِ وفلاحُه، حتى يكون ذٰلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة؛ فلا يزال يَمُنُّ بها على ربه، ويتكبَّر بها، ويرى نفسه، ويعجب بها، ويستطيل بها، ويقول: فعلتُ وفعلتُ؛ فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه؛ فإذا أراد الله بهٰذا المسكين خيراً؛ ابتلاه بأمر يكسره به، ويذلُّ به عُنُقَهُ، ويُصَغِّرُ به نَفْسَه عنده، ومن أراد به غير ذٰلك؛ خَلَّاه وَعُجْبَهُ وَكِبْرَهُ، وهٰذا هو الخُذْلانُ الموجِبُ لهلاكه؛ فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لا يَكِلَكَ الله إلى نفسك؛ فمن أراد الله به خيراً؛ فتح له باب الذُّلِّ والانْكِسارِ ودوام اللجإ إلى الله، والافتقار والاعتراف بالذنوب والأوزار، ورؤية عيوب نفسه وكثرة الاستغفار، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه، وبِرِّه وجوده وامتنانه.

العارف يسير بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس

قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب» عن أبي إسماعيل الأنصاري شيخ الإسلام وإمام العارفين صاحب كتاب «منازل السائرين»: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل.

قال ابن القيم: فالعارف سائر إلى الله بين هٰذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بِهِما؛ فمتى فاته واحد منهما؛ فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه.

قال: وهٰذا معنى قوله ﷺ في حديث سيد الاستغفار: «أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»؛ فجمع في قوله: «أبوء لك...» إلخ بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل؛ فمشاهدة المنَّة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النِّعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل يوجب الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مُفْلِساً.

قال: وأقرب باب دخل منه العبد على الله باب الإفلاس؛ فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة مِنَّةٍ يَمُن بها، بل يدخل على الله من باب الافتقار الصِّرْفِ والإفلاس المَحْض؛ دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبَه، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويداء قلبه وانصدع، وشَمِلَتْهُ الكَسْرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه، وفاقته وفقره إليه، وأن له في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه، وأنه إن تخلَّى عنه طَرْفَةَ عين؛ هلك وخسر خسراً لا يُجْبَرُ؛ إلا أن يعود اللهُ عليه، ويتدأركه برحمته؛ فمن بنى سلوكه إلى الله على هٰذين الأصلين (أعني: مشاهدة المنة، ومشاهدة عيب النفس والعمل)؛ لم يظفر عدوه به إلا على غِرَّة وغفلة، وما أسرع ما يُنْعِشُهُ الله ويجبره ويتداركه ويرحمه، ولا سيما مع اعترافه

بذنوبه[4]، وأنه لا يغفرها إلا هو سبحانه.

سعة عفو الله ومغفرته

كما ذكر الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النووية» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يأتي الله تعالى بالمؤمن يوم القيامة، فَيُقَرِّبه، حتى يجعله في حجابه من جميع الخلق، فيقول له: اقرأ. فَيُعَرِّفُهُ ذنباً ذنباً؛ أتعرف، أتعرف؟ فيقول: نعم، نعم. فيلتفت العبد يَمْنَةً ويَسْرَة، فيقول الله عز وجل: لا بأس عليك يا عبدي! أنت في ستري من جميع خلقي، ليس بيني وبينك اليوم أحد يطَّلِعُ على ذنوبِك غيري، اذهب؛ فقد غفرتُها لك بحرف واحد من جميع ما أتيتني. قال: ما هو يا رب؟ قال: كنتَ لا ترجو العفو من أحد غيري»[5].

---

(٤) «الوابل الصيِّب من الكلم الطيب» (ص ٩ ـ ١٠).

(٥) ذكره الهيثمي بنحوه في «المَجْمَع» (٧/ ٤٠) وقال: رواه الطبراني، وفيه القاسم بن بَهْرام وهو ضعيف. اهـ.

وقد ذكره الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحِكَم» (٢/ ٤٠٥) بصيغة: ويُرْوَى.

ويغني عنه أصله الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» برقم (٧٥٠٧، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾...)، والإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٨، في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٦)، والترمذي في «الجامع» برقم (٣٥٣٨، في كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، وما ذُكر من رحمة الله لعباده)، وابن ماجه في «السنن» برقم (٤٢٤٧، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)، وابن حبان في «صحيحه» برقم =

وفي حديث أبي ذر المرفوع: «يقول الله عز وجل: من علم منكم أني ذو قُدْرة على المغفرة، ثم استغفرني؛ غفرت له ولا أبالي»[٦].

وفي حديث علي مرفوعاً: «إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: ربِّ! اغفر لي ذنوبي؛ يعلم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري»[٧].

= (٦٢٢ و٦٢٥، في كتاب الرقاق، باب التوبة، ذكر الخبر الدال على أن توبة المرء بعد مواقعته الذنب في كل وقت تخرجه عن حد الإصرار على الذنب)؛ جميعهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن عبداً أذنب ذنباً، فقال: ربِّ! أذنبتُ ذنباً فاغفر لي؛ قال الله تعالى: عَلِمَ عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً آخر؛ فذكر مثل الأول مرتين أُخْرَيَيْن». وعند مسلمٍ: «قد غفرت لعبدي؛ فليعمل ما شاء». والحمد لله رب العالمين.

(٦) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٥٧٧، في كتاب البر والصِّلة، باب تحريم الظلم)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/١٥٤ و١٦٠ و١٧٧)، وكذا الترمذي في «الجامع» برقم (٢٤٩٥، في كتاب صفة القيامة، باب رقم ٤٨)، وابن ماجه في «السنن» برقم (٤٢٥٧، في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)، وغيرهم، جميعهم من طُرُقٍ عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنهما به، وسبق تخريج الحديث في أول الكتاب.

(٧) الحديث بلفظه أن النبي ﷺ لَمَّا رَكِبَ دابته حَمِدَ الله ثلاثاً، وكبر ثلاثاً، وقال: «سبحانك إني ظلمت نفسي؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ثم ضحك، وقال... الحديث. رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٩٧ و١١٥ و١٢٨)، والترمذي في «الجامع» برقم (٣٤٤٦، في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب الناقة)، وأبو داود في «السنن» برقم (٢٦٠٢، في كتاب الجهاد، =

فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرج مغفرته من غير ربه، ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره.

وفي حديث أبي ذر القدسي مرفوعاً: «إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرتُ ما كان منك، ولا أبالي»[^8]؛ يعني: على كثرة ذنوبك وخطاياك؛ فلا يتعاظمني ذلك ولا أستكثره.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «إذا دعا أحدكم؛ فليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء»[^9]؛ فذنوب العباد وإن عظمت؛ فعفو الله ومغفرته أعظم منها؛ فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته.

= باب ما يقول الرجل إذا ركب)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» برقم (٢٦٩٨، في كتاب الصلاة، باب المسافر، ذكر ما يحمد العبد ربَّه عند الركوب لسفر يريده)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٩٨ و٩٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٧١)، رووه من عدة طرق عن أبي الأحوص ـ هو سلام بن سليم ـ، عن أبي إسحاق، عن علي بن ربيعة؛ قال: شهدت علياً أتى بدابةٍ ليركبها... الحديث إلخ...

قلت: ورجاله ثقات، بعضهم من رجال الشيخين، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٨) تقدم تخريجه قريباً.

(٩) رواه البخاري في «صحيحه» بلفظ: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت؛ فإنه لا مستكرِهَ له ولكن ليعزم المسألة»، برقم (٧٤٧٧، في كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، وفي غير موضع)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٧٨، في كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء)، وكذا الترمذي في «الجامع» برقم (٣٤٩٧، في كتاب الدعوات، باب رقم ٧٨)، وقال: هذا حديث =

وفي «صحيح الحاكم»(١٠) عن جابر رضي الله عنه؛ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ؛ يقول: واذنوباه! مرتين أو ثلاثاً. فقال له النبي ﷺ:

= حسن صحيح. وابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨٥٤، في كتاب الدعاء، باب لا يقول الرجل اللهم اغفر لي إن شئت)، ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٥٨٢)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٤٣)، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/١٩٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/١٩١ - ١٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٩٧٧ - التقاسيم والأنواع، كتاب الرقائق، باب الأدعية)، رووه جميعاً بطرق مختلفة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت؛ فإنه لا مستكره له، ولكن ليعزم المسألة».

واللفظ الذي أورده المؤلف رحمه الله ليس في «صحيح البخاري»، بل في «صحيح مسلم» برقم (٢٦٧٩، في كتاب الذكر، باب العزم بالدعاء)، والبخاري في «الأدب المفرد» برقم (٦٠٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/١٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٨٩٦) الموضع السابق، رووه جميعاً من طرق عن العلاء بن عبدالرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به، ونكتفي بهٰذا لتمام المقصود، والحمد لله رب العالمين.

(١٠) في تسمية المؤلف رحمه الله لـ «المستدرك» بالصحيح فيها نظر، ولا نعلم أحداً على حسب الاطلاع المضمحل سماه بذٰلك من المتقدمين، ولا حتى من مشايخنا الباقين، ومن نظر في كلام الحافظ الذهبي في ترجمته للحاكم في كُتُبه واستطراده على الحاكم رحمهما الله؛ علم موقف الذهبي من «المستدرك»، وكذا الحافظ ابن حجر رحمه الله كما نقله عنه السيوطي في «تدريب الراوي» (١/١٠٦ - ١٠٧)؛ عَلِمَ موقف الحُفاظ رحمهم الله من «المستدرك» ومؤاخذاتهم عليه؛ فكيف يُطْلَقُ عليه اسم يشاركُ فيه أسماء الصِّحاح =

«قـل: اللهم! مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي». فقالها، ثم قال له: «عُدْ». فعاد، ثم قال له: «عُدْ». فعاد، فقال له: «قُمْ؛ فقد غفر الله لك»(١١).

وفي هٰذا يقول بعضهم:

يا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللـ ـهِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرْ
وعَظِيمُ الذَّنْبِ في جَنْـ ـبِ عَفْوِ اللهِ يَصْغُرْ(١٢)

= ممن اشترط مؤلفوها رحمهم الله الصحة ومشوا على شرطهم في كل مُصَنَّفهم ذاك؟ مع العلم باعتذار العلماء للحاكم رحمه الله عن عدم مواصلته لشرطه في «المستدرك»؛ وللفائدة المرجوّة: انظر مقدمة «مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبدالله الحاكم» للشيخ عبدالله اللحيدان، وشيخنا الشيخ سعد الحميد ـ غفر الله لهما ـ (ص ٢٠)؛ فقد أوجزا وأوفيا ـ سدد الله سعيهما ـ.

(١١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٥٤٣ و٥٤٤)، قال رحمه الله: حدثنا إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني، ثنا جدِّي، أنبأنا إبراهيم بن المنذر الخزامي، ثنا عبيدالله بن محمد بن حنين، حدثني عبيدالله بن محمد بن جابر بن عبدالله، عن أبيه، عن جده. وذكره مرفوعاً وقال: حديث رواته عن آخرهم مدنيون، لا يعرف واحد منهم بجرحٍ. ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكر الحافظ المنذري رحمه الله كلام الحاكم بعد الحديث في «الترغيب والترهيب» (٢/٤٧٢)، ولم يتعقبه، وكذا ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/٢٢١، برقم ٥٨٣)، ولم يتعقبه، والحمد لله رب العالمين.

(١٢) في النسختين: =

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

تَعَاظَمَ لي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ
بِعَفْوِكَ رَبِّ كانَ عَفْوُكَ أَعْظما[13]

وقال غيره:

يا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذنوبي كَثْرَةً
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إنْ كانَ لا يَرْجُوكَ إلَّا مُحْسِناً
فَمَنِ الَّذي يرجو وَيَدعو المُجْرِمُ

= يا كبير الذنوب عفو الله أكبر من ذنبك

والمثبت من «الجامع».

وقائل البيتين هو أبو نواس الحسن بن هانىء من «ديوانه» (ص ٦٢٠).

(١٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/١١١) في أبيات له، وهي:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلتُ الرجا مني لعفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وأيقنت أن العفو منك سجيَّة ... تجود وتعفو مِنَّة وتكرُّما
فلولاك لا يُغوى بإبليس عالَم ... فكيف وقد أغوى صفيك آدم

قال الذهبي رحمه الله في «السِّير» (١٠/٧٦) بعدما أورد هٰذه الأبيات: إسناده ثابت عنه. انتهى.

وهٰذه الأبيات أصلها لأبي نواس الشاعر، الحسن بن هانىء، وقد أوردها ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١٠/٢٤٥) قال: وقال الربيع وغيره عن الشافعي، قال: دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه، فقلنا: ما أعددتَ لهٰذا اليوم؟ فأشار بقوله... فذكر الأبيات إلخ.

ما لي إلَيْكَ وَسِيلَةٌ إلَّا الرَّجا
وجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمُ(١٤)

تنبيهان:

الأول: من أسباب المغفرة: الاستغفار، والاستغفار: طلبُ المَغْفِرَةِ، وتَقَدَّمَ أنها وقاية شر الذنوب مع سترها.

وقد كَثُر في القرآن ذكر الاستغفار:

فتارة بصيغة الأمر به؛ كقوله: ﴿**واسْتَغْفِروا اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رحيمٌ**﴾(١٥)، ﴿**وأَنِ اسْتَغْفِروا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبوا إلَيْهِ**﴾(١٦).

وتارة بمدح أهله؛ كقوله: ﴿**والمُسْتَغْفِرينَ بالأَسْحارِ**﴾(١٧)، ﴿**وبالأسحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ**﴾(١٨)، ﴿**والَّذينَ إذا فَعَلوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ ذَكَروا اللهَ فاسْتَغْفَروا لِذُنوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا**

---

(١٤) ذكر ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١٠/٢٤٥) في نفس الموضع أنهم أيضاً وجدوا رقعة مكتوباً فيها بخطِّه ـ أي: أبي الحسن بن هانىء ـ هٰذه الأبيات التي ذكرها المؤلف رحمه الله هنا، ولٰكن ذكر بعد البيت الأول بيتاً لعله سقط هنا، وهو:

أدعوك ربي كما أمرت تضرعاً ... فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحمُ

(١٥) المزَّمل: ٢٠.

(١٦) هود: ٣.

(١٧) آل عمران: ١٧.

(١٨) الذاريات: ١٨.

اللهُ﴾[19].

وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره؛ كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[20].

وكثيراً ما يُقْـرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاعِ عن الذنوب بالقلب والجوارح[21].

وتارة يُفْرِدُ الاستغفار ويُرَتِّبُ عليه المغفرة؛ كما في حديث أنس ابن مالـك رضي الله عنـه عنـد الترمذي مرفوعاً: «ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عَنَان السماء، ثم استغفرتني؛ غفرت لك»[22]، وما أشبهه من الأحاديث؛ فهل يراد به الاستغفار المقترن بالتوبة، أو يراد به أنه مُقيَّدٌ بعدم الإصرار؛ كما في آية آل عمران؛ فإن الله وعد فيها المغفرة لمن استغفره من ذنوبه، ولم يُصِرَّ على ما فعله، فَتُحْمَلُ النصوص المطلقة في الاستغفار على هٰذا المقيد.

اقتران الاستغفار بالتوبة وعدم الإصرار

والتحقيق في هٰذا كله أن قول القائل: «اللهم! اغفر لي»: طلب من الله المغفرة، ودعاءٌ بها، فيكون حُكْمُهُ حُكْمَ سائر الدعاء لله؛ فإن شاء الله؛ أجـابـه وغفر لصاحبه، ولا سيما إذا فَرَجَ عن قلب منكسر بالذنب، أو صادف ساعة إجابة؛ كالأسحار وأدبارْ الصلوات.

(19) آل عمران: ١٣٥.

(20) النساء: ١١٠.

(21) في «جامع العلوم والحكم»: بالقلوب والجوارح...

(22) سبق تخريجه في أول الكتاب.

ويُرْوَى عن لقمان الحكيم[٢٣] أنه قال لابنه: يا بني! عوِّد لسانك: اللهم! اغفر لي؛ فإن لله ساعات لا يَرُدُّ فيها سائلاً.

وقـال الحسن[٢٤]: أكثـروا من الاستغفـار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرِقكُم، وأسواقِكُمْ، وفي مجالسكم أينما كنتم؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة.

ورَوَى ابن أبي الدنيا[٢٥] في كتاب «حسن الظن» من حديث أبي

---

(٢٣) اختلف العلماء؛ هل (لقمان) نبيٌّ أم عبد صالح من غير نبوة؟ على قولين؛ الأكثرون على الثاني، وقد وردت عدة أحاديث وآثار منها ما هو مصرَّح فيه بنفي كونه نبيّاً ومنها ما يشعر بذٰلك؛ لأن كونه عبداً قد مسه الرِّق ينافي كونه نبيّاً؛ لأن الرسل كانت تُبعث في أحساب قومها، ولهٰذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيّاً، إنما يُنقل كونه نبيّاً عن عكرمة إن صح السند إليه، وفي السند جابر بن يزيد الجُعفي، وهو ضعيف والله أعلم. انتهى بتصرف يسير من كلام ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٣/٤٥٢).

وعلى هٰذا جمهـور أهـل التأويل أنه كان وليّاً ولم يكن نبيّاً، وقال بنبوته عكرمة والشَّعبي، وعلى هٰذا تكون الحكمة النبوة، والصواب أنه كان رجلاً حكيماً بحكمة الله تعالى، وهي الصواب في المعتقدات، والفقه في الدين والعقل. انتهى من كلام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١٤/٤١).

(٢٤) سبقت ترجمته.

(٢٥) عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي، المشهور بابن أبي الدنيا، قال أحدهم: كان ابن أبي الدنيا إذا جالس أحداً؛ إن شاء أضحكه، وإن شاء أبكاه في آنٍ واحد، وذٰلك لتوسعه في العلم وطُرُقه، وكذا الأخبار والسِّير، تصـانيفـه كثيرة جدّاً، فيهـا مخبآت وعجائب، وغالبها إن لم تكن كلها يرويها =

هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «بينا رجل مُسْتَلْقٍ؛ إذ نظر إلى السماء وإلى النجوم، فقال: إني لأعلم أن لكِ ربّاً خالقاً، اللهم! اغفر لي. فغفر له»[٢٦].

وعن مغيث بن سُمَي[٢٧]؛ قال: بينا رجل خبيث، فتذكر يوماً؛ قال: اللهم! غفرانك، اللهم! غفرانك، اللهم! غفرانك. ثم مات، فَغُفِرَ له»[٢٨].

ويشهد لهٰذا ما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي

= بأسانيده، مع أن أهل العلم قد تكلموا على أسانيد ابن أبي الدنيا رحمه الله؛ ففيها الواهية كثير، فمن تصانيفه «التوبة»، و«قصر الأمل»، و«اليقين»، وغيرها كثير، توفي رحمه الله سنة إحدى وثمانين ومئتين للهجرة.

(٢٦) رواه بهٰذا اللفظ ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» برقم (١٠٦)، رواه من طريق: يحيى بن يوسف الذمي، نا عبدالله بن جعفر ـ ابن نَجيح السعدي ـ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار الهلالي، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

وفيه عبدالله بن جعفر، قال عنه الحافظ: ضعيف، يقال: تغير حفظه.

قلت: وله شواهد من المرفوع بمعناه وورد بعضها معنا في هٰذا الكتاب.

(٢٧) مُغيث بن سُمَي الأوزاعي، أبو أيوب الشامي، الثقة، قال عنه أبو نعيم في «الحلية» (٦/٦٧): الواعظ المحذِّر، المذكِّر، المبشِّر، قال: لقيت زهاء ألفٍ من الصحابة.

(٢٨) هٰذا الأثر رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٦/٦٨) بثلاثة أسانيد يتابع بعضها بعضاً مما يرفعه لرتبة المقبول، وبنحوه بدون لفظة الخبيث، وله شواهد سبقت معنا في «الصحيحين» وغيرهما.

الله عنه، عن النبي ﷺ: «أن عبداً أذنب ذنباً، فقال: رب! أذنبت ذنباً؛ فاغفر لي. قال الله عز وجل: علم عبدي أن له ربّاً يغفر الذنوب ويأخذ به؛ فغفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً آخر، فقال مثل الأول مرتين أخريين»[٢٩].

وفي رواية لمسلم: «أنه قال في الثالثة: قد غفرت لعبدي؛ فليعمل ما شاء»، والمعنى: ما دام على هٰذه الحال؛ كلما أذنب استغفر.

حقيقة الاستغفار ومعناه

والمراد الاستغفار المقرون بعدم الإصرار؛ كما في حديث الصِّدِّيق رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة»، رواه أبو داود والترمذي[٣٠].

---

(٢٩) تقدم تخريجه شاهداً في الحاشية رقم (٧) من هٰذا الفصل.

(٣٠) رواه أبـو داود في «السنن» برقم (١٥١٤، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١٨٨)، كلاهما من طريق مخلد بن يزيد به، وكذا أبو يعلى في «مسنده» برقم (١٣٩) من طريق عفيف بن سالم، رووه جميعاً عن أولٰئك، عن عثمان بن واقد العمري، عن أبي نُصيرة ـ هو مسلم بن عُبيد ـ، عن مولى لأبي بكر الصديق، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه به وبنحوه.

ورواه الترمذي في «جامعه» برقم (٣٥٥٩، في كتاب الدعوات، باب رقم ١٠٧)، والمروزي في «مسند أبي بكر» برقم (١٢٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٤/٩٨)، رووه جميعاً من طريق: الحسين بن يزيد الكوفي السبعي، عن عبدالحميد الحمَّاني به، ورواه أبو يعلى في «مسنده» أيضاً برقم (١٣٨)، ورواه برقم (١٣٧) عن الحماني به. =

وأمـا استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب؛ فهو دعاءٌ مجرد: إن شاء الله؛ أجابه، وإن شاءَ؛ رده، وربما يكون الإصرار مانعاً من الإجابة.

وفي «المسنـد» من حديث عبدالله بن عمرٍو رضي الله عنهما

= ومن طريقه رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٦١)، ولم يسق أبو يعلى المتن.

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٦٦٩٧)، والبغوي في «شرح السنـة» برقم (١٢٩٧)، رووه جميعـاً ما عدا الثـلاثة الأول عن عبدالحميد بن عبـدالرحمٰن الحماني، عن عثمان بن واقد العمري به وبنحوه، وقد تصحفت (الحِمَّاني) عند الترمذي إلى الجُماني؟

نقول بحول الله: فيه مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه هو أبو رجاء، قال الحـافظ وغيره: مجهول. وقال الترمذي بعد سياق الحديث: هٰذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نُصيرة، وليس إسناده بالقوي. اهـ.

وما حسَّنه من حسَّنه كابن كثير رحمه الله في «التفسير» (١٠٦/٢)؛ إلا لأنـه في فضـائـل الأعمـال، وقـد قالوا: جهالة المولى لا تضر، ويكفيه نسبته للصـديق. ولكن الحـديث لا يثبت بهـذا الإسناد حديثياً، وقد ضعفه العلامة الألباني حفظه الله في «مشكاة المصابيح» (٧٢٤/٢، برقم ٢٣٤٠)، وللحديث شاهـد عند الطبراني في «الدعاء» برقم (١٧٩٧، ١٦٠٨/٣، باب ما جاء في الاستغفار) من طريق: محمد بن الفضل السقطي، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا أبو شيبة سعيد بن عبدالرحمٰن الزَّبيدي، عن ابن أبي مُليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به.

ورجاله ثقات، وأبو شيبة، مقبول من السادسة.

مرفوعاً: «ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»[٣١].

ورَوَى ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من ذنبٍ وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه». رُوِيَ مرفوعاً، ورفْعُهُ مُنْكر، ولعله موقوف[٣٢].

---

(٣١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/١٦٥ و٢١٩)، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/٢٦٥ و٢١٩) بنحوه، من طرقٍ عن جرير ـ وقيل: حَريز ـ يعني ابن عثمان الرحبي، عن حبان بن زيد، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بنحوه. قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/٢٠٢): إسناده جيد، وكذا حسنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/١١٢).

(٣٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» برقم (١٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢/٢/٤٥)، ووكيع بن الجراح في «الزهد» برقم (٢٧٨، باب التوبة وحفظ اللسان)، روياه من طريق: سفيان ـ هو الثوري ـ، عن عاصم بن سليمان الأحول، عن الشعبي موقوفاً عليه، ورواه أيضاً عبد بن حميد وابن أبي حاتم ـ كما عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/٢٦١) ـ، وكذا رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن «جامع العلوم والحِكم»، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/٣١٨) من طريق: موسى بن إسماعيل، ثنا قيس، عن عاصم الأحول، به.

قال شيخنا الشيخ عبدالرحمٰن الفريوائي حفظه الله في «الزهد» لوكيع (٢/٥٤٢): رجاله ثقات من رجال الجماعة، وإسناده متصل. وهو كما قال جزاه الله خيراً.

والجزء الأول من هٰذا الخبر مرفوع بلا ريبة، وهو: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»؛ فقد رواه ابن ماجه برقم (٤٢٥٠، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)، والطبراني في «الكبير» (١٠/١٨٥)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» =

. . . .

= (٤/٢١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمـان»، والسهمي في «تـاريخ جرجـان» (٣٥٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/٥/أ)، والخطيب في «الموضح» (١/٢٥٧)، كلهم من طريق: وهيب بن خالد، ثنا معمر، عن عبدالكريم، عن أبي عبيدة بن عبدالله، عن أبيه مرفوعاً به.

قال أبـو نعيم: غريب من حديث عبـدالكريم، لم يصله عن معمر إلا وهيب، وقال الخطيب: تفرد بروايته محمد بن عبدالله الرقاشي عن وهيب بهٰذا الإسنـاد مرفـوعاً، ولم يُتابَع عليه، قال الهيثمي في «المجمع»: ورجاله رجال الصحيح؛ إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. وقال السخاوي: ورجاله ثقات. بل حسنـه شيخنا ـ يعني: لشواهده ـ، وإلا؛ فأبو عبيدة جزم غير واحد بأنه لم يسمـع من أبيه. «المقـاصـد الحسنـة» (١٥٢)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواة الطبراني رواة الصحيح، ولٰكن أبو عبيدة لم يسمع من أبيه. وقال الحافظ ابن حجر: حسن.

انظر: «فيض القدير» (٣/٢٧٦).

والحديث ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (٣/٢٧٦)، وعزاه لابن ماجه ورمز لحُسْنه، وللحديث شاهد ذكره أيضاً السيوطي في «الجامع الصغير» (٣/٢٧٦ ـ ٢٧٧)، وعزاه للبيهقي وابن عساكر، ورمز لضعفه، وقال المُناوي: وكذا الطبراني والديلمي وابن أبي الدنيا، كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الذهبي: إسناده مُظْلِم. وقال السخاوي: سنده ضعيف، وفيه من لا يُعْرَف. وقـال المنـذري: الأشبـه وَقْفُه. «الفيض» (٣/٢٧٧). وقال المنذري كما في «المقاصد الحسنة» (١٥٢): ولعله موقوف، وهو الراجح. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: الأصح أن قوله: «والمستغفر. . إلخ» موقوف، وهٰذه الطرق جميعها عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قلت: وقد حسن الحديث الشيخ الألباني حفظه الله في «صحيح الجامع =

فقول القائل: «أستغفر اللهَ»؛ أي: أطلب مغفرته؛ فهو كقوله: اللهم! اغفر لي.

فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار.

قال بعض العارفين: «من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته؛ فهو كاذب في استغفاره».

الثاني: اعلم أن أفضل الاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، وهو حينئذٍ توبة نصوح، وأما إن قال بلسانه: أستغفر الله؛ وهو غير مُقْلعٌ بقلبه؛ فهو دَاعٍ لله بالمغفرة؛ كما يقول: اللهم! اغفر لي، وهو حَسَنٌ، وقد يُرْجى له الإجابة، وأما من قال: هو توبة الكاذبين؛ فمراده أنه ليس بتوبة كما يعتقده بعض الناس، وهٰذا حق؛ فإن التوبة لا تكون مع الإصرار.

حالات المستغفر فإن قال العبد: أستغفر الله وأتوب إليه؛ فله حالتان:

أن يكون مُصِرّاً بقلبه على ذنبه؛ فهٰذا كاذب في قوله: «وأتوب إليه»؛ لأنه غير تائب، ولا يجوز له أن يخبر عن نفسه بأنه تائب، وهو

= الصغير» برقم (٣٠٠٨)، والحديث ورد عن عائشة رضي الله عنها، وكذا أبي سعيد الأنصاري رضي الله عنه، وكذا أبي عتبة الخولاني رضي الله عنه، وكذا أنس بن مالك رضي الله عنه، وكذا ورد عن ابن مسعود من قوله، وجميعها لا تخلو من ضعيف ومجهول.

ولتراها في موضعها انظر: «الزهد» لوكيع (٢/٥٤٢ - ٥٤٤) بتحقيق شيخنا الفاضل الشيخ عبدالرحمٰن الفريوائي جزاه الله خيراً، حيث استفدنا بعض هٰذا التخريج من كلامه حفظه الله.

ليس بتائب.

وأن يكون مُقْلِعاً عن المعصية بقلبه؛ فالجمهور على جواز قول التائب: أتوب إلى الله، وعلى جواز أن يعاهد العبد ربه على ألا يعود إلى المعصية أبداً؛ فإنَّ العزم على ذٰلك واجب عليه؛ فهو مُخبرٌ بما عزم عليه في الحال.

ولهٰذا قيل: «ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة»(٣٣).

وفي حديث كفارة المجلس: «أستغفرك اللهم وأتوب إليك»(٣٤).

---

(٣٣) تقدم قريباً.

(٣٤) رواه الترمذي في «الجامع» برقم (٣٤٣٣، في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٥٩٤، في كتاب البر والإحسان، باب ذكر مغفرة الله جل وعلا لقائل ما وصفنا ما كان في ذٰلك المجلس من لَغْوٍ)، وكذا البغوي في «شرح السنة» برقم (١٣٤٠، ٥/١٣٤، في كتاب الدعوات، باب كفارة المجلس)، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٣٦)، رووه من طرق عن حجاج بن محمد؛ قال: قال ابن جريج: أخبرني موسى بن عُقْبَة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

وقال الترمذي: هٰذا حديث حسن غريب صحيح من هٰذا الوجه، لا نعرفه من حديث سهيل؛ إلا من هٰذا الوجه. وقال الحاكم: هٰذا الإسناد صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الشيخ الألباني متع الله به على طاعته في «صحيح سنن الترمذي» (٣/١٥٣).

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/٤٢٠ و٤٢٥)، وكذا أبو داود في =

وقَطَعَ ﷺ سارقاً[٣٥]، ثم قال: «اسْتَغْفِرِ الله وتب إليه». فقال:

= «السنن» برقم (٤٨٥٩) في نفس الكتاب والباب السابقي الذكر، وكذا الدارمي في «السنن» برقم (٢٦٥٨، في كتاب الاستئذان، باب في كفارة المجلس)، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٣٧)، رووه جميعا من طرق عن الحجاج بن دينار، عن أبي هاشم ـ هو يحيى بن دينار الواسطي ـ، عن أبي العالية، عن أبي بَرْزَة الأسلمي مرفوعاً به.

والحديث رجاله ثقات، قال العلامة الألباني حفظه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/٩٢١): حسن صحيح.

ورواه أبو داود أيضاً برقم (٤٨٥٧) في نفس الموضعين السابقين، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٥٩٣)، في نفس المواضع السابقة الذِّكر، روياه من طريق وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن سعيد بن أبي هلال حدَّثه، أن سعيد بن أبي سعيد المقبري حدثه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وهو موقوف عليه، ورجاله ثقات مقبولون، وصححه الشيخ الألباني حفظه الله، ولكن في هذه الرواية الموقوفة ذكر أنه يقول الكفارة ثلاث مرات، وقد استثناها الشيخ من التصحيح، حيث إنها شاذة، وله طريقان مرفوعان عن جبير بن مُطْعِم ورافع بن خَديج.

ولمزيد الفائدة المرجوة؛ انظر: «العلل» لابن أبي حاتم رحمه الله أحاديث رقم (٣٧٤ و١٢٥٦ و١٩٩٩ و٢٠٥١ و٢٠٦٠ و٢٠٧٩)؛ فقد تكلم رحمه الله بسؤالاته لأبيه بما فيه الفوائد الماتعة، ونكتفي بهذا خشية الإطالة، والحمد لله رب العالمين.

(٣٥) كذا في النسختين، ومعناها: يد سارق، ولعل المؤلف رحمه الله أتى بها من باب البلاغة والإيجاز

أستغفرُ الله وأتوبُ إليه. فقال ﷺ: «اللهم! تب عليه». خرَّجه أبو داود[٣٦].

استحباب الزيادة على الاستغفار والتوبة

واستحبَّ جماعة من السلف الزيادة على قوله: «أستغفر الله وأتوب إليه»:

فرُوِيَ عن عمر؛ أنه سمع رجلاً يقول: أستغفر الله وأتوب إليه. فقال له: يا حُمَيق! قل: توبة من لا يملك لنفسه ضَرّاً ولا نَفْعاً، ولا موتاً

---

(٣٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٩٣)، وكذا أبو داود في «السنن» برقم (٤٣٨٠، في كتاب الحدود، باب في التلقين في الحد)، وكذا رواه النسائي في «المجتبى» برقم (٤٨٧٧، في كتاب قطع السارق، باب تلقين السارق)، والدارمي في «السنن» برقم (٢٣٠٣، في كتاب الحدود، باب المعترف بالسرقة)، وكذا ابن ماجه برقم (٢٥٩٧، في كتاب الحدود، باب تلقين السارق)، والطحاوي (٢/٩٧)، وكذا البيهقي في «الكبرى» (٨/٢٧٦، في كتاب السرقة، باب ما جاء في الإقرار بالسرقة)، قال عطاء: إذا اعترف مَرَّة قُطِع، رووه جميعاً من طُرُقٍ عن حماد ـ هو ابن سلمة ـ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أبي المنذر مولى أبي ذر، عن أبي أمية المخزومي مرفوعاً بلفظ: «أُتي رسول الله ﷺ بسارقٍ قد اعترف ولم يوجد معه متاع، فقال له: ما أخالك سرقت. فقال: بلى، فردها عليه، فردها عليه...»، ثم ساق شاهِدنا من الحديث.

والحديث فيه من لا يُعرف، قال الذهبي في «الميزان» (٤/٥٧٧): لا يُعرف. وقد ذكر محقق «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم في (٩/٤٤٢) أنه يقال له: البراد، وقال الحافظ مؤلِّف «الجرح والتعديل»: روى عن أبي أمية عن رسول الله ﷺ في السارق، وسكت عنه، وقد ضعفه العلامة الألباني رعاه الله في «ضعاف النسائي وأبي داود وابن ماجه».

ولا حياةً ولا نشوراً.

وسُئِلَ الأوزاعي(٣٧) عن الاستغفار؟ أيقول: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه؟ قال: إن هذا لَحَسَن، ولكن يقول: رب! اغفر لي حتى يَتِمَّ الاستغفار.

وكَرِهَ جماعة من السلف قول الإنسان: وأتوب إليه، وهو قول الحنفية؛ كما حكاه عنهم الطحاوي(٣٨).

وقال ربيع بن خثيم(٣٩): يكون قوله: «وأتوب إليه»: كَذْبَة وذنباً، ولكن يقول: اللهم! تب علي، أو يقول: اللهم! إني أستغفرك؛ فتب علي.

وهذا قد يُحْمَلُ على من لم يُقْلِعُ بقلبه.

وكان بعض السلف يقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا

---

(٣٧) عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمد أبو عمرو الأوزاعي، عالم أهل الشام، كان مولده في حياة الصحابة قال عنه أمية: كان قد جمع العبادة والعلم، والقول بالحق، وعن مالك: الأوزاعي إمام يقتدى به. وكان كبير الشأن، كان له مذهب مستقل مشهور عمل به فقهاء الشام مدة وفقهاء الأندلس ثم خفي، مع قوة آرائه وأقواله رحمه الله، توفي رحمه الله سنة سبعٍ وخمسين ومئة للهجرة.

(٣٨) سبقت ترجمته.

(٣٩) الربيع بن خثيم بن عائذ، الإمام، القدوة، العابد، أبو يزيد الثوري، أحد الأعلام، قال ابن مسعود له: يا أبا يزيد! لو رآك رسول الله ﷺ لأحبَّك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين، توفي سنة (٦٥هـ).

هو الحي القيوم وأسأله توبة نصوحاً.

ورُوِيَ عن حذيفة[٤٠] رضي الله عنه؛ أنه قال: «بحسب المرء من الكذب أن يقول: أستغفر الله، ثم يعود».

وسَمِعَ مُطرِّف[٤١] رجلاً يقول: أستغفر الله وأتوب إليه. فتَغَيَّظَ عليه، وقال: لعلك لا تفعل.

وظاهر هٰذا يدل على أنه كَرِهَ أن يقول: أتوب إليه؛ لأن التوبة النصوح أن لا يعود إلى الذنب أبداً؛ فمتى عاد إليه؛ كان كاذباً في قوله: وأتوب إليه.

مع أنه ثَبَتَ عن عائشة رضي الله عنها ـ كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم ـ؛ قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته: «سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه». قالت: فقلت: يا رسول الله! أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده؟ قال: «أخبَرَني ربي أني سأرى علامة في أمتي؛ فإذا رأيتها؛ أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه. وقد رأيتها»، وتلا: ﴿إذا

---

(٤٠) حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل، صاحب سرِّ النبي ﷺ في المنافقين، روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة خاصة في الفتن، توفي رضي الله عنه سنة (٣٦هـ).

(٤١) هو مطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير، الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبدالله العامري، قال مترجموه: كان مُطَرِّف مجاب الدعوة. وقال ابن سعد: كان ثقة، له فضل وورع، وعقل وأدب. توفي رحمه الله سنة ستٍّ وثمانين للهجرة.

جَاءَ نَصْرُ اللهِ. . . ﴾ إلى آخر السورة[42].

وكذا سُئِلَ محمد بن كعب القُرَظِي[43] عمَّن عاهد الله أن لا يعود إلى المعصية أبداً؟ فقال: من أَعْظَمُ منه إثماً؟! يتألى على الله أن لا ينفذَ فيه قضاؤه!

ومال إلى قوله في هٰذا: الإمام الحافظ أبو الفرج بن الجوزي[44] منا، ورُوِيَ نَحوه عن سفيان بن عيينة[45]، وهو مرجوح، والله أعلم[46].

(تتمة):

صيغ الاستغفار

في ذكر بعض صيغ الاستغفار، الواردة عن النبي المختار ﷺ، ما تعاقب الليل والنهار.

---

(٤٢) الحديث بهٰذا اللفظ عند مسلم في «صحيحه» برقم (٢٢٠، في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود)، وهو في البخاري، ولٰكن بلفظ التسبيح في الركوع والسجود «يتأول القرآن»، وقد سبق تخريجه في أول الكتاب.

ورواه غير الإمام مسلم الإمام أحمد في «المسند» (٦/١٨٤)، روياه من طريق: داود، عن عامر ـ هو الشعبي ـ، عن مسروق، عن عائشة رضي الله تعالى عنها به.

(٤٣) محمد بن كعب بن سليم، الإمام، العلاَّمة، الصادق، أبو حمزة القُرَظي المدني، كان من أوعية العلم، قال ابن سعد: كان ثقة عالماً، كثير الحديث ورعاً، وكان من أئمة التفسير. توفي سنة ثمانٍ ومئة للهجرة.

(٤٤) سبقت ترجمته.

(٤٥) سبقت ترجمته.

(٤٦) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٤٣ ـ ٣٤٦). وهٰذا الذي أورد المؤلف ـ رحمه الله ـ فيه نظر، وكما قال: مرجوح. ويحتاج إلى دليل.

منها ما روى بلال بن يسار بن زيد(٤٧)؛ قال: حدثني أبي، عن جدي؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ غُفِرَ له، وإن كان فرَّ من الزحفِ». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه.

قال الحافظ المنذري: إسناده جيِّد متصل؛ فقد ذكر البخاري في «تاريخه الكبير» أن بلالاً سَمِعَ من أبيه يسار، وأن يساراً سمع من أبيه زيد مولى رسول الله ﷺ، وقد اخْتُلِفَ في يسار والد بلال؛ هل هو بالباء الموحدة أو هو بالياء المثناة؟ وذكر البخاري في «تاريخه» أنه بالموحدة(٤٨).

ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود، وقال: على شرطهما؛ إلا أنه قال: يقولها ثلاثاً(٤٩).

---

(٤٧) بلال بن يسار بن زيد القرشي مولاهم، بصري، وأبوه هو أبو بلال مولى النبي ﷺ، وجده هو زيد بن بولا مولى رسول الله ﷺ، صحابي وكان عبداً نوبيّاً، (النُّوب): جيل من السودان.

(٤٨) انظر: «الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٧٠).

والحافظ المنذري رحمه الله سبق شيء من ترجمته، ذكر ذٰلك البخاري رحمه الله في «التاريخ الكبير» في ترجمة بلال في (٢/ ١٠٨)، وكذا ذكره في (٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، وفي (٨/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، ذكر سماعهم من آبائهم، والذي وجدنا أن البخاري رحمه الله أثبته بالمثناة التحتية؛ أي: يسار، وذٰلك في المواضع الثلاثة ولم يتكلم عن ضبطه.

(٤٩) الحديث رواه أبو داود في «السنن» برقم (١٥١٧، في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار)، ورواه الترمذي في «الجامع» برقم (٣٦٤٨، في =

. . . .

= كتاب الدعوات، باب رقم ٧)، ورواه من طريق: موسى بن إسماعيل، حدثنا حفص الشَنِّي، حدثني أبي عمر بن مرة، قال: سمعت بلالاً (وذكر الحديث بلفظه).

وهٰذا الإسناد متصل ورجاله ثقات، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/٢٨٣)، وفي «صحيح سنن الترمذي» (٣/١٨٢).

وقد رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٥١١) من طريق إسرائيل عن أبي سنان، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود رضي الله عنه به؛ إلا أنه قال: «يقولها ثلاثاً»، وقال الحاكم: هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وقال: أبو سنان هو ضرار بن مرة لم يخرج له البخاري. اهـ.

وقد أخرج البخاري لابن سنان في «الأدب المفرد» ولم يخرج له في «الصحيح»، وقد تكلم العلماء على توثيق أبي سنان، وقد لخَّص الحافظ ابن حجر أقوالهم في «التقريب» بقوله: «ثقة ثبت».

وله طريق ثالث عن البراء بن عازب رضي الله عنه، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٠٧) بدون لفظ: «الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم»، وقيده بدبر الصلاة وقال: رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، وفيه عمرو بن فرقد بن فرقد، وهو ضعيف.

ومن لطيف الفائدة: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١١/١٠١): ومن أصح ما وقع في فضل الاستغفار هٰذا الحديث، قال أبو نعيم الأصبهاني: هٰذا يدل على أن بعض الكبائر تُغْفَرُ ببعض العمل الصالح، وضابطه الذنوب التي لا توجب على مرتكبها حكماً في نفس ولا مال، ووجه الدِّلالة منه أنه مثَّل بالفرار من الزحف وهو من الكبائر؛ فدل على أن ما كان مثله أو دونه يغفر =

وروَى ابن السني[٥٠] في كتابه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال بعد صلاة الفجر ثلاث مرات وبعد صلاة العصر ثلاث مرات: أستغفر الله الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه؛ كُفِّرَتْ عنه ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر»[٥١].

ومنها ما رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه؛ قال: كان رسول

= إذا كان مثل الفرار من الزحف؛ فإنه لا يوجب على مرتكبه حكماً في نفس ولا مال. اهـ.

(٥٠) هو أحمد بن محمد بن إسحاق، الإمام، الحافظ، الثقة، الرَّحال، أبو بكر الدينوري، المشهور بابن السُّني، جمع وصنَّف كتاب «عمل اليوم والليلة» و «المجتبى» وهو مختصر «سنن النسائي الكبرى»، توفي رحمه الله سنة أربع وستين وثلاث مئة للهجرة.

(٥١) رواه ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» برقم (١٢٦، باب ما يقول في دبر صلاة الصبح) من طريق: محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، حدثنا محمد بن جامع الموصلي، حدثنا أحمد بن عمرو المزني الموصلي، حدثنا عكرمة بن إبراهيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، حدثني معاذ رضي الله عنه به.

قلت: وفيه عكرمة بن إبراهيم، وهو ضعيف. «الميزان» (٣/ ٨٩ ـ ٩٠).

وكذا فيه محمد الباغندي، قال الدارقطني: مخلط، مدلس، يكتب عن بعض أصحابه، ثم يُسْقِطُ بينه وبين شيخه ثلاثة، وهو كثير الخطأ. قال ابن عدي: أرجو أنه لا يتعمد الكذب. وقال الإسماعيلي: لا أتهمه، ولٰكنه خبيث التدليس، ومصحِّف أيضاً. انظر: «الميزان» (٤/ ٢٦).

ويشهد له ما مر معنا إن شاء الله.

الله ﷺ في مسيره، فقال: «استغفروا الله». فاستغفرنا، فقال: «أتِمُّوها سبعين مرة»؛ يعني: فأتممناها. فقال رسول الله ﷺ: «ما من عبد ولا أَمَةٍ يستغفر الله في يوم سبعين مرة؛ إلا غَفَر الله له سبع مئة ذنب، وقد خابَ عبد أو أَمَةٌ عَمِلَ في يوم أو ليلة أكثر من سبع مئة ذنب». ورواه ابن أبي الدنيا والأصبهاني(٥٢).

---

(٥٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٦٥٢)، ورواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» برقم (٢٠٦، ١/١٩٦)، ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٦/٣٩٢ ـ ٣٩٣)، والإمام يحيى الشجري في «أماليه» (١/٢٣٤ ـ ٢٤٤)، رووه جميعاً من طرق عن الحسن بن أبي جعفر، عن محمد بن جُحادة، عن الحسن ـ هو البصري ـ، عن أنس رضي الله عنه به.

وعند الأصبهاني والبيهقي «الحر بن الصياح» بدل «الحسن»، وقد صرح ابن أبي جعفر بالتحديث عن ابن جحادة في «الأمالي».

ثم ذكر الخطيب إسناده إلى أبي علي الحسين بن علي الحافظ يقول: كتبنا عن إسحاق بن حمدان النيسابوري ببغداد، وهو شَيخ ثقة عنده غرائب ـ وهو في إسناد الخطيب في هٰذا الحديث ـ.

نقول: رواية الغرائب من القدح والجرح: قال ابن المبارك رحمه الله: من تتبع غرائب الحديث كذب. وقال بُندار: من طلب الأغراب في الحديث لم ينبُل. انظر: «سؤالات السهمي للدارقطني» (ص ١١٣).

وفي الإسناد الحسن بن أبي جعفر، وقد نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في «التهذيب» (٢/٢٦٠) عدة أقوال فيه، فقال: قال عمرو بن علي: صدوق منكر الحديث، كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه. وقال إسحاق بن منصور: ضعفه أحمد. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الترمذي: ضعفه يحيى بن سعيد وغيره. وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: متروك. وقال ابن =

ومنهـا ما رواه البيهقي عن أنس أيضـاً رضي الله عنه في قوله تعـالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّـه كَلِمَـاتٍ فَتـابَ عَلَيْـهِ إِنَّـهُ هُوَ التَّـوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٥٣)؛ قال: قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءً، وظلمت نفسي؛ فتب علي؛ إنك أنت التواب الرحيم». وذكر أنه عن النبي ﷺ، ولٰكن شَكَّ فيه(٥٤).

= عدي : أحاديثه صالحة، وهو يروي الغرائب عن محمد بن جُحادة، وهو عندي ممن لا يتعمد الكذب. وقال علي بن المديني : كان الحسن يهم في الحديث، ضعيف ضعيف. وقال العجلي : ضعيف الحديث. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : ليس بقوي في الحديث، وفي بعض حديثه إنكار. وقال ابن حبان : وهو ممن غفل عن صناعة الحديث وحفظه، فإذا حدّث وهم، وقلب الأسانيد. اهـ.

انـظر للكـلام عليه: «الكـامـل في الضعفـاء» (٢/ ٧٢٢)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٤٨٢).

وفي الحـديث عنعنة الحسن البصري وقد ذكروا عنه التدليس، وسبق معنا الاضطراب بين الحسن والحر بن صياح؛ فلعله كذٰلك.

(٥٣) البقرة: ٣٧.

(٥٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢/ ٤٧٤، برقم ٦٧٧٣، باب في معالجة كل ذنب بالتوبة) من طريق: أبي الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا أبو سهل بن زياد، حدثنا أحمد بن علي الأبَّار، حدثنا جناح بن عبدالعزيز، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت ـ هو ابن أسلم البناني ـ، عن أنس رضي الله عنه به.

قال محقق الشعب الشيخ مختار الندوي: إسناده فيه مجهول، جناح بن عبدالعزيز لم أعثر له على ترجمة.

نقول بحول الله: قد ورد هٰذا الخبر من طرق كثيرة كثيرة موقوفةٍ، وفيها =

ومنها ما في كتاب «عمل اليوم والليلة» للنسائي عن خَبَّاب بن الأرَتّ(٥٥)؛ قال: قلت: يا رسول الله! كيف نستغفر الله؟ قال: «قل:

= المرفوع، ولا تخلو جميعها من ضعف.

وبخصوص المرفوع، وهو حديث واحد، وقد عزاه أهل العلم للديلمي وضعَّفوه، ثم هي من الإسرائيليات؛ أي: الموقوف منها.

ونحن في غنىً ولله الحمد عن أخبار بني إسرائيل، قال الإمام ابن جرير رحمه الله: وهٰذه الألفاظ التي حكيناها ـ للأثر الذي سبق معنا ـ؛ فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقَّى آدم كلمات، فتلقاهن آدمُ من ربه، فقبلهن وعمل بهن وتاب بِقَيْله إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته؛ معترفاً بذنبه، متنصِّلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه خلاف أمره؛ فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه، والذي يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التي تلقاهن آدمُ من ربه هُنَّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها مُتَنَصِّلاً بِقَيْله إلى ربه معترفاً بذنبه، وهو قوله: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**، وليس ما قاله من خالف قولنا هٰذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قوله، ولٰكنه قول لا شاهد عليه من حُجَّةٍ يجب التسليم لها؛ فيجوز لنا إضافته إلى آدم، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه. انتهى كلامه رحمه الله، وهٰذا ملخّص ما أردنا إيراده من الآثار والأخبار الواردة، والله المستعان. وانظر: «جامع البيان» (**١/٢٤٥**).

(**٥٥**) خَبَّاب بن الأَرَت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة أبو يحيى، وقيل: أبو عبدالله التميمي رضي الله تعالى عنه، من السابقين الأولين، شهد بدراً وما بعدها، وهو أيضاً رضي الله عنه من السابقين في إشهار إسلامهم، روى عنه أهل العلم اثنين وثلاثين حديثاً بالمكرر، ثلاثة في «الصحيحين»، توفي رضي الله عنه في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه =

اللهم! اغفر لنا، وارحمنا، وتب علينا؛ إنك أنت التواب الرحيم»[٥٦].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: ما رأيت أحداً أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ[٥٧].

= على الصحيح، سنة سبع وثلاثين للهجرة.

انظر: «الإصابة»، و«الاستيعاب»، و«السِّير» وغيرها.

(٥٦) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٤٦١، في باب كيف الاستغفار)، وهو في «الكبرى» في (٦/١١٩)، وعنه رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٧١، باب كيف الاستغفار)؛ روياه من طريق: محمد بن معاوية بن عبدالرحمٰن، حدثنا إبراهيم بن عبدالرحمٰن بن مهدي، حدثنا خالد بن مخلد، حدثني سعيد بن زياد المُكْتِب، سمعت سليمان بن يسار قال: أخبرني مسلم بن السائب، عن خباب رضي الله عنه به.

ورجال الإسناد ما بين ثقات وصدوقين؛ ما عدا سعيد المُكْتِب، وكذا مسلم بن السائب من عداد المقبولين.

(٥٧) هو أيضاً عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٤٥٤، في باب الإكثار من الاستغفار)، وهو في «الكبرى» (٦/١١٨، في باب ١٢٥، الإكثار من الاستغفار)، وكذا رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٦٣، في باب الإكثار من الاستغفار، رقم الباب ١٩٠)، وكذا ابن حبان في «موارد الظمآن» برقم (٢٤٦٠، في كتاب التوبة، باب ما جاء في الاستغفار)، كلهم من طُرُق عن الوليد ابن مسلم، حدثني سعيد بن عبدالعزيز، عن إسماعيل بن عبيدالله، عن خالد بن عبدالله بن الحسين؛ قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه به.

وقد عنعن الوليد عند ابن السني وكذا عند ابن حبان، وصرح بالسماع عند النسائي، وكذا خالد بن الحسين صرح بالسماع من أبي هريرة رضي الله عنه وهو من عداد المقبولين، وبقية رجال الإسناد ثقات.

ومنهـا ما في «السنن الأربعة» عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة قول: «رب! اغفر لي، وتب علي؛ إنك أنت التواب الرحيم»(٥٨).

ومنها ما في «الصحيحين» من حديث الصِّدِّيق الذي علَّمَه النبي ﷺ أن يقول في دبر كل صلاة، وهو: «اللهم! إني ظلمت نفسي ظلماً

---

(٥٨) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٤٥٨، في باب كيف الاستغفـار)، وهو في «الكبرى» (٦/ ١١٩، برقم ١٠٢٩٢)، وكذا أبو داود في «السنن» برقم (١٥١٦، في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار)، وكذا الترمذي في «الجـامـع» برقم (٣٤٣٤، في كتـاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس) بإسناده الآخر في نفس الحديث، وكذا ابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨١٤، في كتاب الأدب، باب الاستغفار)، ورواه ابن حبان في (الموارد برقم ٢٤٥٩)، وكذا أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٢)، وكذا رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٧٠، باب كيف الاستغفـار)، وكذا رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٦١٨ ـ فضل الله الصمـد)، وكـذا رواه أيضـاً ابن أبي شيبـة في «المصنف» برقم (٩٤٩٢، ١٠/ ٢٩٧، في كتاب الدعاء، وباب ما ذُكِرَ في الاستغفار)، وكذا البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٧١، في كتاب الدعوات، باب الاستغفار)، والأربعة الرواة الأخيرين رووه من طريق عبـدالله بن نمير، عن مالك بن مِغْوَل. والبقية من طريق أو من طرق عن أبي بكر الحنفي، حدثنا مالك بن مِغْول، عن محمد بن سُوْقَة، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما به.

وعند بعضهم بدل: «أنت التواب الرحيم»؛ «أنت التواب الغفور»، وقال أبو عيسى الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

كثيراً . . . » إلخ ، وَتَقَدَّم(٥٩) .

ومنها ما في «صحيح مسلم» ؛ أنه كان من آخر ما يقوله ﷺ بين التشهد والتسليم : «اللهم! اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني ؛ أنت المقدِّم وأنت المؤخر، لا إلٰه إلا أنت»(٦٠).

---

(٥٩) تقدم الكلام عليه وتخريجه برقم (٧) في مطلب (آداب الداعي . . .) .

(٦٠) رواه البخاري أولاً في «صحيحه» برقم (٦٣٩٨، في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ : «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت») من طريق : محمد بن بشار، حدثنا عبدالملك بن صبَّاح، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن ابن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ ؛ أنه كان يدعو بهٰذا الدعاء، وذكر حديثاً ضمَّنه نحو الدعاء الذي ذكره المؤلف رحمه الله، وبدل «لا إلٰه إلا أنت» قال: «وأنت على كل شيء قدير» .

وكذا رواه البخاري في «صحيحه» برقم (١١٢٠، في كتاب التهجد، باب قوله عز وجل : ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك**﴾)، وكذا رواه أيضاً في «صحيحه» برقم (٦٣١٧، في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل)، ورواه النسائي في «المجتبى» برقم (١٦١٩، في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب ذكر ما يستفتح به القيام)، وكذا رواه ابن ماجه في «السنن» برقم (١٣٥٥، وكذا ١٣٥٦ ـ حيث رواه من نفس الطريق وبإسنادٍ آخر في أوله ورقمه المُرَقَّم بـ (١٣٥٥) ـ، في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وفي باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل)، وكذا أيضاً رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٣٥٨ و٣٦٦)، وكذا الدارمي في «السنن» برقم (١٤٨٦، في كتاب الصلاة، باب الدعاء عند التهجد)، جميعهم رووه من طرق عن سفيان ـ هو ابن عيينة ـ عن =

. . . .

= سليمان الأحول، عن طاووس، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: وذكر حديث القيام للتهجد «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض، ومن فيهن. . .» إلخ الحديث (وذكره ضمنه).

ورواه الإمام مسلم في «صحيحه» برقم (٧٧١، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه)، وأبو داود في «السنن» برقم (٧٦٠، في كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء)، وكذا رواه النسائي في «المجتبى» برقم (٨٩٧، في كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبيرة والقراء)، وكذا الترمذي في «الجامع» برقم (٣٤٢٢، في كتاب الدعوات، باب رقم ٣٢، ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (١/٩٤، وكذا ١٠٣)، وكذا رواه الدارقطني في «السنن» (١/٢٩٦ ـ ٢٩٧، في كتاب الصلاة، باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير)، وابن الجارود في «المنتقى» برقم (١٧٩، في كتاب الصلاة، باب صفة صلاة رسول الله ﷺ)، وابن خزيمة في «صحيحه» برقم (٧٢٣، في كتاب الصلاة، باب الاستغفار قبل التشهد وبعد السلام)، وكذا البغوي في «شرح السنة» (٣/٣٤، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، وبرقم ٥٧٢)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/٢٣٢، في كتاب الصلوات، باب فيما يفتتح به الصلاة)، رووه جميعاً من طُرُقٍ عن عبدالعزيز بن أبي سلمة، عن يوسف الماجِشُون، حدثني أبي، عن عبدالرحمٰن الأعرج، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه به.

وذكره ضمن حديث الاستفتاح والركوع والرفع منه والسجود، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم (فذكره).

وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه» برقم (١٧٧١، في كتاب الصلاة، باب ما يدعو المرء به بعد افتتاح الصلاة قبل القراءة)، وكذا أبو عوانة (١/١٠٢)، وكذا =

. . . .

= الدارقطني في «السنن» (١/٢٩٧) في نفس الموضع السابق، عن أبي بكر النيسابوري، ثنا يوسف بن مسلم ـ هو المصيصي ـ، ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، أخبرني موسى بن عقبة، عن عبدالله بن الفضل، عن الأعرج به.

وكذا رواه أبو داود في «السنن» برقم (٧٦١) في نفس الموضع السابق، وكذا الترمذي في «الجامع» برقم (٣٤٢٣) في نفس الموضع السابق أيضاً، وكذا عبدالرزاق في «المصنف» برقم (٢٥٦٧ و٢٩٠٣، في باب استفتاح الصلاة، والموضع الآخر في باب القول في الركوع والسجود)، وكذا هو عند ابن خزيمة في «صحيحه» برقم (٤٦٤)، وكذا الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/١٩٩ و٢٣٩)، وكذا رواه في «مشكل الآثار» (١/٤٨٨)، وكذا هو عند البيهقي في «الكبرى» (٢/٣٣ و٧٤)، كلهم من طرق عن عبدالرحمٰن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن عبدالله بن الفضل به.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١/١٠٢)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» برقم (١٧٧٣) في الموضع السابق، ورواه أيضاً الطيالسي في «مسنده» برقم (١٥٢)، ومن طريقه الترمذي في «الجامع» برقم (٢٦٦، في الموضع السابق من الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا رفع رأسه من الركوع)، وكذا رواه من طريق الطيالسي أيضاً البيهقي في «الكبرى» (٢/٣٢) في الموضع السابق ذكره، جميعهم من طرق عن عبدالعزيز بن أبي سلمة، حدثني عمي الماجشون، حدثني أبي، عن الأعرج، به.

وكذا أيضاً رواه ابن حبان في «صحيحه» برقم (١٧٧٢) في نفس موضعه السابق، وكذا البيهقي (٢/٣٢) ـ حيث رواه ابن حبان من طريقه ـ، كلاهما عن إبراهيم الأنماطي، ثنا أحمد الدَّورقي، ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج به، والحمد لله رب العالمين.

ومنها ما في «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ أنه كان يدعو بهٰذا الدعاء: «اللهم! اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللهم! اغفر لي جدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذٰلك عندي. اللهم! اغفر لي ما قدمتُ وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنتَ أعلمُ به مني؛ أنت المقدِّم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»(٦١) إلى غير ذٰلك.

---

(٦١) تقدم تخريجه في الحديث السابق، واللفظ الأول في هٰذا الحديث الذي لم يذكره المؤلف ضمن الذي قبله ورد في بعض الروايات الآنفة الذكر؛ فنكتفي بعزو الحديث إلى «الصحيحين» والراوي لهما رضي الله عنه، حيث رواه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٣٩٩، في كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين)، ورواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٧١٩، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل).

قال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبيدالله ابن عبدالمجيد، حدثنا إسرائيل، حدثنا أبو إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى، وأبي بُرْدَة أحسبه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه به، وإنما ذكرت السند لأجل أن أذكر قول الحافظ رحمه الله تعالى معلقاً على الحديث. . . وأشار الإسماعيلي إلى أن في السند علة أخرى، فقال: سمعت بعض الحفاظ يقول: إن أبا إسحاق لم يسمع هٰذا الحديث من أبي بردة، وإنما سمعه من سعيد بن أبي بردة عن أبيه، ـ فقال الحافظ معلقاً على ذٰلك ـ: وهٰذا تعليل غير قادح؛ فإن شعبة كان لا يروي عن أحد من المدلسين إلا ما يتحقق أنه سمعه من شيخه. اهـ.

فنقول: نعم، وهٰذا المعروف عند علماء الحديث، ورواه مسلم من طريق عبيدالله العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق به، والمتن =

ومنها ما في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «اللهم! اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى»(٦٢).

ومـا أحسن ما دعا به بعض الأعراب وهو مُتعلِّق بأستار الكعبة الشـريفـة، وهو: «اللهم! إن استغفاري مع إصراري على معصيتك لَلُؤْمٌ، وإنَّ تَرْكي الاستغفار مع علمي سعة عفوكَ لَعَجْز، فَلِمَ تَحَبَّبُ إلي بالنعم مع غناك عني، وأَتَبَغَّضُ إليك بالمعاصي مع فقري إليك؟ يا من إذا وعد وفى، وإذا توعَّد تجاوز وعفا؛ أُدْخِلُ عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين!».

مطلب

ثواب من ذكر سيد الاستغفار موقنا به

* قوله ﷺ: **«من قالها في النهار موقناً بها»**: الضمير في «قالها» يعـود إلى الـدعـاء المـذكور، وأنثها باعتبار الكلمات (أي: من قال

= بنحوه.

(٦٢) رواه البخاري في «صحيحه» (برقم ٤٤٤٠، في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفـاته)، وكذا رواه في غير موضع من «صحيحه» بدون الشاهد من الحديث، وكذا رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٤٤٤، في كتاب فضـائـل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها)، وكذا الترمذي في «الجـامـع» برقم (٣٤٩٦، في كتاب الدعوات، باب رقم ٧٧)، وقال: حسن صحيح، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٣١)، وكذا البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٤٥، في كتاب الفضائل، باب في مرضه ووفاته ﷺ)، رووه من طرق عن هشام بن عروة، عن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها به، وعند بعضهم بدون زيادة «. . . الأعلى».

الكلمات)[1] المذكورات من المسلمين في النهار.

وظاهر هٰذا إطلاق سائر أوقات النهار، وفي لفظ: «ومن قالها حين يصبح».

«موقناً بها»؛ أي: مُصَدِّقاً بها ومعتقداً لها؛ لكونها من كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى؛ بخلاف من لم يكن بها مُوقِناً؛ فلا يحصل له ما ذُكِرَ، بل إن لم يكن مُوقِناً بما تضمنته من التوحيد؛ فهو كافر؛ فلا يُقْبَلُ له عمل[2]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[3]، ﴿وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثوراً﴾[4].

الإخلاص في ذكر سيد الاستغفار يشهد العبد جميع منازل العبودية

* قوله: «فمات من يومه قَبْلَ أن يُمْسي؛ فهو من أهل الجنة»؛ أي: لأنه افتتح نهاره بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلٰهية، والاعتراف بالعبودية، ومشاهدة المنة من إسداء النِّعم، ومطالعةِ عيب النفس والعمل من مقارفة المعاصي واللَّمَم[5]، وطَلَبُ المغفرة من الغفَّار، وهو

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من (ز).

(٢) فَفَرْقٌ بين قولها مع عدم استحضار اليقين بها كاملاً مع إيمانه بمعانيها ومقتضياتها، وبين عدم الاستحضار لليقين وفي نفس الحال عدم إيمانٍ بمعانيها ومقتضياتها في كل الأحوال.

(٣) آل عمران: ٨٥.

(٤) الفرقان: ٢٣.

(٥) هي صغائر الذُّنوب، وسميت بذلك لأنها مما يَلُمُّ بالشخص عن غير قصد وتبييت. «اللسان» (مادة: لَمَمَ).

قائم على قَدَمِ الذُّلِّ والانكسار، وواقف على عَتَبَةِ المَسْكَنَةِ والافتقار، وضارع بأَكُفِّ الابتهال والاحتقار، يطلب الإقالَةَ والرجوع، ويسفك الدماء والدموع، ويَسْتَمْنِحُ العفو والصفح، ويترجَّى الدخول في السِّلْم والصُّلْح.

فلا جَرَمَ من كان هٰذا حاله وفعله ومقاله جديراً بالعفو والغفران، والعتق من حر النيران، والدخول في حزب الرحمٰن، والخلود في الجِنان؛ لأن الجواد يقبل توبة من أَبِقَ[٦] من العباد؛ إذ لا تضره المعاصي، ولا تنفعه الطاعات والأوراد، لا إلٰه إلا هو.

وقتنا الأوراد أول النهار وآخره

* قوله ﷺ: «**ومن قالها من الليل (وفي لفظ: حين يمسي)، وهو مُوقِنٌ بها، فمات قبل أن يصبح (وفي لَفْظٍ: فمات من ليلته)؛ دخل الجنة (وفي لفظ: كان من أهل الجنة)**».

وحاصل هٰذا أن من قال الدعاء المذكور من أول نهاره، فمات في ذٰلك اليوم؛ كان من أهل الجنة، ومن قاله من أول لَيْلِهِ، فمات في تلك الليلة؛ كان من أهل الجنة.

والمراد أن يقوله صباحاً ومساءً طرفي النهار.

قال الإمام ابن القيم كشيخه الإمام ابن تيمية وغيرهما من علماءِ هٰذا الشأن: طرفي النهار: ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب... قال الله تعالى: ﴿**يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اذْكُروا اللهَ**

---

(٦) أَبَقَ العبدُ، يأبَقُ، ويأبِقُ، إباقاً: إذا هرب. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٥)، أو: احتبس وتأثَّم. «القاموس المحيط» (مادة: أبِقَ).

ذِكْراً كَثيراً وسَبِّحوهُ بُكْرَةً وأَصيلاً﴾[٧].

والأصيل: قال الجوهري[٨]: هو الوقت بعد العصر إلى الغروب، وجَمْعُهُ أصلٌ وآصال، كأنه جَمْعُ أصِيلَة. قال الشاعر:

لَعَمْري لأنْتَ البَيْتُ أكْرِمْ بِأَهْلِهِ
وأَقْعُدُ في أَفْنائِهِ بالأصائِلِ

ويجمع أيضاً على إصلان، مثل: بعير وبعران، ثم صَغَّروا الجمع؛ فقال: أصيلان، ثم أبْدَلوا من النون لاماً، فقالوا: أصيلال، قال الشاعر:

وَقَفْتُ فيها أُصيلالاً أُسائِلُها
أَعْيَتْ جواباً وما بِالرَّبْعِ من أَحَدِ

وقال تعالى: **﴿وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعِشِيِّ والإِبْكارِ﴾**[٩]؛ فالإبكار: أول النهار، والعشي: آخره.

وقال تعالى: **﴿وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ الغُروبِ﴾**[١٠].

---

(٧) الأحزاب: ٤١ و٤٢.

(٨) في كتابه «الصِّحَاح»، والجوهري هو أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، إمام اللغة، أحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة (٣٩٣هـ).

انظر: «الصحاح» (مادة: أَصَلَ، ٤/١٦٢٣).

(٩) غافر: ٥٥.

(١٠) قٓ: ٣٥.

قال الإمام ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب»: وهٰذا يُفسِّر ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي: أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هٰذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر(١١). انتهى.

ولا ريب أن هٰذا الدعاء من أوراد الصباح والمساء، فظهر أن وقت الدعاء به بعد الصبح وقبل طلوع الشمس صباحاً، وبعد العصر وقبل غروبها مساءً، والله أعلم.

تنبيهان:

علة تخصيص الأوراد بالصباح والمساء

الأول: حِكْمَةُ تخصيص هٰذا الدعاء بالصباح والمساء، وترتيب الثواب عليه كذٰلك: افتتاح كل من الصباح والمساء بالإقرار بالربوبية والإلٰهية لله سبحانه وتعالى، والاعتراف بالعبودية، ومشاهدة المِنَّةِ، ومطالعة الذنوب، والأمن، والاعتراف بِسَعَةِ الحِلْمِ؛ إذ لم يعاجله

---

(١١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص ١٩٢، تحت باب الأذكار التي لا ينبغي للعبد أن يُخِلَّ بها، ذكر طرفي النهار)، وقائل البيت الأول الذي أورده ابن القيم في «الكلم الطيب»:

لعمري لأنت البيت أكرم بأهله ... وأقعد في أفيائه بالأصائل

هو أبو ذؤيب الهذلي، خويلد بن خالد الشاعر، الفحل المخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، مات سنة (٢٧هـ).

والبيت الثاني:

وقفت فيها أُصيلالاً أسائلها ... عيَّت جواباً وما بالرَّبع من أحد

للنابغة الذبياني أبو أمامة، شاعر جاهلي، كان الشعراء يقصدونه فيعرضون عليه أشعارهم.

بالنِّقَمِ على عدم شكر نِعَمِهِ، والتَّجَرِّي على معاصيه، مع ترادف المِنَنِ منه عليه، مع غناه عنه، وشدة فقر العبد إليه سبحانه وتعالى؛ فيكون قد افتتح الصباح بالذكر والتوحيد، والإقرار بالعبودية، والاعتراف بالتقصير، وتمام الافتقار، وخَتَمَهُ بذلك؛ فَيُرْجى أن يُكْتَبَ له سائر يومه طاعةً وذكراً؛ فإنَّ من كان أول عمله طاعه، وآخره طاعة؛ فهو في حكم من استغرق بالطاعةِ ما بين العَمَلين[١٢].

وفي حديث مرفوع: «ما من حافظين يرفعان إلى الله تعالى صحيفةً، فيرى في أولها خيراً وفي آخرها خيراً؛ إلا قال الله للملائكة: أُشْهِدُكُمْ أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفيها». خرجه الطبراني وغيره[١٣]، وهو موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي.

---

(١٢) وناهيك بالعبد إذا قال هٰذا الدعاء خالصاً من قلبه صباحاً ومساءً، أن يقع فيما يخالفه وما يخدش في توحيده وإيمانه، بل إنه يزداد خضوعاً وانكساراً كلما تذكَّر حال نفسه بين يدي ربه بذنوبه، وأمام رحمة الله جل وعلا ومغفرته، وأنه ربه وخالقه ورازقه، والمان عليه بالنِّعم والأرزاق، وأنه يلجأ إلى الله بالعَوْذِ مما فعل من معاصي الله ومغاضِبِه جل وعلا؛ فحينئذٍ يخشع القلب، وتنقاد الجوارح، ويَظْهَرُ نور الإيمان وبهجته على وَجْهِ المؤمن وقلبه، ونتيجة ذٰلك حصول النعمة العظمى، والدرجة العليا من درجات العبودية، نسأل الله جلت قدرته ورحمته أن يُبَلِّغنا إياها، آمين.

(١٣) ورواه أبو يعلى في «مسنده» برقم (٢٧٧٥، في ٥/١٦٢)، وكذا رواه البيهقي في «الشعب» (١٢/٣٥٦، برقم ٦٦٥٢)، وابن عدي في «الكامل» (٢/٥١٤)، وقال: هٰذا لا أعلم يرويه عن الحسن غير تمَّام وعن تمَّام غير بقية، وتمام بن نجيح عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه، وأخرجه ابن حبان في =

وروى الطبراني أيضاً عن عبدالله بن بُسْرٍ[14] رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من استفتح أول نهاره بخير، وختمه بخير؛ قال الله عز وجل لملائكته: لا تكتبوا عليه ما بين ذٰلك من الذنوب». قال الحافظ المنذري: إسناده حسن إن شاء الله[15].

= «المجروحين» (١/١٩٥)، وقال: تمام منكر الحديث جدّاً، يروي أشياء موضوعة عن الثقات كأنه المتعمد لها، ذكره الحافظ الهيثمي في «المَجْمَع» (١٠/٢٠٨، في كتاب التوبة، باب الإكثار من الاستغفار) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الهيثمي: رواه البزار، وفيه تمام بن نجيح، وثَّقه ابن معين وغيره، وضعَّفه البخاري وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ورواه الترمذي في «الجامع» برقم (٩٨١، في كتاب الجنائز، باب رقم ٩)، وكذا ابن رجب في «العلل المتناهية» برقم (٢٨، ١/٤٥، في كتاب الإيمان، باب في سعة الكرم).

وكذا أخرجه برقم (١٣٢٠، في كتاب ذم المعاصي) من «العلل».

رووه من طرق وبألفاظ متقاربة عن بشر بن إسماعيل، حدثنا تمَّام بن نحيج، عن الحسن ـ هو البصري ـ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الحافظ ابن رجب عندما ذكر الحديث: هٰذا حديث لا يصح. اهـ. وفيه عنعنة الحسن عن أنس.

وقد ذكر الحديث الشيخ الألباني رعاه الله في «ضعيف الجامع» برقم (٥١٦٦).

قلت: وله شواهد من الموقوف والمرفوع، بعضها مر معنا في هٰذا الكتاب.

(١٤) سبقت ترجمته.

(١٥) ذكره الحافظ المنذري رحمه الله في «الترغيب والترهيب» =

وفي حديث آخر مرفوع: «ابن آدم! اذكرني من أول النهار ساعة، ومن آخر النهار ساعة؛ أغفر لك ما بين ذٰلك؛ إلا الكبائر، أو تتوب منها». ذكره الحافظ ابن رجب في كتاب «اللطائف»[16].

= (٤٥٦/١، في كتاب النوافل، باب الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى)، وعزاه للطبراني أيضاً.

قال الهيثمي: وفيه الجراح بن يحيى المؤذن، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. «مجمع الزوائد» (١١٢/١٠).

قلت: ولم أجده فيما لدي من المصادر.

ورواه البيهقي في «الشعب» (٣٥٥/١٢، برقم ٦٦٥١) من طريق أبي يعلى حمزة بن عبدالعزيز، أخبرنا أبو إسحاق البزاري، أخبرنا أبو بكر الباغندي، حدثنا سليمان الخبايري، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء ـ هو ابن أبي رباح ـ، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

وفيه سليمان بن سلمة الخَبايري ـ هو أبو أيوب الحمصي ـ فيه ضعف، وقال الشيخ مختار الندوي ـ محقق «الشعب» ـ: ولٰكن له شاهد من حديث عبدالله بن بسر، ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» ونسبه للطبراني والضياء، ورمز له بصحته. اهـ.

والحديث ضعفه الشيخ الألباني متع الله به على طاعته في «ضعيف الجامع» برقم (٥٤١٤).

(١٦) انظر: «اللطائف» (ص ٨١).

والحديث رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢١٣/٨) من طريق: أبي بكر بن مالك ـ هو القَطيعي ـ، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني عبدالله بن صندل، ثنا ابن السَّماك (ح). وحدثنا محمد بن المظفَّر، ثنا محمد بن أحمد بن ثابت؛ قال: وجدتُ في كتاب جدي عن محمد بن صبيح بن السَّماك، عن جبير، =

قال الإمـام عبدالله بن المبارك[17]: من ختم نهاره بذكر الله؛ كُتِبَ نهارُهُ كله ذِكراً.

يشير إلى أن الأعمال بالخواتيم؛ فإذا كان البداية والختام ذِكْراً؛ فهو أولى أن يكون حُكْمُ الذكر شاملاً للجميع، والله أعلم.

= عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنـه مرفـوعاً، قدسيًّاً بلفظ: «ابن آدم! اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما»، ثم قال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن عن أبي هريرة، لم يروه عنه إلا جبير، وحديث ابن السماك لم يروه عنه إلا ابن صندل. اهـ.

نقول بحول الله: محمد بن صبيح ـ هو الكوفي ـ المذكِّر الواعظ، ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/ ٥٨٤)، وقال: قال ابن نُمَير: صدوق، وقال مَرَّة: ليس حديثه بشيء. وكذا ذكر الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٩٠)، وذكـره أيضاً الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٥/ ٣٧٣)، وحكي أيضاً عن ابن نُمَير أنه قال: ما عَلِمْتُهُ ربما حدَّث عن الضعفاء. اهـ.

وجبير ـ هو ابن فَرْقَـد ـ، ذكـره ابن أبي حاتم في «الجـرح والتعـديل» (٢/ ٥١٤)، وقال: سمعت أبي يذكر روايته عن السَّماك ويقول: هو مجهول اهـ.

وكذٰلك نَقَله الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٨٩)، وكذٰلك جَلِيٌّ أمام ناظـريك عنعنـة الحسن رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، حيث نص الحافظ ابن حجر رحمه الله في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٦٤) على أن الحسن روى عن أبي هريرة ولم يسمع منه؛ فالحديث لا يصح من هٰذا الطريق.

(١٧) هو الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، أمير الأتقياء ـ ولا يزكى على الله أحـد ـ عبـدالله بن المبـارك، الحـنظلي، مولاهم التـركي، المـروزي، أبـو عبـدالرحمٰن، الحافظ، أورد الذهبي عن أحد أهل العلم قوله: ما رأيت أحداً يتحدث لله إلا ستة نفر. وذكر منهم ابن المبارك، توفي سنة (١٨١هـ).

الثاني: قوله ﷺ: «من قالها موقِناً بها حين يمسي، فمات من ليلته؛ دخل الجنة (وفي رواية: فهو من أهل الجنة)»، وعند الترمذي: «لا يقولها أحد حين يمسي، فيأتي عليه قَدَرُهُ قبل أن يصبح؛ إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح، فيأتي عليه قَدَرُهُ قبل أن يمسي؛ إلا وجبت له الجنة»؛ لأنه سبحانه لا يُخْلِفُ الميعاد.

ولا يَذْهَب عليك أن الله لا يجب عليه شيء؛ إلا أنه سبحانه لِعَظيمِ فَضْلِهِ وكَرَمِهِ؛ أوجب على نفسه إيقاعَ ذٰلك؛ لوعده به.

وهل المراد دخول الجنة من غير سابقة عذاب، أو ولو عُذِّبَ حينئذٍ(١٨)؛ فالفائدة من الدعاء أن صاحبه يموت على التوحيد اللائق

---

(١٨) أي: أو هل المراد أن يُعذَّب ثم حينئذٍ يدخل الجنة؟ فنقول: عقيدة أهل السنة والجماعة وعلماء السلف رحمهم الله ومن تبعهم بإحسان أن الموحِّد إذا مات لا يشرك بالله شيئاً، وقد حمل بعض الأوزار والذنوب، أو بل حتى الكبائر؛ فإنه في مشيئة الله تعالى، لا يُقطع بدخوله الجنة مطلقاً بدون سابقة عذاب، ولا يُقطَعُ بعذابه، بل قد يغفر الله له ما لم يشرك به شيئاً مع ذنوبه، ويدخله الجنة، وقد وردت بعض الآيات وكثير من الأحاديث الصحيحة والثابتة الدالة على ذٰلك.

وعند قوله تعالى في سورة النساء: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذٰلك لمن يشاء...﴾** [٤٨]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هٰذه الآية: أي: إن الله تعالى لا يغفر الشرك به ويغفر ما دون ذٰلك لمن يشاء من عباده. اهـ. وقال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى عند هٰذه الآية في «زاد المسير» (٢/١٠٣) ما نصه: وفي قوله **﴿لمن يشاء﴾** نعمة عظيمة من وجهين: =

بسعة كرم الله تعالى[١٩]، والله الموفق.

(تتمَّة):

تخريج الحديث بطرقه

رَوى حديث سيد الاستغفار غير من ذكرنا من الأئمة الكبار: الإمام الحافظ أبو داود، وابن حبان، والحاكم، لٰكن من حديث بريدة رضي الله عنه[٢٠].

= **أحدهما**: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يُقْطَعُ عليه بالعذاب، وإن مات مُصِرّاً.

والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

(١٩) هنا بين المؤلف رحمه الله موقفه ـ موقف أهل السنة ـ من ذٰلك، وهو ما نقلناه في النقطة السابقة، وبين أيضاً رحمه الله أن المقصود من الدعاء هو تطبيق التوحيد ظاهراً وباطناً؛ حتى يدخل في سعة رحمة الله ورجاء عفوه والتخلُّص من كل شائبة تدخل على توحيد العبادة بجميع أنواعها لله تعالى.

(٢٠) ذكر المؤلف رحمه الله في بداية الكتاب أن من روى الحديث: البخاري في «صحيحه» برقم (٦٣٠٦، في كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار)، وكذا رواه في «الأدب المفرد» برقم (٦١٧ و٦٢٠، باب سيد الاستغفار)، وكذا النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (١٩، في باب سيد الاستغفار، وبرقم ٤٦٤، في باب ذكر سيِّد الاستغفار وثوابُ من استعمله)، وكذا أخرجه النسائي في «المجتبى» برقم (٥٥٢٢، في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر ما صنع وذِكْر الاختلاف على عبدالله بن بريدة فيه)، وكذا الإمام أحمد (٤/١٢٢ و١٢٤ و١٢٥)؛ رووه من طرق: عن حسين المعلِّم، عن عبدالله بن بريدة، حدثني بُشير بن كعب ـ هو العدوي ـ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، به. =

. . . .

= ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٤٦٥) في نفس موضعه السابق من طريق: حماد بن سلمة، حدثنا ثابت ـ هو ابن أسلم البُناني ـ، عن عبدالله بن بريدة؛ أن نفراً صحبوا شداد بن أوس فقالوا: حدِّثْنا بشيء سمعته من رسول الله ﷺ (فذكره رضي الله عنه بنحوه).

ففي هٰذه الطريق؛ فقد خالف ثابت البُنانيُّ حسيناً المعلِّم في عدم ذكره لبشير بن كعب، والمخالفة الأخرى مخالفتهما جميعاً للوليد بن ثعلبة؛ فقد رواه عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، حيث روى أبو داود في «السنن» برقم (٥٠٧٠، في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح)، وكذا ابن ماجه في «السنن» برقم (٣٨٧٢، في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى)، والنسائي في عمل «اليوم والليلة» برقم (٢٠ و٤٦٦)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/٣٥٦)، وابن حبان في (الموارد برقم ٢٣٥٣، في كتاب الأذكار، باب ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أوى إلى فراشه)، وكذا رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٥١٤، في كتاب الدعاء)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، رووا الحديث جميعاً عن الوليد بن ثعلبة، عن عبد الله ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال النسائي بعدما روى الحديث عن حسين وثابت: خالفه الوليد بن ثعلبة، رواه عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، وقد رواه النسائي أيضاً من نفس هٰذه الطريق برقم (٥٨٠) وقال: حسين ـ أي: ابن المعلِّم ـ أثبت عندنا من الوليد بن ثعلبة، وأعلم بعبد الله بن بريدة، وحديثه أولى بالصواب.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله مستدركاً في «الفتح» (١١/١٠٢): قلت: كأن الوليد سلك الجادة؛ لأن جُلَّ رواية عبدالله بن بريدة عن أبيه، وكأن من صححه جوَّز أن يكون عن عبدالله بن بريدة على الوجهين، والله أعلم.

ورواه الترمذي في «السنن» برقم (٣٣٩٣، في كتاب الدعوات، باب ما =

وروى أبو القاسم الأصبهاني[21] وغيره من حديث حذيفة بن

= جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى) من طريق: الحسين بن حُرَيث، حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم، عن كثيِّر بن زيد، عن عثمان بن ربيعة، عن شداد رضي الله عنه بنحوه.

قال الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف على تحفة الأشراف» (٤/١٤٥): قلت: خالفه زيد بن الحباب، فقال: عن كثير بن زيد، قال: حدثني المغيرة بن سعيد بن نوفل، عن شداد بن أوس رضي الله عنه به.

ثم قال رحمه الله: أخرجه ـ أي: من حديث المغيرة ـ جعفر الفريابي في «كتاب الذكر» عن أبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة عنه. انتهى كلام الحافظ رحمه الله وغفر له.

ونقول: وكذا رواه الطبراني في «الكبير» برقم (٧١٨٩) عن الحسين التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة به، قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله بعد ذٰلك: هٰذا حديث حسن غريب... وقد رُوي هٰذا الحديث من غير هٰذا الوجه عن شداد ابن أوس رضي الله عنه، وبقية طرقه نوردها إن شاء الله في حينها.

(٢١) الإمام العلاَّمة، الحافظ، شيخ الإسلام، المُلَقَّب بـ «قِوَام السنة»، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر، القُرشي، التيمي، ثم الطلحي الأصبهاني، سمع من مشايخ كثر، وسمع بمكة سنة، وأملى وصنف، وجرح وعدل، وكان من أئمة العربية، قال فيه أبو موسى المديني: إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه... واجتمع في جنازته جمع لم أرَ مثلهم كثرة... وكان نَزِه النفس عن المطامع، ولا يدخل على السلاطين، ولا على من اتصل بهم، قد أخلى داراً من مُلكه لأهل العلم مع خِفّة ذات يده... أملى ثلاثة آلاف وخمس مئة مجلس، وكان يُملي على البديهة، وقال الحافظ يحيى بن منده: كان أبو القاسم حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، =

اليمان رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منّا من حلف بالأمانة، وليس منّا من خان امرأ مسلماً في أهله وخادمه، ومن قال حين يمسي وحين يصبح: اللهم! إني أُشهدك بأنك أنت الله، لا إله إلا أنت، وحدك، لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، أبوء بنعمتك علي، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب غيرك. فإن قالها من يومه ذلك حتى يصبح، فمات من يومه ذلك قبل أن يمسي؛ مات شهيداً، وإن قالها حين يمسي، فمات من ليلته؛ مات شهيداً»(٢٢).

= قليل الكلام، ليس في وقته مثله، وقال محمد بن عبدالواحد الدقاق: كان أبو القاسم عديمَ النظير، لا مِثْل له في وقته، كان ممن يُضرب به المثل في الصلاح والرشاد، وذُكِرَ عنه شيء عجيب في عبادته وصلاته بالليل، له رحمه الله «الموضح» في التفسير، وكذا «السُّنة»، و«دلائل النبوة»، و«المغازي» وغيرها، ومن «الترغيب والترهيب»، توفي رحمه الله وغفر له في يوم النَّحر سنة خمس وثلاثين وخمس مئة للهجرة.

(٢٢) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» برقم (٢٥٨، في ١/١٩٢)؛ قال رحمه الله: أخبرنا عبدوس بن عبدالله بن محمد بن عبدوس الهَمَذاني، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن حمدويه الطوسي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف، نا العباس بن الوليد بن مزيد البيروني، نا محمد بن عتبة بن علقمة؛ قال: قال عبَّاد: وحدثني ليث بن أبي سُليم، عن سليمان، عن عبدالله بن بريدة الأسلمي، عن أبيه، عن حذيفة رضي الله عنه... (وذكر الحديث).

قال محقق «الترغيب والترهيب» للأصبهاني عند تعليقه على هذا الحديث: فلعل ذكر حذيفة خطأ من الليث بن أبي سليم. =

وروى الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» واللفظ له من حديث أبي أمـامـة الباهلي رضي الله عنه[٢٣]، ورواه ابن أبي عاصم[٢٤] من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه[٢٥]؛ قال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: اللهم! لك الحمد، لا إلٰه إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، آمنت بك مخلصاً لك ديني، إني أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت، أتوب إليك من شر عملي، وأستغفرك لذنوبي التي لا يغفرها إلا أنت؛ فإن مات في ذٰلك اليوم؛ دخل الجنة، وإن قالها حين يمسي: اللهم! لك الحمد، لا إلٰه إلا أنت، أنت ربي

= نقول: حيث لم يرد ذكر حذيفة إلا في هٰذا الإسناد؛ فكلام المحقق في مكانه. ولفظة: «ليس منا من حلف بالأمانة»: قد صحت في مواضع أخرى ليس هٰذا مكان إيرادها.

(٢٣) أبو أمامة الباهلي: هو صُدَي بن عجلان بن الحارث بن وهب بن عريب بن وهب بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك بن أعْصُر الباهلي رضي الله عنه، كان من خيار الصحابة وأوائلهم.

ذكـر ابن حجـر عن ابن سعـد في «الطبقات» أنه رضي الله عنه سكن الشام. وأخرج الطبراني ما يدل على أنه شهد أحداً، لٰكن بسند ضعيف، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وهو الذي فتح بلاد المشرق، رضي الله تعالى عنه، توفي سنة ست وثمانين للهجرة.

قال المؤلف رحمه الله: واللفظ له، ولم يذكر من رواه غيره، فلعله أضمر رواة أخَرْ، وتخريج هٰذه الطريق عند سرده رحمه الله للحديث.

(٢٤) أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر بن أبي عاصم، حافظ كبير، إمام بارع، متَّبع للآثار، كثير التصانيف، منها «المسند»، توفي سنة (٢٨٧هـ).

(٢٥) سبقت ترجمته.

وأنا عبدك، آمنت بك مخلصاً لك ديني، إني أمسيت على عهدك ووعدك ما استطعت، أتوب إليك من شر عملي، وأستغفرك لذنوبي التي لا يغفرها إلا أنت؛ فمات من تلك الليلة؛ دخل الجنة».

قال: ثم كان رسول الله ﷺ يحلف ما لا يحلف على غيره؛ يقول: «والله؛ ما قالها عبد في يوم، فيموت في ذٰلك اليوم؛ إلا دخل الجنة، وإن قالها حين يمسي، فتوفي في تلك الليلة؛ دخل الجنة»(٢٦).

---

(٢٦) رواه الطبراني في «الكبير» (٨/١٩٦، برقم ٧٨٠٢)، وكذا برقم (٧٨٧٩) من طريق بكر بن سهل.

ورواه في «الأوسط» (٤٤٠ ـ مجمع البحرين) من طريق: بكر بن سهل الدمياطي، ثنا عمر بن هاشم البيروتي، ثنا محمد بن شعيب بن شابور، حدثني يحيى بن الحارث الذِّماري، عن علي بن يزيد ـ هو الألهاني ـ عن القاسم أبي عبدالرحمٰن، عن أبي أمامة رضي الله عنه به.

ورواه من طريق الطبراني الشجري في «أماليه» (١/٢٥٣).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١١٤): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. اهـ.

وفي الموضع الآخر رواه عن علي بن يزيد: عثمان بن أبي العاتكة، وقد قال الحافظ في «التقريب»: صدوق، وقد ضعفوه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني. اهـ.

وقد ذكره الحافظ المنذري كما سيأتي بصيغة التضعيف ـ رُوِيَ ـ.

ولم نجد هٰذه الرواية عند ابن أبي عاصم فيما طُبِع له رحمه الله، وله كتب في الأذكار لم تُطبع، وليست مخطوطاتها في حوزتنا، والحمد لله رب العالمين.

ولفظ حديث معاذ رضي الله عنه: سمع النبي ﷺ يحلف ثلاث مرات لا يستثني أنه: «ما من عبد يقول هٰؤلاء الكلمات بعد صلاة الصبح، فيموت من يومه؛ إلا دخل الجنة، وإن قالها حين يمسي، فمات من ليلته؛ دخل الجنة». فَذَكَرَ باختصار؛ إلا أنه قال: «أتوب إليك من سيىء عملي»، وهو أقرب من قوله: «من شر عملي»، لعله تصحيف. قاله الحافظ المنذري(٢٧).

وذكر الحافظ المنذري المذكور رحمه الله تعالى كل واحد من حديث حذيفة وأبي أمامة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم بصيغة التمريض، وهي رُوِيَ، وهي في اصطلاحه في كتابه «الترغيب والترهيب» لِمَا لا يَتَطَرَّقُ إليه احتمال التحسين، والله سبحانه أعلم.

الخاتمة

وهٰذا ما أردتُ إيراده على حديث «سيد الاستغفار» من الفوائد النفيسة، والعوائد الأنيسة، مع عدم وقوفي على من تَقَدَّمني على شرحه؛ إلا في الكتب المجملة؛ فغاية ما رأيت من شرحه لا يبلغ ورقة واحدة(٢٨).

وقد جمعت لك هٰذه الجمعية من عدة كتب، لعلك لو بذلتَ غايتَه؛ لا يمكنك الوقوف على جميعها، مع ما زدتُ من إيضاح كلامهم وتنقيح عباراتهم، مما يُشْفي السِّقام، ويكفي لذي الإلمام، ويرْوي من

---

(٢٧) «الترغيب والترهيب» (١/٤٥٧).

(٢٨) وهٰذا الشرح لا يبلغ ورقتين بخط عادي، وهو موجود في مكتبة الحرم المكي الشريف.

الأوام[29]، ويبري من الآلام؛ فَظُنَّ به وظن بي خيراً؛ فلك غُنْمُه وَعَلَيَّ غُرْمُهُ، ولك صَفْوُهُ وَعَلَيَّ هَفْوُهُ.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم؛ عدد ما كان، وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن إلى يوم الدين.

والحمد لله ربِّ العالمين[30].

نجز تسويدها نهار الجمعة لثمانٍ خَلَت من جمادى الثانية سنة ألف ومئة وستين من الهجرة النبوية، على صاحبها الصلاة والسلام.

---

(٢٩) الأوام ـ كغراب ـ: العطش. «القاموس المحيط».

(٣٠) للفائدة نذكر حديثاً رواه وكيع في «الزهد» (٢/ ٥٥٩ ـ ٥٦٠ برقم ٢٩٢)، ورواه من طريقه الإمام البيهقي في «الشعب» (١٢/ ٤٧٣ برقم ٦٧٧١)، روياه من طريق مِسْعَر ـ هو ابن كدام ـ، عن جوَّاب التيمي ـ الكوفي ـ، عن الحارث بن سويد؛ قال: قال ابن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه: إن من أحب الكلام إلى الله عز وجل أن يقول العبد: «اللهم اعترفت بالذنب، وأبوء بالنعمة؛ فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

ورجال الإسناد ثقات.

وقد حسنه شيخنا الشيخ عبدالرحمٰن الفريوائي جزاه الله خيراً في تحقيقه لـ «زهد» وكيع، وذلك لما ذكره المؤلف رحمه الله من أسرار في ألفاظ هذا الحديث وجمعه لجميع نعوت العبودية.

علَّقـه الفقير لربـه، الخـائف وصَمْـةَ ذنبـه: محمـد بن أحمد السفَّاريني الحنبلي، عُفي عنه؛ آمين(٣١).

●●●●●

---

(٣١) قال الناسخ: وفرغت من كتابته يوم الجمعة ثامن عشري شهر الله المحرَّم سنة (١١٨٨هـ). (ك).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ويليه بإذن الله تعالى الرسالة الثانية من هٰذه السلسلة المباركة إن شاء الله.

الرياض

حرر في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة

الاثنين ليلة الثلاثاء عام خمسة عشر وأربع مئة وألف

للهجرة النبوية الشريفة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
من نفائس يراع السفاريني	٥
إهداء	٧
تمهيد	٩
الكلام على الاستغفار	١٩
فصل في الجمع بين كونه عليه الصلاة والسلام أكثر الخلق استغفاراً وكونه مغفوراً له	٢٣
ترجمة المؤلف	٢٩
مولده ونشأته	٢٩
مكانته العلمية	٣٠
أخلاقه وديانته	٣٢
مشايخه	٣٣
تلاميذه	٣٩
مؤلفاته	٤١
عقيدته	٤٥
وفاته	٥٨
التعريف بالكتاب والعمل فيه	٥٩
اسم الكتاب ونسبته للمؤلف	٥٩

الأصول المعتمد عليها ٦٠
عملنا في الكتاب ٦٠
صور المخطوطات ٦٢
نتائج الأفكار في شرح حديث الاستغفار ٦٩
المقدمة ٦٩
سبب تأليف الكتاب ٧٨
مطلب: ذكر الحديث ومن رواه ٧٩
تخريج الحديث بإيجاز ٧٩
مطلب: في ذكر تراجم رواة الحديث ورواية الصحابي ٨٠
موضوع علم الحديث وحده وغايته ٨٠
ترجمة راوي الحديث ٨٤
فصل: ٨٨
ترجمة الإمام أحمد ٨٨
من سمع منهم ٩٠
مكانته العلمية ٩٧
وفاته رحمه الله ١٠٠
مطلب: ١٠٢
ترجمة الإمام البخاري ١٠٢
بعض من روى عنهم ١٠٤
بعض من روى عنه ١٠٥
أمراء المؤمنين في الحديث ١٠٧
ولادته ووفاته ١١٢
مطلب: ١١٣
ترجمة الإمام الترمذي ١١٣

مكانة جامع الترمذي	١١٤
وفاته رحمه الله	١١٧
مطلب:	١١٨
ترجمة الإمام النسائي	١١٨
وفاته رحمه الله	١١٩
بعض من سيرته	١٢٧
نسبة النسائي	١٢٨
مطلب: في ذكر الاستغفار وفضيلته والحث عليه	١٣٠
فضائل الاستغفار والحث عليه	١٣٠
مطلب:	١٤٦
الدعاء في موضعه أفضل من غيره	١٤٦
مطلب: في ذكر حديث الدواوين وبيان معانيه	١٥١
حديث الدواوين الثلاثة	١٥١
الشروط المتممة لكلمة التوحيد وأسنان مفتاح الجنة	١٥٦
مطلب: ذكر سبب تسمية سيد الاستغفار بهذا الاسم	١٥٨
على من تطلق لفظة (السيد) وبعض ما ورد فيها	١٥٨
مطلب:	١٦٦
سيادة رسول الله على البشر	١٦٦
سبب تسمية الدعاء بسيد الاستغفار	١٦٩
مطلب: ذكر أفضيلة هذا الدعاء على غيره من الأدعية	١٧٠
مجمل معاني الدعاء	١٧٠
مطلب: في آداب الداعي وما ينبغي أن يكون حاله	١٧٢
آداب الدعاء المستحبة	١٧٢
الحال المستحبة للداعي عند ذكره لسيد الاستغفار	١٨٠

بعض أعداء الإنسان من نفسه وفي خلقه وشيطانه ١٨٢
ما سخر الله لحماية الإنسان من هواه وشيطانه ١٨٤
مطلب: في بداية شرح الحديث ١٨٥
شرح سيد الاستغفار والكلام على الاستغفار والمغفرة ١٨٥
تركيب كلمة (اللهم) ومعناها ١٨٦
التناسب بين حروف اللفظ ومعناه ٢٠٤
مطلب: ٢٠٤
معنى: (أنت ربي) ٢١١
معنى: لا إله إلا أنت ٢١٢
مطلب: في الكلام على أنواع التوحيد ٢١٣
اعتراف جميع الخلق بتوحيد الربوبية حتى القائلين بالأصلين ٢١٤
فساد عقيدة النصارى والرد عليهم ٢١٧
عجز المتكلمين في باب توحيد الربوبية ولجوؤهم إلى دليل التمانع ٢٢٠
غالب شرك الأمم من تعظيم القبور وتماثيل الصالحين ٢٢٢
التشابه بين شرك العرب وشرك قوم نوح ٢٢٧
المشركون يقرون بتوحيد الربوبية ويتخذون الأصنام للشفاعة ٢٣١
مطلب: ٢٣١
المتصوفة جعلوا توحيد الربوبية غاية السالكين ٢٣١
لا سبيل لمن أقر بتوحيد الربوبية إلا أن يتبعه بتوحيد الألوهية ٢٣٣
بعض الفرق الضالة تثبت للأشياء صانعاً غير الله ٢٣٥
مطلب: التفصيل في قوله عليه الصلاة والسلام: خلقتني ٢٣٩
أحوال ابن آدم من نشأته إلى بعثه ٢٣٩
أحوال النشأة ٢٤٠
مطلب: ٢٤٤

مبدأ الخلق وعجائب التكوين	٢٤٤
النظر في جسم الإنسان وتقسيمه	٢٤٦
خلق الرأس وتكوينه	٢٤٨
خلق الأنف وتكوينه	٢٤٩
خلق الفم وتكوينه	٢٥١
خلق الأسنان	٢٥٢
خلق الشفتين	٢٥٢
خلق الحنجرة وقبول شهادة الأعمى	٢٥٢
خلق اليدين	٢٥٣
خلق الأظفار	٢٥٤
عظام البدن وحكمته سبحانه فيها	٢٥٥
باطن الجسم	٢٥٦
القلب وتكوينه وعجائبه	٢٥٦
أفضل أحوال الذهن	٢٥٩
مبدأ الحواس والعقل من القلب أو الدماغ	٢٦٠
القلب أول الأعضاء تكوناً والرد على المخالف	٢٦١
مطلب: بيان قوله عليه الصلاة والسلام: وأنا عبدك	٢٦٧
تعريف العبادة ومسلتزماتها	٢٦٧
ما صرف لغير الله تعالى من العبادة شرك	٢٦٨
مطلب: درجة العبودية وشرفها وعلو مكانة أهلها	٢٦٩
مرتبة العبودية العظمى	٢٧٥
معنى: (من عرف نفسه عرف ربه)	٢٧٩
سعة رحمة الله وعفوه	٢٨٢
مطلب:	٢٨٤

كيف ينال العبد درجة العبودية ٢٨٤
مدار العبودية على قاعدتين ٢٩٣
مطلب: ٢٩٣
مطلب: ٢٩٤
معنى: (وأنا على عهدك) ٢٩٤
مطلب: ٢٩٥
الفرق بين: العهود والعقود ٢٩٥
الذمة لغة وشرعاً ٢٩٨
الميثاق المأخوذ على بني آدم ٢٩٩
معنى: (وأنا على وعدك) ٣٠٥
معنى: (أعوذ) ٣٠٦
معنى: (من شر ما صنعت) ٣٠٧
معنى: (أبوء لك بنعمتك علي) ٣٠٨
أركان الشكر ٣١٢
مطلب: نعم الله عز وجل تعم جميع الخلق وذكر الخلاف ٣١٢
أقسام النعم ٣١٣
مطلب: ٣٢٠
شكر النعم يديمها وكفرها يزيلها ٣٢٠
أقسام الذنوب ٣٢٩
أول أقسام الذنوب استيلاء على الإنسان ٣٣١
أقسام الذنوب بالنسبة لضررها ٣٣٢
معنى: (فاغفر لي) ٣٣٣
الفرق بين التكفير والمغفرة ٣٣٤
بعض ما ورد في محو السيئات ٣٣٥

لا تمحى السيئات من الصحائف إلا بعد أن يوقف العبد عليها ٣٣٧
مطلب: ٣٤٠
السيئة التي تدخل الجنة والحسنة التي تدخل ا لنار ٣٤٢
العارف يسير بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس ٣٤٢
سعة عفو الله ومغفرته ٣٤٤
اقتران الاستغفار بالتوبة وعدم الإصرار ٣٥١
حقيقة الاستغفار ومعناه ٣٥٤
حالات المستغفر ٣٥٨
استحباب الزيادة على الاستغفار والتوبة ٣٦١
صيغ الاسغفار ٣٦٤
مطلب: ٣٧٧
الإخلاص في ذكر سيد الاستغفار يشهد العبد جميع منازل العبودية ٣٧٨
وقتا الأوراد أول النهار وآخره ٣٧٩
علة تخصيص الأوراد بالصباح والمساء ٣٨١
تخريج الحديث بطرقه ٣٨٧
الخاتمة ٣٩٣
فهرس الموضوعات ٣٩٧



التنضيد والمونتاج
دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف ٦٤٨٩٧٥ = فاكس ٦٤٨٩٧٥ = ص.ب ١٨٢٧٤٢
عمان ١٨ ١١١ = الأردن

جدول الخطأ والصواب والإستدراك

أخي القــــارئ الكريم : نرجو تصويب الأخطاء المثبتة حتى تقرأ الكلمات كما هي، والله الموفق.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦	٧	عبد	عند
١٧	٨	أهله، أجاد	أهله أجاد،
١٩	٢٠	ابن أبي حمزة	ابن أبي جمرة
١٩	١٢	يبقى	يبقَ
٢٥	١٢	بكر	ابو بكر
٢٧	١٨	يداك	يديك
٣٤	١٣	أخوان	إخوان
٤١	١٠	... بدون	المسجد النبوي آنذاك
٤٦	٤	١٢١٢	١٢٨٢
٥٧	١٤	علماؤنا	علمائنا
٥٧	٢٠	ابن مسعود !	ابن سعود
٥٨	٧	يسيرة	بسيرة
٦١	١٠	الطواف	الطوائف
٦١	آخر الصفحة	بدون	يضاف بعد آخر سطر : وقد سلّم هذا الفهرس الشامل للناشر وسلّم عهدته للطابع وفوجئنا بإهماله !
٨٢	١٥	أبو حاتم	أباحاتم
٨٤	١٣	ضعيفين	ضعيفان
٩٤	٥	تجد	نجد
٩٥	١٣	مظهر	مظهراً
٩٩	١٨	بعضَ	بعضِ
١٠٥	١١	تكرار : وحصل له ورشكين !	عدم التكرار.
١٢١	١٧	المُديني	المَديني
١٢٢	١٣	أحداً	أحدٌ
١٢٤	٤	ينفد!	ينفذ
١٢٨	٥	وموفده	ومولده
١٣١	١	وتال !	وقال
١٣٣	٢	ملاها	ملأها
١٣٥	٥	أن	إن
١٣٩	٩	ابن المنذر	ابنا المنذر
١٤٢	٧	ابو بكر	بكر
١٥٢	٢١	ذكر	ذكره
١٧٨	١٢	أبو مسلم	أبي مسلم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٤	١٥	زلةً	زلةٌ
١٨٨	١٠	الها	الهاء
١٨٩	٢	أمّنا	أمْنا
١٩٠	١٥	//	//
٢٠١	٢٣	ذكر	ذكره
٢٠٢	١	عن	عنه
٢٠٢	١	تمير	نمير
٢٠٥	٢١	أَهَمَ	أَمَمَ
٢١٠	٢٠	لَهُمْ	لَهَمَ
٢١٥	٢١	جزءٌ	جزءًا. وكذلك في جميع الكلمات الموجودة كتلك توضع بهذا التصحيح.
٢٢٥	٦	عمر بن لحي	عمرو بن لحي
٢٢٨	١٠	إن الذي قوي	الذي قوي
٢٣١	١٥	ويتبرأُ	ويتبرأَ
٢٣٦	١٦	أبي محمد	أبو محمد
٢٤٦	١٣	وأنشدَه	وأنشدُه
٢٦٩	٦	مَلَكًا	مَلِكًا
٢٧٠	١٩	وموجود	موجود
٢٧٥	٢	عبدِها	عبدَها
٣١٦	٤	أبو كريب	أبي كريب
٣١٧	٩	تسعًا وثلاثين	تسع وثلاثون
٣٣١	٢١	وهو البهيمية	وهي البهيمية
٣٣٦	١١	فرواه	رواه
٣٤٥	١٨	عنهما	عنه
٣٤٩	١٦	آدمَ	آدما
٣٦٦	٢	أبي عمر	أبو عمر
٣٧٧	٧	أُدْخِلُ	أُدْخِلَ
٣٩٠	١٣	ومن الترغيب...	ومنها الترغيب...